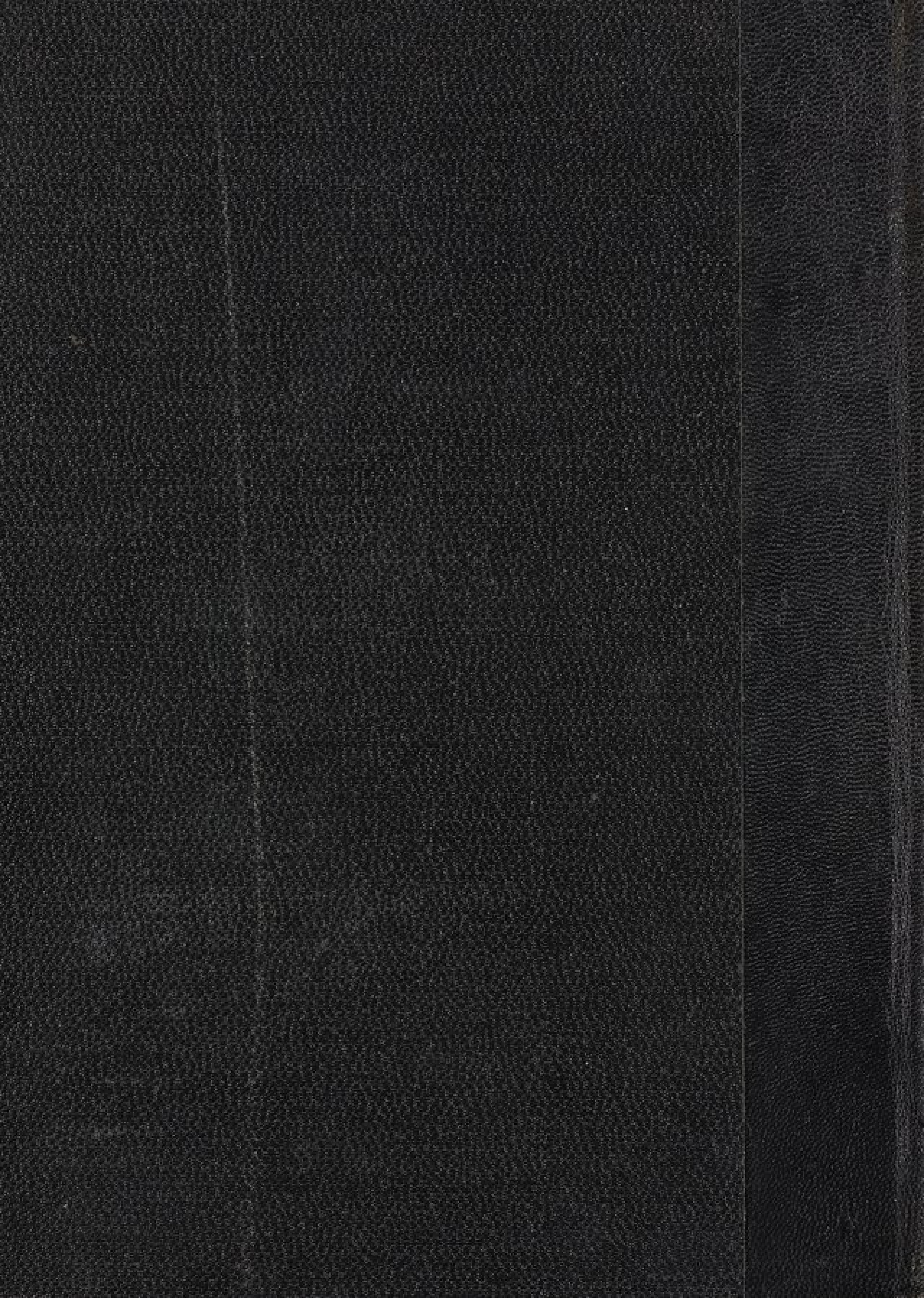
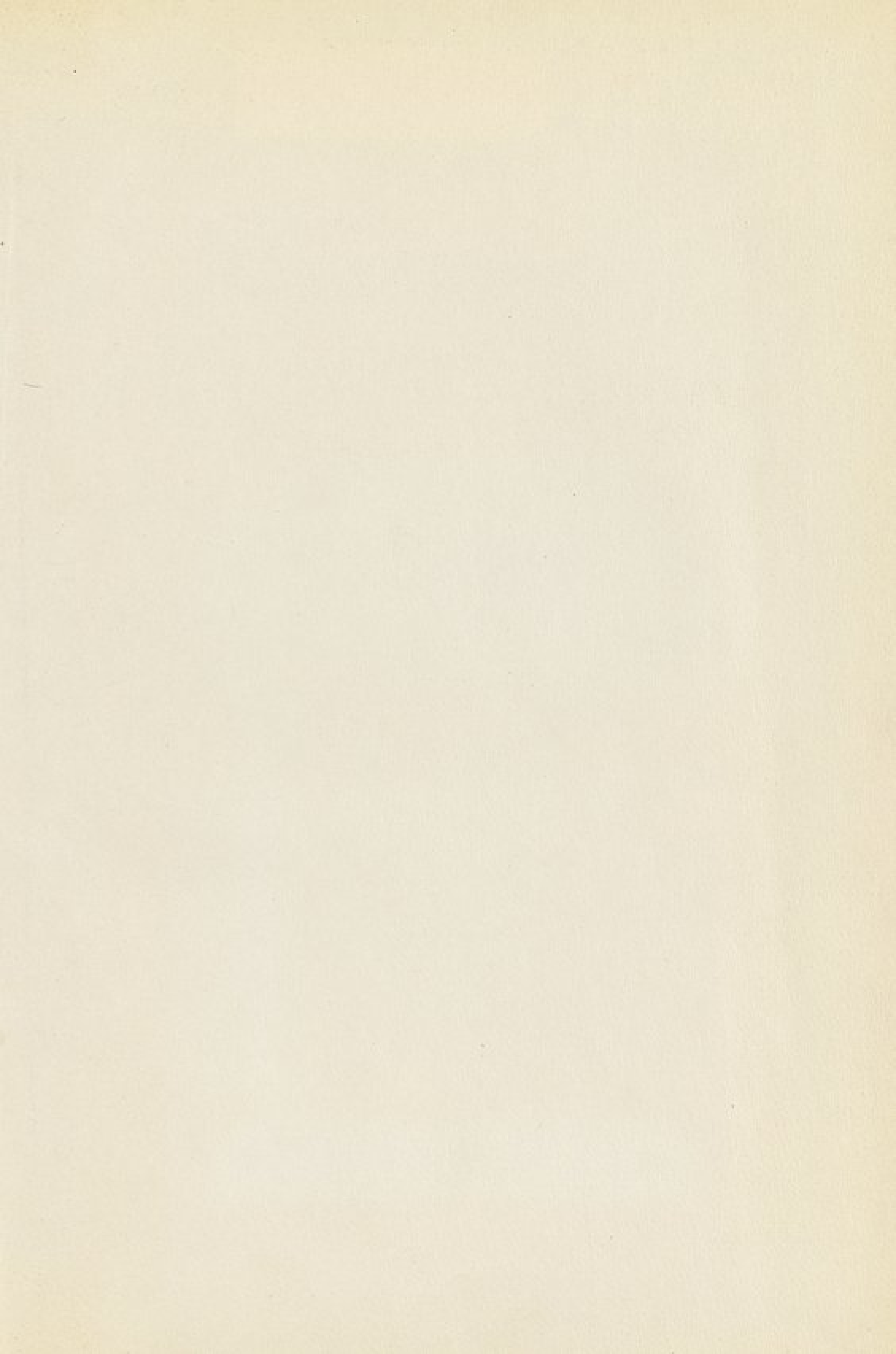
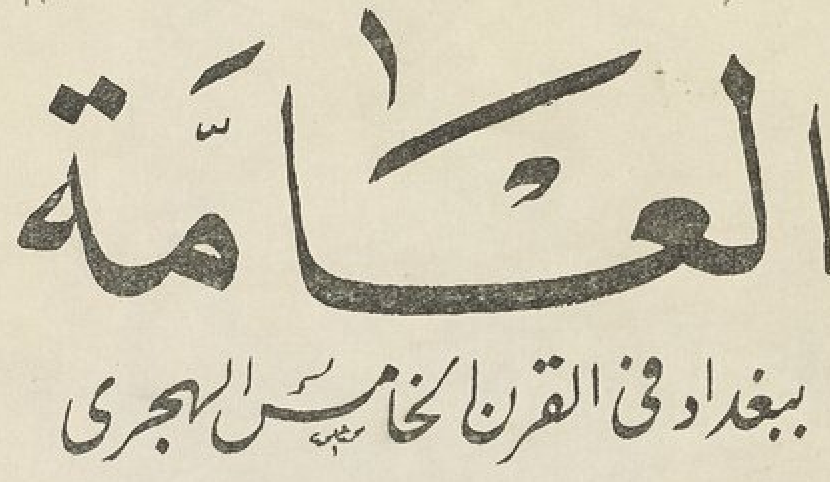



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 013682412



ساعدت جامعة بغداد على نشره



بحث تاريخي في الحياة الاجتماعية لجماهير بغداد

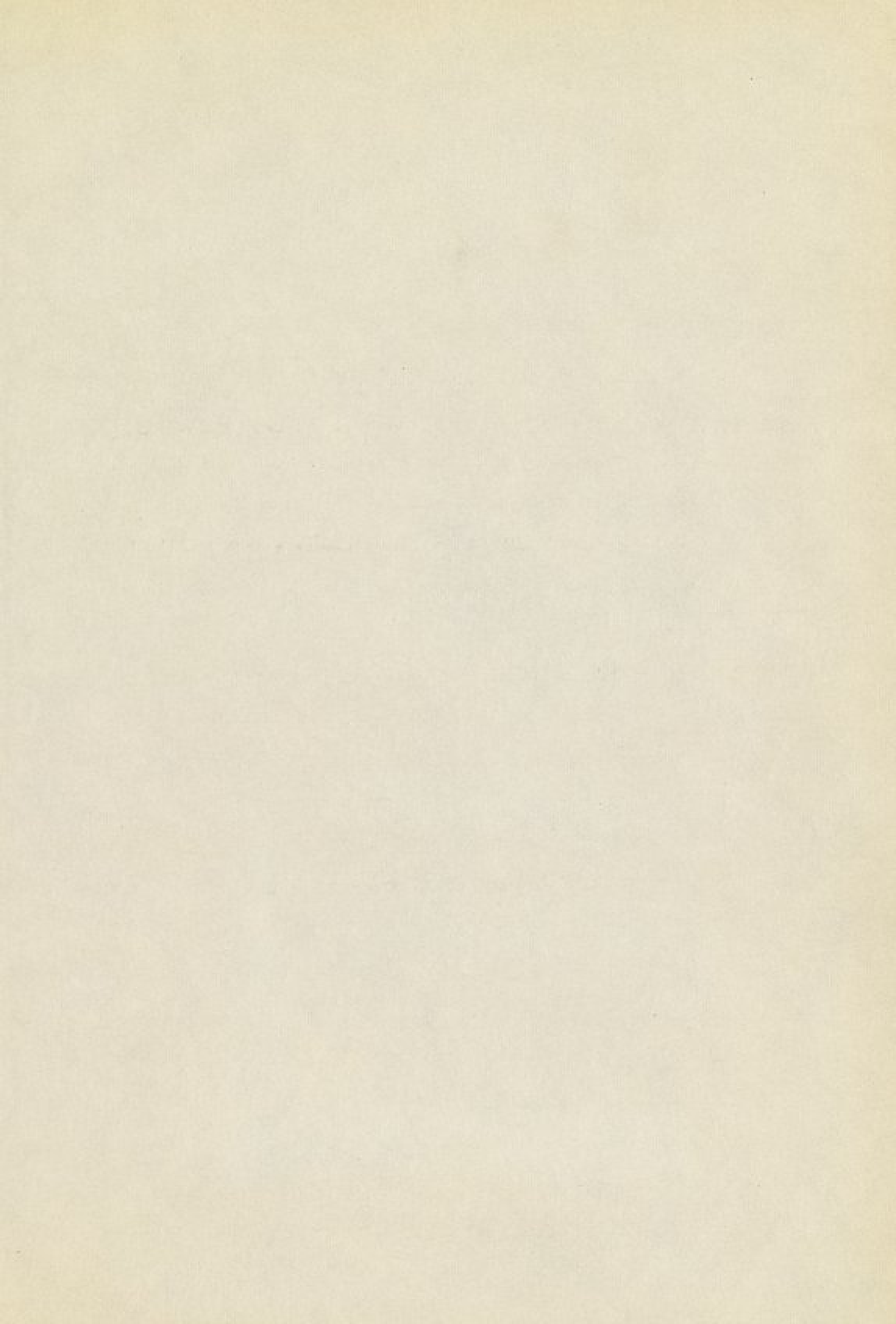
تاليف

بدري محمد فهد

ربيع اول ١٣٨٧هـ — حزيران ١٩٦٧م

مطبعة الارشاد ـ بغداد

رسالة نال بها مؤلفها درجـة
الماجستير بتقدير جيـد جـدا
من جامعة بغداد ؟



المقـــدمة

المقصود بالعامة في هذا البحث هم الجمـاهير من العمـال والفلاحين وذوي المهن الاخرى ، التي عاشت ببغداد وما جاورها في القرن الخامس الهجري • وكان الغرض من هذا البحث هو دراسة حياتهم الاجتماعية كما تتجلى في فصول الرسالة التالية : الفصل الاول والكلام فيه عن مفهوم العامة وذكر المنتمين اليها • والفصل الثاني عن احوالهم المعاشية من طعام ولباس ومسكن وحمامات • والفصل الثالث عن صور من حياتهم تتناول افراحهم في الاعياد والمناسبات المفرحة ، واتراحهم في الاحزان • ثم وسائل التسلية التي يملئون بها اوقات فراغهم • والفصل الرابع عن علاقاتهم الاجتماعية سواء كانت في بناء العائلة او في علاقات الجوار • والفصـل الخـامس عن ثوراتهم التي تظهر شعورهم الوطني والقومي الذي ادى بهم الى محاربـة حكامهم الغرباء ، وكيف استطاعت هـذه الثورات ان تنجح بعد القرن الخامس في التخلص من سيطرة هؤلاء الاجانب نهائيا حتى مجيء المغول • ثم حركات العيارين والشطار التي ترسم صورة واضحة لنشاطات العامـة وجوانب من اخلاقهم تتصل بمفاهيم الشجاعة والمروءة عندهم •

وقد اخترت بغداد في القرن الخامس لاسباب عدة : منها اني احـد ابنائها شعرت بأني استطيع فهم بيئتها وتذوق مزاجها وقـد اعانتني نشأتي بها على تفهم كثير من جوانب حياتها القديمة من عادات وقيم مختلفة • ومنها ان بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومركز الحضارة في ذلك الوقت ، فهي جديرة بكل بحث يتعلق بها او يكشف بعض جوانب حياتها • ومنها ان بغداد كانت مركز نشاط العامة لانهـا مركز الحياة الاقتصادية ففيها

تجمعات العمال وارباب المهن المختلفة ، واليها يحمل الفلاحون نتاج حقولهم ، ومنها يشترون ما يحتاجونه في حياتهم اليومية • والشيء الاهم هو غموض هذه الفترة اذا ما قورنت بكثرة من كتب عن الفترات التي سبقتها • لذلك فهي جديرة بكل عناية واهتمام •

ومن الجدير بالملاحظة ان كتب التاريخ الاعتيادية كانت منصبة عادة على التاريخ السياسي في كثير من الاحيان ، لذلك ارخت للخلفاء والسلاطين والامراء وذكرت الحروب والمعارك • واهملت كثيرا من مظاهر الحياة الانسانية بما فيها الحياة الاجتماعية • ولكن الاهتمام قد تحول في الوقت الحاضر الى كتابة التاريخ الاجتماعي • إلا أن التصدي لهذا الموضوع ليس بالامر السهل ، لاكتنافه بعض الصعوبات المتمثلة (اولا) في تحديد افق هذه الدراسة ، لان جوانب الحياة الاجتماعية متعددة • لذلك اضطررت الى ترك بعض الجوانب وعدم التعرض لها ، كمستوى المعيشة ، او الحالة العقلية ، او الخلقية ، او غيرها من مظاهر الحياة الانسانية • كما انني قد نبهت الى الامور التي لم اجد عنها مادة كافية عسى ان يجد من تمكنه ظروفه الاطلاع على مصادر غير التي استعملتها فيجد فيها مادة عن هذه الامور الغامضة • و (ثانيا) قلة المادة وتشتتها في بطون المصادر على اختلاف انواعها مثل كتب التاريخ والتراجم والطبقات والخطط والجغرافية وكتب الرحلة والفقه والحسبة والتصوف والتفسير والادب بانواعه ، مثل كتب المقامات والحكايات والاسمار او الكتب التي تدور حول المغفلين او الاذكياء او الطفيليين • وكتب الرسائل والخطب وكتب الامثال وكتب النصوص الادبية (كالبيان والتبين والمنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء) ودواوين الشعراء • وكتب الطب والنبات والادوية • والمعاجم (عربية واجنبية) اضافة الى الدراسات الحديثة عربية واجنبية بما فيها كتب الاثار وادلة المتاحف • ونظرة الى قائمة المصادر والمراجع في نهاية الرسالة تعطي فكرة عن هذه الانواع من المصادر القديمة والمراجع الحديثة التي رجعت

اليها • ومن ثم الصعوبة في التقاط المادة المشتتة فيها ، وتأليف هذه الرسالة•

اما تحديد الزمن بالقرن الخامس فلأن الفترة كانت غامضة ولأن البلاد قد تعرضت للحكم الاجنبي البويهي اولا والسلجوقي بعد ذلك وهذا ما دفعنا الى معرفة آثاره • وهذا التحديد لا يمثل باعتقادنا حاجزا فاصلا بين القرون ، لان الاتصال الشعبي من تركيب السكان الاثنولوجي ، والعادات والتقاليد ، ونفسية الشعب التي تكونت بمضي الزمان ، والحياة اليومية ، وبطء التبدل الاجتماعي قد استمر عبر القرون • وقد استمر هذا الاتصال حتى وقتنا الحاضر في بعض الوجوه • ولقد نبهت الى ذلك في اماكنه من البحث لذلك وجدت من الضروري في بعض الاحيان الرجوع الى الفترات السابقة او المتأخرة قليلا عن القرن الخامس لاستكمال الصورة الناقصة وتوضيح بعض الجوانب الغامضة •

وبعد فارجو ان اكون قد وفقت في الكشف عن بعض جوانب تاريخنا الاجتماعي •

ويسرني ان اتقدم بخالص شكري الى استاذي الدكتور عبدالعزيز الدوري لما تقدم به من ارشادات قيمة كان لها فضل كبير في كتابة هذه الرسالة • كما واحب ان اشكر الدكتور صالح احمد العلي والدكتور محمد مرزوق لما ابدياه من اقتراحات مفيدة • والاخ السيد نوري القيسي لتفضله بقراءة هذه الرسالة • وموظفات وموظفي المكتبات التالية : معهد الدراسات الاسلامية العليا ، وكلية الآداب ، ومكتبة الخلاني العامة ، والمكتبة الوطنية ، ومكتبة المتحف العراقي لما ابدوه من مساعدات قيمة •

بغداد ١٩٦٥/٧/١ **بدري محمد فهد**

دليل الكتاب

١ ـ ت = توفي

٢ ـ ج = جزء

٣ ـ خط = مخطوط

٤ ـ س = سلسلة

٥ ـ ص = صفحة

٦ ـ ط = مطبعة

٧ ـ ق = قسم

٨ ـ مج = مجلد

٩ ـ م٠س = المصدر او المرجع السابق ٠ ويستعمل هذا الرمز عندما يشار الى مصدر او مرجع مذكور في الهامش قبل هذا الرمز ، وقد فصل عنه بمصدر او مرجع او تفسير ٠

١٠ـ ن٠م = نفس المصدر او المرجع ٠ ويستعمل هذا الرمز عندما يشار الى مصدر او مرجع مذكور في الهامش قبل هذا الرمز مباشرة ٠ وبالانكليزية (Ibid) ٠

١١ـ اذا استخدم كتاب واحد لمؤلف ، وكثر الرجوع اليه فسيكتفى بذكر اسمه كاملا لاول اشارة اليه ، ثم يذكر اسم المؤلف فقط بعد ذلك ٠

١٢ـ اذا ذكر اسم المؤلف في المتن ، فسيذكر اسم كتابه فقط في الهامش ٠

١٣ـ يذكر اسم المؤلف في الهامش حسب شهرته (كنية او لقبا) ولذلك اسقطت كلمة الدكتور او الاستاذ ٠ اما اذا لم يكن المؤلف مشهورا بلقب او كنية ذكر اسمه كاملا ٠

١٤- يستطيع القارىء معرفة الاسم الكامل للكتاب والمعلومات الاخرى عن اجزائه ومكان طبعه وغيرها بالرجوع الى قائمة المصادر والمراجع في نهاية الرسالة .

١٥- لقد رتب عامل المطبعة ارقام الهوامش متسلسلة من بداية الفصل حتى نهايته دون علمي . فأقررتها مضطرا .

16— Dict. Vet: Ar.=Dictionnaire détaillé des noms des Vétements chez les Arabes.

17— E. 1=Encyclopaedia of Islam

18— E.Soc. Scie=Encyclopaedia of Social Sciences

19— M. I. T.=Material for a history of Islamic textiles up to the mongol conquest.

الفصل الأول

العامة

١ ـ مفهوم العامة :

العامة هي خلاف الخاصة[١] • ويراد بالخاصة اصحاب الخليفة من ذوي قرباه[٢] ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقواد والاشراف[٣] • والقضاة والشهود[٤] • علاوة على بعض المقربين من اهل الفن الموهوبين والعلماء واهل الادب[٥] •

ولما بنيت دار الخلافة العباسية ببغداد ، جعلوا لهؤلاء بابا خاصا بهم يدخلون منه سموه (باب الخاصة)[٦] ، وجعلوا في هذه الدار (مطابخ خاصة)[٧] و (اسطبلات خاصة)[٨] • ومقابل ذلك جعلوا للعامة مرافقهم

---

(١) الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية ٥ : ١٩٩٣ ، ابن منظور : لسان العرب ١٢ : ٤٢٦ ، الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان : ١٠ ، الفيروزاباذي : القاموس المحيط ٤ : ١٥٤ ، الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ٨ : ٢١٠ •

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٩ : ١٩١ •

(٣) الشريف : كلمة تطلق على العباسيين والعلويين عموما ـ انظر ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ٧ : ٢٤٠ ، ٢٧٦ ، ٨ : ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، الاصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر : حاشية ص ٣٥١ ، ابن الاثير ١٠ : ٥٨ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٣ : ٢٦٤ •

(٤) قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ٤١ ، الصابي : رسوم دار الخلافة : ٢١ ، ابن سيدة : المخصص ٣ : ١٣٧ والشهود جماعة يختارهم القضاة من الناس المعروفين باستقامتهم وتقواهم ليساعدوهم بالادلاء بشهاداتهم عن الناس الذين يقدمون للقضاء •

(٥) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ٥ : ٨٤ وانظر جرونيباوم : حضارة الاسلام : ٢٧٢ ، ٢٧٣ •

(٦) الصابي : رسوم : ٧٦ ، ٨٥ •

(٧) ن•م : ٢٢ •

(٨) الصابي : الوزراء : ٢٢ •

الخاصة بهم مثل (باب العامة) وهكذا[٩] .

وكان هؤلاء الخاصة يختلفون نفوذا وسطوة باختلاف الخلفاء ، واختلاف الظروف المحيطة بهم[١٠] .

اما سبب تسمية العامة بهذاالاسم فيعود الى كثرتهم وعدم احاطة البصر بهم[١١] وبذلك اختلفوا عن الخاصة المذكورين اعلاه . ومصداقا لذلك نرى ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) يصفهم بـ « السواد الاعظم »[١٢] اي انهم كانوا يشملون القطاع الاوسع من الشعب .

ولم يكن اختلاف العامة عن الخاصة بكثرة عددهم فقط ، بل اختلفوا عنهم بكونهم ليسوا من اصحاب السلطة . اذ ان من معاني العامة السوقة[١٣] . وهي كما يقول الجوهري (ت ٣٩٢هـ / ١٠٠١م) « خلاف الملك . والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والانثى في ذلك سواء ، والجمع السوق وقيل اوساطهم »[١٤] وقد اكد ذلك ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) بقوله « السوقة بمنزلة الرعية التي تسوقها الملوك وسموا سوقة لان الملوك يسوقونهم فينساقون لهم . يقال للواحد سوقة وللجماعة سوقة[١٥] .

---

(٩) ابن الزبير : الذخائر والتحف : ١٣٢ ، وابن الجوزي : المنتظم ٨/٢٨٥ .

(١٠) زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ٥ : ٢٧ .

(١١) الصفدي : ١٠ .

(١٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري : ٣٣١ .

(١٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم : ٧٧ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة الاسلام ٥ : ٩٢ .

(١٤) الصحاح ٤ : ١٤٩٩ .

(١٥) اللسان ١٠ : ١٧٠ .

اما الذين ينتمون الى العامة فهم أهل المهن[16] والصنائع[17] والتجار[18] والخدم (من الاماء والرقيق)[19] ، والفلاحون[20] ، والجند[21] واللصوص[22] ، والعيارون والشطار[23] .

ويبدو ان النظرة الى العامة لم تكن تنطوي على احترام . ومن هنا نجد التسميات الاخرى التي اصبحت مرادفة لكلمة العامة ، والتي لا تخلو من استهانة او نقد . فقد وصف بعض اهل الصنايع والباعة بانهم من سفلة الناس ، امثال الحائك والطيان والفلاح[24] ، وبائع السمك[25] ، وقد وصف الجند بانهم من سقاط الناس[26] . وبالاضافة الى هذه الاوصاف الفردية ، فان هناك اوصافا قصد بها العامة جميعا دون تمييز بين حرف الناس وصنائعهم . فمن ذلك قول المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) « بان الناس قد اجمعوا على تسميتهم بالغوغاء »[27] واما الصابي (ت ٣٨٤هـ /

---

(١٦) الجاحظ : رسالة في وصف العوام ـ في أثناء كتاب طراز المجالس للخفاجي : ١٧٥ ، قدامة بن جعفر : ٤١ .

(١٧) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢١٠ .

(١٨) أنظر عن النجار ص : ٦٣ من هذا الفصل .

(١٩) الغزالي : الرد على فضائح الباطنية : ٥٣ .

(٢٠) الجاحظ : رسالة في وصف العوام : ١٧٥ ، البيان والتبيين له ١ : ١٣٧ ، وأنظر الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري : ٢٣٧ .

(٢١) ابن منظور ٧ : ٣١٧ ، وانظر الطاهر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ١ : ٥٦ .

(٢٢) قدامة بن جعفر : ٤١ .

(٢٣) سيكون الكلام على العيارين والشطار في الفصل الخامس .

(٢٤) الجاحظ : رسالة في وصف العوام : ١٧٥ .

(٢٥) ابن منظور ١١ : ٣٣٨ .

(٢٦) ن٠م ٧ : ٣١٧ .

(٢٧) مروج ٥ : ٨٧ .

٩٩٤م) والغـزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) فسـمياهم بـ « الجماهير الدهماء »[٢٨] ولقبهم ابن عساكر « بالجهال الاغتام »[٢٩] ووصفهم مسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) بالسقاط[٣٠] • ولقبهم الحسيني (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) بغاغة بغداد[٣١] • ومن الاوصاف الاخرى التي اطلقت عليهم الاوباش[٣٢] •

ونتيجة لفعاليات العامة ونشاطهم اهتم بهم الادباء ، فجمعوا اخبارهم ، ووصفوا اخلاقهم • فقد جاء عن الشاعر الصيمري (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) انه الف بعض الكتب في العامة منها كتاب (دعوة العامة) وكتاب (مساوىء العوام واخبار السفلة والاغتام)[٣٣] • وكتب ابو عقـال الكاتب[٣٤] • كتابا اسماه (الملهي) تناول فيه وصف اخلاقهم وشيمتهم ومخاطبتهم[٣٥] • ونرى المسعودي يهتم هو ايضا بهذه الناحية فيقول في مروجه انه لولا خوفه من التطويل لشـرح من « نوادر العـامة ، واخلاقهـا وطرائف افعالهـا عجـائب »[٣٦] • كما ان ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) قـد ذكرهم في كتابه المخصص تحت عنوان « غمار الناس ودهماؤهم » وجعل تحت هذا العنوان اسماء كثيرة للعامة • منها غمـار الناس • ودهمـاؤهم ، وخمـار الناس ، والغرثاء من الناس ، وخمان الناس ، وتحوت الناس ، وحشـو

---

(٢٨) الصابي : رسائل ١ : ١٥٨ ، الغزالي : تهافت الفلاسفة : ٣٨ •

(٢٩) تبيين كذب : ٣٣١ •

(٣٠) تهذيب الاخلاق : ٣٦ •

(٣١) أخبار الدولة السلجوقية : ٢٠ •

(٣٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤١ ، ١٠ : ١٣٣ •

(٣٣) الحموي : ارشاد الاريب الى معـرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء أو طبقات الادباء ٦ : ٤٠١ •

(٣٤) لم نعثر على ترجمته •

(٣٥) المسعودي : مروج ٥ : ٨٨ •

(٣٦) ن٠م •

الناس ، والهباء من الناس ... الخ[٣٧] .

وابرز صفات العامة الجهل والفقر . اما الجهل فقد يشير الى نقص في الثقافة العامة ، او الى عدم المعرفة بالامور الدينية التفصيلية . فابن دريد (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) يستعمل كلمة العامة مرة والناس مرة اخرى يريد بهم الناس الذين يلحنون في لفظ الكلمات العربية او يولدون لفظا لم يكن معروفا لدى عرب الجزيرة[٣٨] . وقد ذهب هذا المذهب الحريري (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) حيث قال « فاني رأيت كثيرا ممن تسنموا اسنمة الرتب ، وتوسموا بسمة الادب قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم ... »[٣٩] . ونرى التوحيدي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠) يبين جهل العامة بامور الثقافة العامة بقوله بان العامي يتوهم انه يعرف « سر الكلام وغامض الحكمة ، وخفي القياس ، وصحيح البرهان »[٤٠] . واما المكي (ت ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) فانه يرى بان العوام بسطاء وانهم معترفون بجهلهم لذلك فهم الى الرحمة اقرب[٤١] . ويوضح مسكويه مقدار جهل العوام وقصور عقلهم بالنسبة للعلماء بقوله ان « ما يفهمه العلماء ويدركونه بعقولهم يتراءى للعوام كأنه من وراء ستر »[٤٢] . ويرى الحميري (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) ان سبب تسمية العامة بهذا الاسم هو جهلهم بالامور الدينية التفصيلية ، والتزامهم بالعموم فقط . فهم يقرون بالله وبرسوله وكتابه ،

---

(٣٧) المخصص ٣ : ١٢٧ – ١٢٨ .

(٣٨) الاشتقاق : ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٣٧٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٥١٢ ، ٥٥٥ .

(٣٩) درة الغواص في اوهام الخواص : ٢ .

(٤٠) الامتاع والمؤانسة ١ : ١١٧ .

(٤١) قوت القلوب ٢ : ١١ .

(٤٢) تهذيب : ١٢١ .

وما جاء به رسول الله (ص)[٤٣] • ولهذا ايضا وصفوا بانهم لا يعرفون اسرار الشرع[٤٤] • وكذلك وصفوا بانهم لا يعرفون علم الكلام والفلسفة[٤٥] وحسب هذا المفهوم نرى ان كلمة العامي كانت تطلق على كل الناس الذين لم يكن لهم المام بالثقافة العامة كألمام (الموظفين والحاشية) او تخصص باحد فروع المعرفة كتخصص (العلماء والادباء) • ولهذا رأينا كلمة العامة تطلق حتى على التجار واصحاب الثروات الطائلة ، فقد وَصف الوزير ابن الفرات (٣١٢هـ / ٩٢٤م) اشهر تاجر في القرن الرابع الهجري وهو ابن الجصاص بانه « رقيع عامي »[٤٦] • وقد ذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) شخصا لا يحسن الجواب فقال « هذا ابن حملان يملك الف الف درهم قصدته يوما فبينما انا عنده عطس فقلت له يرحمك الله فقال لي يعرفك الله »[٤٧] •

وكان الفقر الميزة الثانية التي تميز العامة ، ولهذا رأينا الجاحظ يورد كلاما يجعل فيه العوام والحشوة كصف مقابل للمياسير وأهل الثروة[٤٨] • وكذلك جعل الكازروني[٤٩] العامة في زمرة الفقراء والايتام في اثناء كلامه على الرسوم المتبعة في دار الخلافة ببغداد عند حلول شهر رمضان وكيفية توزيع الانعام عليهم[٥٠] • ومن الجدير بالذكر ان الفقراء من العلماء لم

---

(٤٣) الحور العين : ٢٠٤ وانظر الخوارزمي : ٧ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٧٦ •

(٤٤) الغزالي : الرد على فضائح الباطنية : ٢٧ •

(٤٥) ابن الجوزي : تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء : ٨٠ •

(٤٦) التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ ١ : ٢٦٣ •

(٤٧) ابن الجوزي : أخبار الحمقى والمغفلين : ١٢٦ •

(٤٨) البخلاء : ٧٠ •

(٤٩) من أهل القرن السابع الهجري •

(٥٠) مقدمة في قواعد بغداد : ٢٥ •

يكونوا يعدون في زمرة العامة بالرغم من فقرهم او مزاولتهم مهنا ارباحها قليلة(٥١) . على الضد مما ذهب اليه بعض المحدثين(٥٢) .

ولقد كانت اصول عامة بغداد البشرية متعددة ، فهم اخلاط من العرب والفرس والترك والديلم والنبط والارمن والجركس والاكراد والكرج والبربر(٥٣) . ولكنهم يعدون عربا لتغلب اللغة العربية على السنتهم(٥٤) .

اما من ناحية الدين فان الغالبية العظمى كانت من المسلمين ـ على اختلاف مذاهبهم ـ اضافة الى اهل الذمة من اليهود والنصارى(٥٥) الذين كانوا يعيشون مبثوثين في محال بغداد المختلفة(٥٦) . وفي محالهم الخاصة بهم ايضا(٥٧) .

---

(٥١) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٢٣٥ ، ٣٢١ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٣ : ٨٤ .

(٥٢) لقد جعل بعض المحدثين الادباء والعلماء وأهل الفن في عداد العامة امثال زيدان : التمدن ٥ : ٤٤ ، والزهيري : الادب في ظل بني بويه : ٤١ .

(٥٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٢٨ وأنظر زيدان ٥ : ٥١ ، الطاهر ١ : ٦٢ ، الجواري : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث : ٣٥ .

(٥٤) الجواري : ٣٥ .

(٥٥) المسعودي : مروج ٩ : ١٤ ، ١٥ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٣٠٤ ، وأنظر الطاهر ١ : ٦٢ .

(٥٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك : س٣ مج٣ ص١٣٨٩ وما بعدها سنة ٢٣٥هـ ، الماوردي : الاحكام السلطانية والولايات الدينية : ٢٥٦ ، بنيامين : رحلة بنيامين : ١٣٩ سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م ، ابن الاثير ١٠ : ١٧١ سنة ٥٠١هـ ، وأنظر آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٧٥ .

(٥٧) الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٧٩ .

٢ ـ فئات العامة :

أ ـ الخدم : وكانوا رقيقا واحرارا[٥٨] ، نساء ورجالا[٥٩] • يشتغلون في خدمة الناس في بيوتهم ، او في خدمة الخليفة وحاشيته في دور الخلافة • ومعلوماتنا عن الخدم الاحرار نادرة جدا ، لذلك سنتناول الخدم الرقيق باصنافهم الثلاثة (الجوارى ، والرقيق ، والخصيان) •

وكانوا يحصلون على الرقيق من مصدرين ، اولهما الحرب حيث كانت عاملا مهما في جلبه الى بغداد وبيعه في اسواقها ، وخاصة في العصر العباسي الاول[٦٠] • والتي استأنفت في القرن الخامس الهجري على يد السلاجقة[٦١] • الذين لاشك انهم كانوا يجلبون اسراهم خلال مجيئهم الى بغداد[٦٢] • ومن ثم بيعهم كرقيق في اسواقها •

وثانيهما التجارة التي كانت مستمرة منذ بداية العصر العباسي وحتى القرن الخامس وما بعده[٦٣] • فكانوا يأتون بالرقيق الصقلبي والرومي

---

(٥٨) التنوخي : نشوار ٨ : ٣٨ وأنظر فنسنك : خادم ـ دائرة المعارف الاسلامية مج ٨ : ١٨٠ •

(٥٩) الصابي : رسوم : ٨ ، وانظر زيدان ٥ : ٢٨ •

(٦٠) الطبري : س٣ مج١ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ، ١٤٠ ، البلاذري : فتوح البلدان : ٣٩٢ ، ٤٣١ ، الاصفهاني : الاغاني ١٠ : ٩٥ ط دار الكتب •

(٦١) الحسيني : ٣٥ ـ ٣٨ ، ٤٠ سنة ٤٥٦هـ ، ٤٣ ـ ٤٦ سنة ٤٦٠هـ ، ٤٦ ـ ٥٣ سنة ٤٦٣هـ والبنداري : زبدة النصرة ونخبة العصرة المنشور باسم تاريخ آل سلجوق : ٣٠ ٤١ ، ٥٢ •

(٦٢) لقد جاء الى بغداد من سلاطين السلاجقة طغرلبك ـ البنداري : ٩ سنة ٤٤٧هـ ، ١٦ سنة ٤٥٠هـ ، ٢٤ سنة ٤٥٥هـ ، والسلطان ملكشاه ـ البنداري : ٧٣ سنة ٤٧٩هـ ، ٧٥ سنة ٤٨٤هـ والسلطان محمد طبر ـ الحسيني : ٨٠ سنة ٥٠١هـ •

(٦٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة : ٢٦ ، ٢٨ ، ابن الفقيه : البلدان : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ابن بطلان : شري الرقيق ـ ضمن المجموعة الرابعة من نوادر المخطوطات : ٣٥٦ ، ٣٧١ ـ ٣٧٨ نشر هارون •

والزنجي[٦٤] والتركي[٦٥] . ويعرضونهم في اسواق النخاسة ببغداد فيشتريهم الناس[٦٦] . ولهذا سمي احد شوارع بغداد باسم (شارع دار الرقيق)[٦٧] . كما سمي موضع آخر باسم (باب النخاسين)[٦٨] .

اما الجواري فقد كثرن ببغداد ، واعتاد المجتمع البغدادي على وجودهن لذلك لا نشعر بوجود تحرج في توليدهن او الزواج بهن[٦٩] . وهذا ما يفسر لنا كون اغلب خلفاء بني العباس من امهات الاولاد[٧٠] ، ولم يكونوا من عربيات . (اذا ما استثنينا ابا العباس السفاح والمهدي[٧١] ، ومحمد الامين[٧٢]) . ولا يقتصر هذا على خلفاء بني العباس في عصرهم الاول . بل كان خلفاء القرن الخامس ايضا ابناء لاعجميات . فالقائم بأمر

---

(٦٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٩٩

(٦٥) ابن بطلان : ٣٨٧ .

(٦٦) الجاحظ : رسالة في القيان ـ ضمن مجموعة ثلاث رسائل : ٦٥ نشر فنكل ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ١٥٣ ، ١٥٤ ، الغزالي : هداية المريد في تقليب العبيد ـ ضمن المجموعة الرابعة ، من نوادر المخطوطات : ٣٩٥ ـ ٤١٠ نشر هارون .

(٦٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤ .

(٦٨) اليعقوبي : البلدان : ١٣ .

(٦٩) ان هناك خلافا حول جواز الزواج بالجارية ، اذ ان بعض الفقهاء جوز الزواج بها بصورة مطلقة ، وبعضهم الآخر وضع شرطين لجواز زواج الحر بالجارية وهي ان لا يكون قادرا على زواج الحرة ، وان يتوقع حدوث المشاكل بينهما ، انظر ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٢ : ٤٢ .

(٧٠) أنظر كتاب ابن الساعي : نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء .

(٧١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ٢٠ ، ٢١ .

(٧٢) ن.م : ٢٣ .

الله (٤٢٢-٤٦٧هـ / ١٠٢٠-١٠٧٤م) كانت امه قطر الندى رومية الاصل[٧٣] وابنه المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ / ١٠٧٤-١٠٩٤م) كان ابن جارية ارمنية[٧٤] اسمها ارجوان[٧٥] والمستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ / ١٠٩٤-١١١٨م) ابن جارية مولدة ايضا[٧٦] .

واول اهتمام ظهر في اتخاذ الجواري كان على يد زبيدة زوجة الرشيد وام الخليفة محمد الامين . فلما تولى ابنها الامين الخلافة اهدته كثيرا من جواريها[٧٧] . وفي عهد المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م) بلغ عدد جواريه ٤٠٠٠ جارية[٧٨] وفي عهد المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٧-٩٣٢م) بلغ عدد النساء في قصور الخلافة ٤٠٠٠ بين جارية وحرة[٧٩] . وقد استمرت قصور الخلافة في المقدمة من حيث احتوائها على اكبر مجموعة من الجواري في هذا القرن ايضا (اي الخامس الهجري[٨٠]) .ثم تأتي قصور القواد بالمرتبة الثانية[٨١] . وبقية الناس بالمرتبة الاخيرة. وهم يتفاوتون في شراء الجواري حسب حاجتهم ومستواهم المعاشي . ومن الطبيعي ان يكون التجار والاغنياء اول هؤلاء اقتناء للجواري[٨٢] .

---

(٧٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق : ١٠٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٨ .
(٧٤ ، ٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٩١ ، ٩ : ٢٠٠ .
(٧٦) ن.م ٩ : ٨١ .
(٧٧) اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم : ٢٧ ، المسعودي : مروج ٨ : ٢٩٨ .
(٧٨) المسعودي : مروج ٧ : ٢٧٦ .
(٧٩) الصابي : رسوم : ٨ .
(٨٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٨٥ ، البنداري : ١١٣ .
(٨١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٣ .
(٨٢) ألف ليلة وليلة ٢ : ٢٢٤ ، ٣٠٢ ، ٤ : ٥٥ ، ٢٠٩ .

ولشيوع بيع الجواري في المجتمع البغدادي اصبح لبعض تجار الرقيق (النخاسين) شهرة واسعة جاءت من وجود الجواري الحسان عندهم ، واقبال الشعراء والادباء عليهم . ومن هؤلاء النخاسين عمرو بن ابي عمرو[٨٣] ، وابو عمير ، وابو الخطاب ، وحرب بن عمرو الثقفي[٨٤] . اما في هذا القرن فكان ابو عثمان « من سماسرة هذا الشأن »[٨٥] ولقد برعوا في استعمال شتى صنوف الحيل والخداع في بيع الجواري . ولهذا وضعت بعض الكتب لتحذير الناس من حيل النخاسين عند شراء الجواري ، ومن هذه الكتب كتاب ابن بطلان (ت ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) الموسوم بـ (شري الرقيق وتقليب العبيد) . والذي اورد فيه اربع وصايا ينتفع بها في شراء الرقيق كما سمعت عن الحكماء والفلاسفة[٨٦] .

اما الوصية الاولى ؛ فهي تشرح ما يجب ان يكون عليه المستعرض للرقيق ، اثناء الشراء وكيف انه يستحسن ان يطيل النظر والتقليب . وان لا يستعرض الجارية ، شبق لانه سيكون مدفوعا بغريزته فيشتري من اول نظرة .

والوصية الثانية ؛ تحذر من شراء الرقيق في المواسم ، وذلك لان في مواسم بيع الرقيق يكون النخاسون قد اعدوا انواعا من الحيل يخدعون بها الناس . فمن ذلك انهم كانوا يغيرون الوان الجواري فيصفرون الوجوه البيضاء نتيجة القروح او البرص والبهق في الجلد . ويجعلون العيون الزرقاء كحلاء ، ويحمرون الوجوه المصفرة . ويسمنون الوجوه النحيلة . ويعمدون الى صبغ الشعور الشقر بالسواد . ويجعدون الشعور السبطة . ويبيضون الوجوه المسمرة . ويدملجون السيقان المعرقة . ويذهبون اثار

---

(٨٣) التنوخي : نشوار ١ : ١٢٠ .

(٨٤) أنظر أحمد أمين : فجر الاسلام ١ : ٨٣ ، ٨٤ .

(٨٥) ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٧٤ .

(٨٦) ن٠م : ٣٥٩ ـ ٣٦٤ .

الجدري والوشم والنمش والحكة •

والوصية الثالثة ؛ تنهي الشاري من الاكتفاء باول ما يسمعه من الجارية اذ قد تقول شيئا ما يوافق طبع الشاري ، ثم بعد شرائها لا يجد عندها ما يوافق طبعه وخلقه •

والوصية الرابعة ؛ موجهة لاولياء الامور من رجال السياسة والحرب • خاصة اولئك الذين لهم اعداء يخافون بطشهم ، والغدر بهم ، او ان يطلعوا على اسرارهم • فعلى الشاري ان يحذر في هذه الحالة من ان يشتري الجارية التي اخرجت من دار سلطان ، مخافة ان يكون في اخراجها حيلة مدبرة •

والى جانب هذه الوصايا فان هناك مقاييس خاصة وضعوها لمعرفة الجارية الجيدة من الرديئة • وتطبق هذه المقاييس على الجارية ابتداء من اخمص قدميها وانتهاء باعلى رأسها ، وتشمل اعضاء جسمها الخارجية والداخلية[٨٧] • والى جانب هذه المقاييس فان هناك مقاييس اخرى لاكتشاف اخلاق الجارية ، تعتمد على الفراسة[٨٨] •

ان الطرق المنوعة التي ابتكرها النخاسون في التمويه على الشاري من اجل تصريف بضاعتهم من الجواري ، تعكس مدى ما وصلت اليه الحضارة العباسية من الرقي في ميادين صناعة الكماليات كالاصباغ والمعاجين التي استخدمها النخاسون في ترويج بضاعتهم • اضافة الى الادوات التي تزيل الشعر من الوجه أو الانف أو تقلم الاضافر ، أو تجعد الشعر • أو العطور والادوية التي تزيل روائح الانف ، وتجلوا الاسنان ، وتقتل القمل وبيضة

---

(٨٧) ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٥٩ ــ ٣٦٤ •

(٨٨) ن٠م : ٣٦٥ ــ ٣٧٠ •

في الشعر والبدن . وتحويل الثيب[٨٩] كالبكر ، واخفاء الحمل[٩٠] وما اليها مما تعاون على اختراعه الكثير من ارباب الصنائع ببغداد علاوة على النخاسين .

وكانت تجارة الجواري مربحة ورائجة . ولقد استقرت لها اصول فاصبح هناك التاجر ، والجلاب ، والنخاس ، ولكل من هؤلاء دور معلوم في عملية البيع والتجارة هذه[٩١] .

وكان من حق المشتري ان يقلب الجارية ذات اليمين وذات الشمال ، وان يكشف عن ساقها ، وينظر في كل موضع ماخلا (حضوة الخلوة)[٩٢] . وقد استمرت تجارة الجواري هذه طيلة القرن الخامس الهجري[٩٣] وكان من الطبيعي ان يحدو كل مشترٍ هدف معين في شرائه الجواري ، فبعضهم يريدها لتقوم في بيته مقام الزوجة[٩٤] . فان اولد الرجل الحر جاريته فانها تبقى مملوكة له ولكنها تصبح (ام ولد) وعندها لا يحق له بيعها ما دام حيا . فان مات فانها تصبح حرة . واما ابنها فانه حر من اليوم الذي يولد فيه[٩٥] . وبعضهم يتخذ الجواري للتسري[٩٦] . وبعضهم

---

(٨٩) المرأة الثيب : هي التي دخل بها ـ الرازي : مختار الصحاح : ٨٩ .

(٩٠) ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ، السقطي : في آداب الحسبة : ٥٠ ٩

(٩١) ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٥٦ .

(٩٢) الجاحظ : النساء ـ ضمن كتاب رسائل الجاحظ ، نشر السندوبي : ٢٧٤ .

(٩٣) م.س : ٣٥٨ ، ابن الاثير ١١ : ١٠٤ ، ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد مج ١٠ خط ـ ورقة ١٥ (ب) .

(٩٤) ابن الاثير ٩ : ٢٣٠ .

(٩٥) ابن رشد ٢ : ٣٦٣ ، ٣٨٥ ـ ٣٨٧ ، وأنظر أحمد أمين : ضحى الاسلام ١ : ٨٢ .

(٩٦) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٦٣٥ .

الآخر يشتري الجارية لتخدمه في بيته[٩٧] ، كأن تنظف له البيت ، وتحمل له الماء[٩٨] وآخرون يريدون الجواري لتربية أطفالهم[٩٩] • فاذا احتاج بعضهم الى المال باع جاريته[١٠٠] •

وان الجواري اللاتي كن يعشن في قصور الخلفاء والامراء احسن حالا من سواهن ، اذ كن مرفهات تحيط بهن الرعاية من كل مكان • فكن يلبسن الملابس الجميلة بما فيها من سراويل موشاة ذات تكك من الابريسم[١٠١] • وكانت الجارية التي تعيش في هذه القصور تستطيع ان تتقدم على قريناتها ـ لموهبة ما تمتلكها ـ فتفوز بمحبة الخليفة او اعجابه بها ، وقد يبلغ الامر ان تصبح ام ولد، وعند ذلك قد يصبح لها نفوذ سياسي في دورالخلافة • وقد يكون لها ضلع فيما يحاك من المؤامرات[١٠٢] كما حدث في عام (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) عندما وضعت القهرمانة (شمس النهار) السم في طعام الخليفة المقتدي بامر الله وقتلته[١٠٣] •

واضافة الى شراء الجواري او الاحتفاظ بهن للتسري ، فان بعض الجواري جمعن في دور الخلافة للزينة والابهة[١٠٤] • حيث اضفين بما لبسنه من فاخر الثياب ، وما اظهرن من جمال ، جمالا ورونقا • وكن

---

(٩٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٦ ، ملتقط الحكايات له ـ بحاشية كتاب رونق المجالس للنيسابوري : ٤١ •

(٩٨) القاري : مصارع العشاق ٢ : ٣٦ •

(٩٩) ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٨٦ •

(١٠٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٥ : ٩٢ •

(١٠١) ن•م ٤ : ٣٢ •

(١٠٢) أنظر ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٥٦ آدم متز ١ : ٢٥٤ •

(١٠٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٨ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول : ١٩٤ •

(١٠٤) مجهول : مناقب بغداد : ١٥ •

يشتغلن في خدمة زوجات الخلفاء[١٠٥] • او يكن وصيفات لهن[١٠٦] •

وكان بعض الناس يشتري الظريفات المتأدبات[١٠٧] • وكلما كانت الجارية ظريفة ، او انها تروي الشعر فان سعرها يكون اغلى من سواها[١٠٨] • وقسم من الشباب تروق لهم الجارية، او يعشقونها فيشترونها من ذويها[١٠٩] • وهناك من يشتري الجارية لحسن غنائها ، لتغني له وحده[١١٠] ، او انه يجمع اصحابه في بيته للاستئناس وقضاء الوقت • ومنهم من يشتري الجواري المغنيات لكي يجعل من بيته ناديا يكتسب من ورائه ؛ حيث يجتمع فيه الشباب ، محبو الغناء والمجون[١١١] • وقد بلغ عدد الجواري المغنيات ببغداد في القرن الرابع ٤٦٠ جارية على ما يقول التوحيدي • وقد اضاف ايضا ان هذا الرقم هو بالنسبة للمغنيات الظاهرات منهن غير المستترات او اللاتي يحافظ عليهن اولياؤهن[١١٢] • اما في القرن الخامس فاننا لم نستطع العثور على تقدير لعدد الجواري المغنيات

---

(١٠٥) التنوخي : المستجاد من فعلات الاجواد : ٢٣ •

(١٠٦) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٣٠ •

(١٠٧) القاضي الجرجاني : المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء : ٦٩ ، وأنظر الغزولي : مطالع البدور في منازل السرور ١ : ١٩٤ •

(١٠٨) ابن سلام الجمحي : طبقات الشعراء : ٦ ، التنوخي : نشوار ١ : ١٣٢ •

(١٠٩) القاري ٢ : ٢٢٩ •

(١١٠) ن٠م ١ : ١٦٨ ، ١٧٠ ، وأنظر ابن الاخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة : ٢١٣ •

(١١١) ابن الجوزي : أخبار الظراف والمتماجنين : ٩٧ •

(١١٢) الامتاع ٢ : ١٨٣ وقد أورد هذا الخبر الازدي في حكاية ابي القاسم البغدادي : ٨٧ •

وذلك لاسباب سيأتي ذكرها في موضعها[113] . وكان بعض الصناع يشتري الجارية لتساعده في صنعته[114] .

ان هذه الكثرة من الجواري ببغداد جعلت الناس يتهادون بهن كما تهدى الحلي والجواهر مجاملة وملاطفة . وكان اول من بدأ بذلك الخليفة المهدي حيث اهدى زوجته الخيزران الف وصيفة مع هدايا اخرى والف وصيف[115] . ثم اهدت زبيدة زوجة الرشيد ابنها محمد الامين جواري صيرتهن على هيئة غلمان ولذلك سمين بالغلاميات[116] . ثم اهدت محظية المتوكل واسمها شجر الى الخليفة المتوكل في يوم المهرجان[117] عشرين جارية مع جملة من الهدايا[118] . وقد كانت الهدايا هذه ترسل الى خلفاء بني العباس من الحكام في الاقطار الاخرى ايضا كما حدث بالنسبة للخليفة المكتفي بالله حيث اهداه زيادة الله بن الاغلب صاحب المغرب في سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م هدايا كثيرة كان في جملتها مائة خادم ومائة جارية[119] . كما اهدت برتا[120] ملكة الافرنج هذا الخليفة نفسه هدايا كثيرة كان فيها عشرون جارية صقلبية[121] وعشرون خادما صقلبيا ،

---

(١١٣) أنظر الفصل الثالث ٢ ـ المسليات وملء الفراغ (مجالس الغناء) ص ٢١٨ فما بعدها .

(١١٤) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٩٧ .

(١١٥) ابن الزبير : ١٨ .

(١١٦) المسعودي : مروج ٨ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(١١٧) أنظر ص ١٩٩ .

(١١٨) ابن الزبير : وقد أورد الغزولي اسم المحظية هكذا « شجرة الدر » ٢ : ١٣٦ .

(١١٩) ابن الزبير : ٤٩ .

(١٢٠) وهي حفيدة شارلمان واسمها برتا فيليا لوتارى ـ أنظر حاشية ص ٤٨ من كتاب ابن الزبير .

(١٢١) الرقيق الصقالبة كان يؤتي بهم من شرق اوربا .

وكان ذلك في سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م[١٢٢] . وقد يهدي الامراء والسلاطين جواريهم الى الخلفاء كما حدث بالنسبة لجلال الدولة البويهي (٤١٦ - ٤٣٥هـ / ١٠٢٥-١٠٤٣م) في سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م[١٢٣] . وكما حدث للسلطان طغرلبك في سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م حيث اهدى الخليفة القائم ٣٠ غلاما وجارية[١٢٤] .

كما ان الخليفة نفسه كان يهدي الجواري الى وزرائه[١٢٥] . وكذلك كان الوزراء يهدون الجواري الى معارفهم[١٢٦] .

والى جانب هذه الهدايا الكبيرة ، كانت هناك هبات فردية يقوم بها افراد من الناس فيما بينهم . كأن يهدي الصديق صديقه جارية ، او الاخت اخاها[١٢٧] . وقد يهب الشخص جاريته لفرد اعجب بها اذا ما هزته اريحيته حتى وان لم يكن له به سابق معرفة[١٢٨] .

اما عن اجناس الجواري ، فقد كن ينتمين الى امم شتى واماكن مختلفة[١٢٩] . فمنهن الهنديات ، والسنديات ، والمدنيات[١٣٠] ،

---

(١٢٢) ابن الزبير : ٤٨ .

(١٢٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٣ .

(١٢٤) البنداري : ٢٠ .

(١٢٥) سبط ابن التعاويذي : الديوان : ٤٦٤ .

(١٢٦) التنوخي : المستجاد : ١٦٢ .

(١٢٧) القاري ٢ : ٢٧ .

(١٢٨) ابن النجار : خط مج١٠ ورقة ١٥ (ب) .

(١٢٩) ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٧١ - ٣٧٨ وأنظر السقطي : ١٥٩ .

(١٣٠ ، ١٣١) المدنيات نسبة الى المدينة المنورة ، والطائفيات نسبة الى مدينة الطائف .

والطائفيات[131]، والبربريات ، واليمانيات والزنجيات والزرنجيات[132]، والحبشيات ، والمكيات والزغاويات[133] ، والبجاويات[134] والنوبيات والقندهاريات[135] . والتركيات ، والديلميات ، واللانيات[136] ، والروميات ، والارمنيات والعراقيات .

وكانوا يرون ان لجواري كل جنس او منطقة معينة ميزات خاصة بهن . فقالوا عن الهنديات انهن يصلحن للولد . والسنديات يمتزن بدقة الخصور وطول الشعر . والمدنيات بانهن سمر الالوان معتدلات القوام ، لا غيرة فيهن على الرجال ، قنوعات بالقليل ، ولا يغضبن ولا يصخبن ، ويصلحن ان يكن قيانا . والطائفيات سمر مذهبات مجدلات ، اخف خلق الله ارواحا ، واحسنهم فكاهة ومزاحا ، الا انهن يكسلن في الحبل، ويهلكن في الولادة . والبربريات الوانهن على الاكثر سود ، ويوجد فيهن الصفر ،

---

(١٣٢) نسبة الى مدينة اسمها زرنج وهي عاصمة اقليم سجستان الواقع شرق ايران الحالية . أنظر الحموي : معجم البلدان ١ : ٣١ ، ٢١٠ ، ٢ : ٩٢٦ ، ٣ : ٤١ ، ٤ : ٧٨٢ ، ٨٦٠ .

(١٣٣) نسبة الى زغاوة وقد اختلف في اصلها فبعضهم يقول انها مدينة في جنوب تونس ، وبعضهم الآخر يقول انها قبيلة في جنوب تونس ، وانها من جنس السودان ـ الحموي : معجم البلدان ٢ : ٩٣٢ .

(١٣٤) وهذه النسبة اما ان تكون الى بجة المدينة الواقعة بين فارس واصبهان ـ الحموي : معجم البلدان ١ : ٤٩٧ واما ان تكون النسبة الى البجة ، وهي بلاد تقع بين الحبشة والنوبة أي ضمن السودان الحالية ـ الحموي : معجم البلدان ١ : ٣٠ ، ٢ : ٥٥٧ ، ٤ : ٨٦٤ كما وان ابن بطلان قد نسبها الى المعنى الثاني ـ شري الرقيق : ٣٧٥ .

(١٣٥) نسبة الى مدينة قندهار وهي التي تقع في بلاد السند (باكستان الحالية) ـ ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٥٦ .

(١٣٦) نسبة الى بلاد اللان القريبة من مدينة تفليس في اذربيجان الحالية ـ الحموي : معجم البلدان ١ : ٣٥٠ ، ٤٣٩ ، ٤ : ٢٥٩ .

فاذا وجدت من البربريات من امها كتامية[١٣٧] وابوهـا صنهاجي[١٣٨] ، وكانت مصمودية[١٣٩] المنشأ فانها تكون مطبوعة على الطـاعة والموافاة في كل الامور • نشيطة للخدمة ، وانها تصلح لانجاب الاولاد • اما العراقيات فانهن قد وصفن ببراعتهن بالتطريب والتغنج[١٤٠] •

وهناك من تكتسب عدة صفات الى جانب صفتها الاصـلية عن طريق تثقيفها في بلدان اخرى • فاذا توفرت فيها عدة من الصفات الطيبة المحببة تكون عند ذاك انموذجا للجارية المثالية • فمن ذلك « اذا اجتمع للبربرية مع جودة الجنس ان تجلب وهي بنت تسع حجج ، ثم كانت بالمدينة ثلاث حجج وبمكة ثلاث حجج ، ثم جاءت الى العراق ابنة خمس عشرة ، فكانت بالعراق في الادب ، ثم ملكت خمسا وعشرين سنة ، فتلك التي جمعت الى جودة الجنس شكل المدنيات ، وخنث المكيات ، وادب العراقيات ، واستحقت ان تخبأ في الجفون وتوضع على العيون • »[١٤١] •

ولقد نظـر المجتمع البغدادي الى الجواري على انهن اقل منزلة من النساء الحرائر • وحذر كثير من الشعراء والادباء من الاقتراب اليهن او منحهن الثقة ، او تصديق حبهن • لانهن يتاجرن بالحب ، ويجرين خلف المكاسب المادية قبل كل شيء • فهن يعشقن الفتى طالما كان كثير المال • ثم يلفظنه لفظ النواة في العراء اذا ما شعرن انه بات مفلسا • وفي هذا المعنى اورد الوشاء (ت ٣٢٥هـ / ٩٣٦م) هذه الابيات لبعض المحدثين[١٤٢] :

(١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩) البربر قبائل متعددة في شمال افريقية منها هذه القبائل المذكورة كتامة وصنهاجة ومصمودة ــ الحموي : معجم البلدان ١ : ٥٤١ •

(١٤٠) السقطي : ١٥٩ •

(١٤١) ابن بطلان : شري الرقيق : ٢٧٤ •

(١٤٢) الموشى أو الظرف والظرفاء : ١١٩ •

يا صاح ان القيان للغمر[١٤٣] للـ ـغر شباك يصـدن بالملـقِ
يهوين هـذا ويشتكينَ لـذا وجـدا ويرمقن ذاك بالحدق
حتى اذا مـا اقتنص ذا حمق مستهترا واستمال للومق[١٤٤]
نفضـنه واستلخن جلدتـه سلخا بطيب الدلال والفنق[١٤٥]

وذكر الوشاء في موضع آخر ابياتا لشاعر آخر فقال[١٤٦] :

صحوت فابصـرت الغوايـة من رشـدي
وايقنت اني كنت جرت[١٤٧] عن القصد
فـلا يَعَشـقَنْ من كـان يعشـق قينـة
فما هـو منهـا في سـعيد ولا سـعد
تـودك مـا دامت هـداياك جمـة
وترفُدِكَ عشـقا ما غنيت اخـا رفـد[١٤٨]
اذا مـا رأت في مجلس من تخـاله
غنيـا حَبَتْـه بالتحيـةِ والـوِد

ولقد وصف الجاحظ القينة[١٤٩] بانها « لا تخلص في عشـقها ولا تنصح في ودها » . وشرح اساليب القيان في ايقـاع الشـباب بحبهن ، بان

---

(١٤٣) رجل غمر : لم يجرب الامور ـ الرازي : مختار الصحاح : ٤٨٠ وغر : كذلك ـ الرازي : ٤٧١ .
(١٤٤) الومق : الحب ـ الرازي : ٧٣٧ .
(١٤٥) جارية فنق : منعمة ـ الفيروزاباذي ٣ : ٢٧٧ .
(١٤٦) الموشى : ١١٩ .
(١٤٧) الجور : الميل عن القصد ـ الرازي : ١١٦ .
(١٤٨) الرفد : العطاء والصلة ـ الفيروزاباذي ١ : ٢٩٥ .
(١٤٩) القينة : هي الجارية مغنية كانت أو غير مغنية ـ الرازي : ٥٦٠ .

الواحدة منهن اذا ما رأت شابا ابتسمت له ثم غازلته في الاشعار التي تغنيها وشاركته في الشراب • ثم اظهرت الشوق الى طول بقائه ، والصبابة بسرعة عودته • وانها تظهر الحزن لفراقه • وهكذا حتى اذا احست بانها قد تمكنت منه بدأت تشكو له همها ، وتشرح له هواها • ثم ابتدأت مرحلة اخرى حيث تشاركه في اكلها ، وتسقيه من شرابها ، وتمنحه من عطرها ، وتعطيه خصلة من شعرها • وتهديه في المناسبات هدايا منوعة كتكتها او خاتمها وقد نقشت اسمه عليه • ويقول ايضا « ربما قادها هذا التمويه الى التصحيح ، وربما شاركت صاحبها البلوى » اي وقعت هي في حبه ايضا • ولكنه يرجع فيؤكد بأن « اكثر امرها قلة المناصحة واستعمال الغدر والحيلة، في استنطاف ما يحويه المربوط والانتقال عنه » • ثم هي من جهة اخرى قد توقع في هواها اكثر من واحد ، كأن يكون ثلاثة او اربعة ، وكل واحد من هؤلاء لا يعلم بالاخر ويخلص الجاحظ الى القول بانه « ليس يحسن هاروت وماروت وعصا موسى وسحرة فرعون الا دون ما تحسنه القيان »[١٥٠] •
اما الوشاء فانه قد اورد بعض كلام الجاحظ ، الا انه زاد عليه في شرح اساليبهن التي يوقعن بها الشاب • ومن ثم استعمالهن اساليب اخرى في استنزاف اموال الشباب كأن يطلبن الهدايا المنوعة مثل الثياب العدنية والازر[١٥١] النيسابورية ، والعمائم السوسية ، والتكك الابريسمية ، والخفاف الرنانية[١٥٢] ، والنعال الكنباتية[١٥٣] ، والعصائب

---

(١٥٠) رسالة في القيان : ٧٠ •

(١٥١) أنظر عن الملابس ص ١٥٢ فما بعدها •

(١٥٢) الران كالخف الا انه لا قدم له ، وهو أطول من الخف ـ الفيروزابادي ٤ : ٢٣٠ •

(١٥٣) الكنب : غلظ يعلو الخف ـ الفيروزابادي ١ : ١٢٦ •

المرصعة[١٥٤] ، وخواتيم الياقوت، والمسك الاذفر[١٥٥] ، والعنبر الاشهب، والعود الهندي والفراريج ، والبط الصيني ، والدجاج ، والفاكهة وغيرها من الهدايا • حتى اذا قل المال وشعرت الجارية بقرب افلاس الشاب ، اظهرت الملل ثم هجرته بعد ذلك لتعاود نشاطها مجددا مع غيره من ذوي المال[١٥٦] •

ان وضعية الجواري وما يتعرضن له من ذل ـ اضافة الى الدافع الذاتي ـ ، له اثر في اكتساب الجواري صفات الخداع والغدر وحب المال • وذلك انهن كن ينتقلن من يد الى اخرى ، وهذا يؤدي الى عدم ثقتهن واطمئنانهن الى مستقبلهن • ومن ثم فهن يعشن في حاضرهن ولحاضرهن فقط ـ وليس معنى هذا اننا لم نعدم امثلة شاذة على ذلك ، تتجلى بالطموحات اللاتي يرغبن في التوصل الى مركز اجتماعي او سياسي راق • كجواري الخلفاء اللاتي بعد ان يصبحن امهات اولاد يستطعن ان ينلن ما كن يطمحن اليه ـ وأمر آخر هو تنقلهن من بلد الى آخر على ايدي هؤلاء النخاسين • الذين لا يمكن ان يرتفع مستواهم الخلقي الى المستوى المحترم[١٥٧] • علاوة على سوء اخلاق بعض من يمتلكهن ردحا من الزمن ، وخاصة اولئك الذين يتجرون باجسادهن • ومن الطبيعي في حياة كهذه ان تميل الجارية الى استعمال اساليب الغدر والخداع واقتناص الاموال •

---

(١٥٤) أي المحلات بالرصائع وهي الحلق التي يحلى بها ـ الرازي : ٢٤٥ وقيل الجواهر التي يحلى بها ـ الفيروزاباذي ٣ : ٢٩ •

(١٥٥) الذفر : كل ريح ذكية من طيب أو نتن ، فيقال مسك اذفر أي بين الرائحة ـ الرازي : ٢٢٢ •

(١٥٦) الموشى : ١١٦ ـ ١١٩ •

(١٥٧) أنظر الجاحظ : رسالة في القيان : ٧٣ ، ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٥٦ •

ورغم وضعهن الاجتماعي هذا فكن يرقن في نظر البعض ، فيهواهن ، اذ الاتصال بهن ليس عسيرا . وهن كما يقول الوشاء « على ما فيهن من العيوب اسرع الى النفوس ، واوقع في القلب ، واعلق بالارواح ، واخلق للنجاح . وهن اقرب املا ، واقل عللا والظفر بهن اسرع من الظفر بربات الخدور والمتحجبات وراء الستور ، وانهن مزورات واولئك معدومات »[١٥٨] . وان باستطاعة الرجل ان يرى الجارية ، وان يعرف مواطن الجمال فيها . ومن هنا ينشأ الحب بينهما ، وهذا شيء عسير بالنسبة لربات الخدور ، واللاتي لا يستطيع احد ان يراهن مباشرة بل يكتفي او يعتمد في معرفتهن على وصف النساء اللاتي يستخدمهن كواسطة للخطبة ، لذلك كان امر الزواج بالجواري اسهل[١٥٩] . وقد يقع الرجل في حب الجارية كما يقع في حب الحرة ، ثم لا يتمكن من الحصول عليها لسبب ما فيؤدي به ذلك الى الجنون[١٦٠] .

ان المجتمع البغدادي قد الف وجود الجواري الكثيرات في البيوت ، وعلى مستويات اجتماعية مختلفة ، لذلك اصبح الاقتران بالجارية غير معيب . فاذا اولد الرجل جاريته ، تراه يعتز باولاده منها ، ولا يرى في الاعتراف بهم اي بأس[١٦١] .

ولكن المجتمع البغدادي لم يكن يتسامح مع شخص يحاول الاتصال بجارية لاحد الجيران[١٦٢] . وكان ذووها يغضبون اذا تعرض لها احد بقول او اسمعها ما يشين[١٦٣] .

---

(١٥٨) م.س : ١٢٧ .
(١٥٩) الجاحظ : النساء : ٢٧٤ .
(١٦٠) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٥٦٨ .
(١٦١) ابن الاثير ٩ : ٢٣٠ .
(١٦٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٥٧ .
(١٦٣) القاضي الجرجاني : ٦٩ .

اما جواري الخليفة فكن يحتجبن ويغطين رؤوسهن[١٦٤] . ولا يستطيع احد من العامة الاختلاط بهن . وكذلك لم يكن يسمح لهن بالخروج خارج دور الخلافة الا اذا كانت احداهن (قهرمانة) وهي منزلة ارفع شأنا من بقية الجواري . اذ انها تستطيع ان تقترب من الخليفة نفسه[١٦٥] . وان تكون مقربة من زوجته[١٦٦] . كما ان بعض القهرمانات قد تدخلن في البيعة للخلفاء[١٦٧] .

وقد تحصل ظروف خاصة تضطر الجواري الى الخروج من دار الخلافة وهن حاسرات عن وجوههن ، كما حدث عام ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م عندما اعلن البساسيري عصيانه على الخليفة القائم بامر الله ، ونهب دار الخلافة وحريمها[١٦٨] . وكما حدث في فيضان عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م عندما دخلت مياه الفيضان الى دار الخلافة[١٦٩] .

ولقد اشتهرت بعض الجواري باللطف والظرف وحسن الجواب ، او حفظ الشعر وقوله[١٧٠] .

كما كان للجواري الفضل في اشاعة فن التجميل وابتكار الازياء في

---

(١٦٤) م.س ٨ : ٢٨٥ .

(١٦٥) م.س ٩ : ٨ .

(١٦٦) م.ن ١٠ : ٦١ ، وذم الهوى : ٣٦٣ .

(١٦٧) الهمداني : تكملة تاريخ الطبري : ٧٧ ، ٨١ ، ١٤٨ ـ ١٥٠ وأنظر ص ٢٤ من هذا الفصل .

(١٦٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٩١ ، ابن الساعي : مختصر أخبار الخلفاء : ٨٨ وأنظر عن عصيان البساسيري الفصل الخامس .

(١٦٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٨٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ١٢ : ١٠٩ .

(١٧٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٨ : ٣١ ، ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٩٧ .

المجتمع البغدادي(١٧١) • ولم يقتصر عمل الجواري على ذلك فقط ، بل تعداه الى امور اخرى كأشاعة الظرافة • مما ادى بالنساء الحرائران يجرين في اثرهن ، كحب الازهار وتعشقها والاعتناء بها او لنقش الاشعار الرقيقة ، والجمل الطريفة على الاقمشة والاردية ، والاكمام والعصائب ، والمناديل والوسائد ، حتى اصبح في المجتمع البغدادي جماعة من المتأنقين راعوا التأنق في الزي والطعام والشراب والسلوك(١٧٢) •

وكان بعض الناس يعتقون الجارية لوجه الله(١٣٧) ، وبعضهم الاخر لا يكتفي بذلك بل يعمد الى تزويج الجارية المعتقة برجل حر(١٧٤) • وربما زوجوها بعبد واعتقوهما معا(١٧٥) • ومن الطريف في هذا الباب ما رواه ابن الجوزي ـ وان كان متأخرا بعض الشيء ـ في حوادث سنة **٥٧٣**هـ/**١١٧٧**م انه استفتي في عبد وامه كانا لرجل فاعتقهما وزوجهما ، وبقيا على هذه الحال عشرين سنة • وكانا قد رزقا خلالها باربعة اولاد • ثم تبين لهما انهما اخوان ، ومذ عرفا ذلك ندما على زواجهما وجاءاه يستفتيانه في امرهما • فقال لهما انه لا اثم عليهما فيما مضى ، وآن على المرأة ان تلتزم العدة ، وعلى الرجل ان يعاملها معاملة الاخت(١٧٦) •

والنوع الثاني من الخدم هم العبيد (ان كانوا سودا) او المماليك (ان كانوا بيضا)(١٧٧) • ولا فرق بين ان يكون الرقيق ابيض او اسود ،

---

(١٧١) أحمد ممدوح : معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامي : ٨ •
(١٧٢) الوشاء : ١٦٢ ـ ١٦٤ •
(١٧٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٣ ، ٩ : ٦٣ ، ابن الساعي : نساء الخلفاء : ١١٤ •
(١٧٤) ابن النجار : خط ـ ج ١٠ ورقة ١٥ (ب) •
(١٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٧١ •
(١٧٦) ن٠م •
(١٧٧) زيدان ٥ : ٢٨ •

طالما كان في حوزة شخص ما[١٧٨] .

والناس يشترون الغلام لاغراض مختلفة ، حسب حاجتهم اليه . فبعضهم يشتريه ليساعده في اعماله حيث يوكل اليه القيام ببعضها[١٧٩] . او يجعلوه بوابا[١٨٠] . وكان الاغنياء يشترونهم باعداد كبيرة لتشغيلهم في الحقول والمزارع التي يمتلكونها[١٨١] .

اما الرقيق الذين كانوا يشتغلون في قصور الخلافة ، فانهم كانوا يقومون باعمال مختلفة. فبعضهم لحمل الرسائل ويسمى الرسائلي[١٨٢] . وبعضهم لحمل الشراب ويسمى الشرابي[١٨٣] . وقسم يسمح لهم بالدخول الى حرم الخلفاء ويسمى الحرمي[١٨٤] . وبعضهم يحمل المذاب بقرب الخليفة ليذب عنه ويطرد الذباب[١٨٥] . وهناك من يشتغل حمالا[١٨٦] . وآخرون يشتغلون فراشين ، والاصل في مهنة هؤلاء هي اشتغالهم بالفرش وما يتعلق بها[١٨٧] . ولكن قد يحمل الفراشون الشموع

---

(١٧٨) ابن منظور ١٠ : ١٢٣ .

(١٧٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ١٧٧ ـ ١٧٩ .

(١٨٠) ن.م ٤ : ٦٩ والبواب هو الذي يقف بباب الدار ليمنع الداخل اليها الا بعد أخذ الاذن له .

(١٨١) انظر الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري : ٦٦ وما بعدها .

(١٨٢) الصابي : رسوم : ٧٨ .

(١٨٣) ن.م .

(١٨٤) ن.م .

(١٨٥) ن.م : ٨١ .

(١٨٦) الصابي : الوزراء : ٢٤ .

(١٨٧) فنسنك : خدم ـ دائرة المعارف الاسلامية : مج ٨ : ١٨٠ ـ ١٨٢ .

ويسيرون في الموكب كما حدث في عهد الشحنة[188] . نازوك (قتل في سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م) حيث سار في موكبه ٥٠٠ فراش وهم يحملون الشموع الموكبية[189] . وقد يحملون الشموع الموكبيات في دور الامراء والوزراء ليضيئوا الطريق أمام الداخلين والخارجين[190] . وقد يكلف الفراشون بكنس دار الخلافة[191] . وكان للفراشين رئيس يوضع عليهم[192] . وهناك من الارقاء من يتخذهم الخليفة خدما خاصا له . وقد وردتنا عن هؤلاء أخبار في القرنين الثالث والرابع الهجريين . وأغلب الظن انهم استمروا كذلك في القرن الخامس . وهؤلاء كانوا مزودين بأنواع الاسلحة المعروفة آنذاك كالسيوف والدبابيس[193] والطبرزينات[194] . وكانوا يلبسون الملابس المزركشة المزينة . وقد عرضهم المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/٩٠٧ - ٩٣٢م) عند استقبال رسول ملك الروم[195] . وكانوا يقومون بحماية الخليفة ، فقد جاء عن الطائع (٣٦٣ - ٣٨١هـ/٩٧٣ - ٩٩١م) انه كان لديه مائة من هؤلاء يقفون بأسلحتهم وملابسهم المزركشة حول كرسيه[196] . وكان البوابون يقفون

---

(١٨٨) الشحنة : منصب يقابل الحاكم العسكري في الوقت الحاضر - الدوري من تعليق . له جاء في آخر كتاب رسوم دار الخلافة : ٢٠١ .

(١٨٩) الصابي : رسوم : ٩ ، ١٠ .

(١٩٠) الهمذاني تكلة : ٢١٢ سنة ٣٦٢هـ .

(١٩١) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٧٧ .

(١٩٢) التنوخي : نشوار ٨ : ١٢ .

(١٩٣) واحدها الدبوس : من آلات الحرب يحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم يكون من الحديد - أنظر الزبيدي ٤ : ١٤٥ .

(١٩٤) واحدها الطبرزين وهي ضرب من الفؤوس كان من آلات القتال - الجواليقي : المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم : ٢٢٨ .

(١٩٥) الصابي : رسوم : ١٢ .

(١٩٦) ن٠م : ٨٠ ، ٩٠ .

على الابواب ليمنعوا الناس والجند اذا كانوا يحملون السلاح من الدخول . باستثناء بعض خواص الخدم والغلمان الدارية[١٩٧] .

يبدو ان اعداد هؤلاء الارقاء الذين يشتغلون في خدمة دور الخلافة كانت كبيرة . ولكن لم تصل عنهم احصاءات بعددهم ، بل اشارات ترد في أزمان مختلفة تؤكد وجودهم في تلك الدور . ومن الامثلة على ذلك ما جاء عن الامين انه « قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم »[١٩٨] . وان يحيى بن اكثم القاضي في عهد المأمون كان قد اتخذ ٤٠٠ من الغلمان المرد الحسان الوجوه[١٩٩] . وفي عهد المكتفي (٢٨٩ – ٢٩٥هـ/٩٠١ – ٩٠٧م) بلغ عددهم ١٠٫٠٠٠ عبيدا ومماليك[٢٠٠] وفي عهد المقتدر بلغ عددهم ١١٫٠٠٠ منهم ٧٫٠٠٠ من العبيد و٤٫٠٠٠ من المماليك الصقالبة[٢٠١] . وذكر عن بنفشا جارية الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٦٦ – ٥٧٥هـ/١١٧٠ – ١١٧٩م) انها اعتقت خلقا من الجواري والمماليك ، ولم يحدد عددهم[٢٠٢] .

ولابن بطلان وصايا ثلاث في شراء الرقيق[٢٠٣] كالتي وضعها في شراء الجواري اولها تحذر المشتري من المملوك الذي عود الضرب ، وتحثه على السؤال عن صاحب المملوك وعن سبب بيعه له .

وثانيهما تحذر من شراء المملوك الذي يذم مولاه ، أو ينتقصه ومعرفة

---

(١٩٧) الصابي : رسوم : ٨٥ ، والوزراء : ١٥ ، ٢١ ، ٢٦ والنسبة (في الدراية) الى دار الخلافة . وسيأتي الكلام عنهم .

(١٩٨) اليعقوبي : مشاكلة : ٢٧ .

(١٩٩) المسعودي : مروج ٧ : ٤٧ .

(٢٠٠) الصابي : رسوم : ٨ .

(٢٠١) ن٠م .

(٢٠٢) ابن الساعي : نساء الخلفاء : ١١٤ .

(٢٠٣) شرى الرقيق : ٣٥٩ – ٣٦٤ .

سبب بيعه .

وثالثهما توصي الشاري بعدم اطماعه ، لكي لا يطمع . وان يهذب من أول يوم يدخل فيه البيت . وان يمنع من الاختلاط بغيره من الرقيق لكي لا يفسد . اضافة الى هذه الوصايا فان هناك أمورا يجب على المشتري معرفتها بالفراسة من خلال مطالعة وجوه الارقاء . كصفات الرقيق الخلقية والنفسية وذلك من مراقبة حركات أعضائه ، مثل عينيه أو صوته أثناء الكلام . أو من ملاحظة بعض أجزاء جسمه ، كشعره وشفته وأسنانه . فمن الاشياء التي يعرفونها من ملاحظة شعر الرقيق ، ان اللين منه دليل على الحمق والخشن دليل على الشجاعة . وكثرته على البطن دليل على الشبق . وكثرته على الصدر دليل على قلة الفطنة(٢٠٤) .

وكانت الدولة ، تعنى بأمر الرقيق ، وتقلد عمالا على اسواقه(٢٠٥) . وقد راعى الفقهاء حقوقهم ، فجعلوا من حق الرقيق ان يشبع وان يكسى ، وان لا يكلف ما لا يطيق ، وان لا يُسَهَّر بالليل(٢٠٦) . وكان امر الرعاية بهم موكول بالمحتسب(٢٠٧) .

وفي كتب الحسبة شروط تتعلق بتجارة الرقيق ، حيث شرطوا ان يكون النخاس « ثقة أمينا عادلا مشهورا بالفقه والصيانة ، لانه يتسلم جواري الناس وغلمانهم ، وربما اختلى بهم في منزله . وينبغي الا يبيع النخاس لاحد جارية ولا عبدا حتى يعرف البائع أو يأتي بمن يعرفه »(٢٠٨) .

---

(٢٠٤) شري الرقيق : ٣٦٥ ـ ٣٧٠ .
(٢٠٥) الصابي : المختار من رسائل الصابي ١ : ٩٦ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٤١ .
(٢٠٦) أبو يعلي : الاحكام السلطانية : ٢٩٠ .
(٢٠٧) الماوردي : الاحكام : ٢٥٧ .
(٢٠٨) السقطي : ٥٦ الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة : ٤٨ .

ولعل هذه الشروط لم تجد سبيلا الى الحياة العملية ، طالما كان هم النخاس الاول هو الربح ورواج البضاعة(٢٠٩) .

وما قيل عن أجناس الجواري يصدق قوله عن الرقيق أيضا من حيث كونهم منحدرين من أمم مختلفة(٢١٠) .

اما الاعمال السيئة التي نسبت اليهم فقد وردنا منها قتل احدهم زوجة سيده(٢١١) ، وسرقة آخر ١٠٠٠ دينار من سيده وكان تاجرا(٢١٢) .

ولقد سموا العبد الهارب (الآبق) ، وكانت الحكومة تطارد الهاربين لترجعهم الى أسيادهم(٢١٣) ، ومن المهم ان يذكر هنا ان الارقاء الذين خدموا في دور الخلافة لم يلعبوا في هذا القرن الدور الذي لعبوه في العصور السالفة ، من محاولات للاستيلاء على مقاليد الامور كما حدث مثلا في عهد الخليفة المقتدر بالله سنة (٣١٧/٩٢٩م)(٢١٤) .

ولقد كان بعضهم يستطيع بموهبته الخاصة ان يتقرب من الخليفة ويصبح من خواص خدمه(٢١٥) ، كما حدث بالنسبة لعفيف بن عبدالله الحبشي الخادم (ت ٤٨٤هـ/١٠٩١م) فكان من خواص خدم الخليفة القائم بأمر الله(٢١٦) ، وكذلك بالنسبة لصافي عتيق القائم بأمر الله الذي صلى عليه الخليفة المقتدي بأمر الله عند وفاته ، ودفن في تربة الخليفة

---

(٢٠٩) ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٥٦ .
(٢١٠) أنظر أيضا الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٩٩ ، ٣٨٧ .
(٢١١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٣٢ .
(٢١٢) التوحيدي ١ : ٥١ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٦٥ .
(٢١٣) الصابي : الرسائل ١ : ١٣٧ .
(٢١٤) ابن الجوزي : المنتظم ٦ : ٢٢١ .
(٢١٥) الذهبي : المختصر المحتاج اليه : ٨٣ .
(٢١٦) ابن النجار : خط ج ١٠ ورقة ١٤١ (آ) .

الطائع[٢١٧] .

والنوع الثالث من الخدم هم الخصيان الذين شاع استخدامهم في المجتمع البغدادي نتيجة لشيوع الحجاب[٢١٨] . فكانوا يستخدمون في البيوت مع العوائل لحماية الحرم[٢١٩] . ولهذا كانت أثمانهم غالية[٢٢٠] . ولما راجت تجارتهم في المجتمع البغدادي ، أصبحت أوصافهم معلومة لدى الناس . فقيل أسنان الخصي ثمان وعشرون سنا[٢٢١] . (ويبدو ان السبب في ذلك يعود الى اخصائهم قبل بلوغهم سن الرشد . حيث يتوقف نموهم ، فلا تظهر عليهم علائم الرجولة كظهور الشعر في أجسامهم . اما اذا اخصي احدهم بعد بلوغه سن الرشد فان الشعر يزول من جسمه ، ما خلا شعر العانة فانه يبقى[٢٢٢] . وربما فقد بعض قواه العقلية)[٢٢٣] . ويصف الجاحظ الخصي بانه ليس برجل ولا امرأة ، وأخلاقه منقسمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصبيان . وقال عنه بانه سريع التبدل ، سريع الدمعة ، سريع الغضب . ومن أخلاقه حب النميمة ، وضيق الصدر . وانه يتبول في الفراش وخاصة اذا بات احدهم وهو ممتلىء من النبيذ . ومن أخلاقهم أيضا بغض الرجال كبغض الحاسد لذوي النعمة . وانهم اطول اعمارا ممن سواهم[٢٢٤] وقيل عنهم أيضا انهم لم ير فيهم مخنثا[٢٢٥] . بل على العكس من ذلك فقد وصفوا بالصبر على الكروب ،

---

(٢١٧) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٣٢ .
(٢١٨) أنظر الفصل الرابع (١ – المرأة والرجل) .
(٢١٩) البيهقي : المحاسن والمساوىء : ٥٧٠ ، ٥٧١ .
(٢٢٠) زيدان ٥ : ٣٤ .
(٢٢١) التوحيدي ١ : ١٦٠ .
(٢٢٢) التوحيدي ١ : ١٦٠ .
(٢٢٣) الغزولي ١ : ٣٣ .
(٢٢٤) مفاخرة الجواري والغلمان : ٥٣ وما بعدها .
(٢٢٥) البيهقي : ٥٦٩ .

واحتمال الركض على الحصان ، فكان احدهم « يجاوز في ذلك رجال الترك ، وفرسان الخوارج »[٢٢٦] • ومما قيل فيهم انهم شرهون في الطعام ، ومفرطون في الشراب • وان لهم ولعا في تربية الطيور وصيدها[٢٢٧] • وصيد السمك ، والنفخ في المزمار[٢٢٨] •

وقد استطاع بعض هؤلاء الخصيان التقرب الى الخلفاء ، كما حدث لدجي ابن عبدالله ابي الحسن الخادم الاسود الخصي ، الذي كان سفيرا للخليفة الطائع لله ، يسفر بينه وبين الملوك وقد توفي في سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م[٢٢٩] •

ب ــ الجند : والجند نوعان ، نوع مقيم ثابت ببغداد ، وهم جند الخلافة • ونوع آخر غير مقيم ببغداد انما يأتيها لردحة من الزمن ثم لا يلبث ان يتركها • وهم الجند البويهي والسلجوقي[٢٣٠] • وكان مجيئهم الى بغداد ــ وخاصة الجند السلجوقي ــ يكون في فصل الشتاء ، ثم يرحلون بعدها الى انحاء اخرى من الامبراطورية[٢٣١] • واذا كان جند الخلافة مهما على اعتبار انه جزء من عامة بغداد ، فان ذكر الجند البويهي والسلجوقي لا يقل اهمية لما لوجودهم بها من تأثير على الحياة الاجتماعية والسياسية

---

(٢٢٦) البيهقي : ٥٦٩ •
(٢٢٧) ن٠م : ٥٧٠ •
(٢٢٨) الغزولي ١ : ٣٢ •
(٢٢٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٩ •
(٢٣٠) لقد اتخذ البويهيون من شيراز وبغداد عاصمتين لهم تنقلوا بينهما ــ بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ٩٤ واتخذ السلاجقة عدة عواصم تنقلوا بينها مثل الري وهمذان وبغداد ــ عبدالمنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق : ٦٢ وما بعدها ، ٨٥ وما بعدها • لذلك كانت جيوش البويهيين والسلاجقة متنقلة ما بين بغداد وبقية العواصم •
(٢٣١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٢٢ ، البنداري : ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ •

والاقتصادية كما سيأتي بيانه .

وكان الجند المقيمون (جند الخلافة) اخلاطا من اصول مختلفة ؛ ففيهم التركي[٢٣٢] والعربي ، والكردي[٢٣٣] ، والخراساني[٢٣٤] ، والرومي ، والارمني[٢٣٥] ، والديلمي[٢٣٦] . ولكن الظاهر ان الغالبية العظمى من هؤلاء الجند هم الاتراك .

وكان الجند الاتراك يتعصبون لابناء جنسهم ، رغم كونهم جند الخلافة، ورغم سكناهم ببغداد . فمن ذلك ما حدث في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م عندما هزم صاحب الموصل القائد العربي قرواش الغز الاتراك الذين هجموا على الموصل ، وارسل بعض رؤوس من قتلهم من الغز في زوارق الى بغداد . فما ان رأى الجند الاتراك ببغداد ذلك حتى عمدوا الى اخذ تلك الرؤوس ودفنها قبل ان تصل الزوارق الى داخل بغداد . وكان ذلك كما يقول ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) « أنفة وحمية للجنس »[٢٣٧] . وفي سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م وبعد اعلان البيعة للقائم بامر الله ، شغب الاتراك مطالبين بـ (رسم البيعة) وفي هذه الاثناء تكلم احد الجند الاتراك وانتقص الخليفة ، مما اثار احد الهاشميين الموجودين في ذلك الموضع ، فبادر الى قتل ذلك التركي . وهنا ثار الاتراك ، ولم يهدأوا الا عند صدور كتاب من الخليفة يطمئنهم الى انه سيعاقب الجاني[٢٣٨] . وعندما اراد السلطان طغرلبك المجيء الى بغداد في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ارسل الى الخليفة رسولا

(٢٣٢ ، ٢٣٣) الغزالي : احياء علوم الدين ٢ : ٦٧ .

(٢٣٤) البنداري : ٨٨ .

(٢٣٥) الحسيني : ١٢٩ .

(٢٣٦) الصابي : الرسائل ١ : ٢١ : ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٦٨ ، ابن الاثير ٩ : ١١٤ ، ١٢٧ .

(٢٣٧) ابن الاثير ٩ : ١٤٧ .

(٢٣٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٩ .

يبلغه فيه اظهاره الطاعة • وارسل في الوقت نفسه الى الاتراك البغداديين يعدهم الجميل والاحسان • ولكن الاتـراك البغداديين كانوا حتى هـذا الوقت يعتبرون انفسهم جزءا من جهاز الدولة البويهية ، ويرون في مجيء السلاجقة حرمانا لهم من امتيازات كثيرة ينعمون بها[٢٣٩] • لذلك ارسلوا الى الخليفة يطلبون منه ان يبعد عنهم السلاجقة[٢٤٠] • ولذلك تبع اتراك بغداد البساسيري الى الرحبة[٢٤١] عند دخول السلطان السلجوقي طغرلبك بغـداد[٢٤٢] •

وبعد ان زالت الدولة البويهية من بغداد ، واستقر حكم آل سلجوق بهـا بادر هؤلاء الجند الاتـراك البغداديون بتقديم ولائهم لاسـيادهم الجدد • وانتعشت آمالهم في الاستمرار على اقتناص المغانم ، وخاصة اذا ما وجدوا في احد السلاطين ميلا نحوهم او عطفا عليهم • كما حدث بالنسبة للسلطان محمد بن ملكشاه (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٧م) الـذي ما ان عرفوا بميله نحوهم حتى « رفعوا رؤوسهم وعرضوا انفسهم ، وخطبوا المراتب ، وطلبوا المناصب »[٢٤٣] •

ومن تعصبهم لابناء جنسهم انهم نصروا شواء في سنة ٥١٥هـ/١١٢١م ضد القاضي ابو عبدالله ابن الرطبي ، الذي كان قد شهر ذلك الشواء • فذهبوا الى القاضي وسحبوه الى دار السلطنة ، مما اثار حفيظة العامة وجعلها تثور بوجه الجند الاتراك مناصرة للقاضي • ولم تنته ثورة العوام الا بعد

---

(٢٣٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٢ ، ١٠٤ •
(٢٤٠) ابن الاثير ٩ : ٢٢٧ •
(٢٤١) الرحبة : قرية قرب القادسية وعلى بعد مرحلة من الكوفة ـ الحموي : معجم البلدان ٢ : ٧٦٢ •
(٢٤٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦٣ ، ابن الاثير ٩ : ٢٣٥ •
(٢٤٣) البنداري : ٨٨ •

ان تدخل الوزير واطلق سراح القاضي من هؤلاء الجند[٢٤٤] •

وذكر ان الجند اصناف متعددة حسب فرقهم[٢٤٥] ورتبهم[٢٤٦] • ولكن لم يذكر من اصنافهم سوى صنفين هم الغلمان ، والاصفهسلارية (او الاسفسهسلارية) • اما الغلمان فكانوا صغار الجند ، والذين اطلق عليم احيانا اسم (المماليك)[٢٤٧] واحيانا اخرى (الاتراك)[٢٤٨] • وكان اسم الغلمان اسما عاما شمل جند الخلافة[٢٤٩] ، وحرس الخليفة المرابطين في دار الخلافة[٢٥٠] ، والجند البويهي[٢٥١] والجند السلجوقي[٢٥٢] علاوة على انه اطلق على اولئك الخدم الذين دربوا على استعمال السلاح والذين كانوا في حوزة الوزراء[٢٥٣] ، والامراء[٢٥٤] ، والقواد[٢٥٥] • وبالنسبة للنوع الاول من الغلمان فانهم لم يكونوا على مستوى واحد من المنزلة اذ يبدو انهم كانوا على درجات متفاوتة لذلك قيل « اصاغر واكابر الغلمان »[٢٥٦] • وقد سمي بعض الغلمان بالغلمان الدارية ، والارجح ان هذه النسبة الى دار الخلافة فيكون هؤلاء الجند هم الموكلون بحراستها •

---

(٢٤٤) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٢٨ •
(٢٤٥) ن٠م ٨ : ٦٣ •
(٢٤٦) البنداري : ١١٣ •
(٢٤٧) ن٠م •
(٢٤٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١١٧ •
(٢٤٩) ن٠م : ٣٥ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٧٢ •
(٢٥٠) ابن الزبير : ٣١ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، الهمذاني : تكملة: ٥ ، ٢٩ •
(٢٥١) الصابي : الرسائل ١ : ١٦٢ ، ١٦٤ •
(٢٥٢) البنداري : ١١٣ •
(٢٥٣) الهمذاني : تكملة : ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٧٠ ، ٢٠٥ •
(٢٥٤) ن٠م : ٩٣ ، ٢٣٤ •
(٢٥٥) ابن الزبير : ٦٠ ، الهمداني : تكملة : ١٣٥ •
(٢٥٦) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٣ ابن الاثير ٩ : ١٥٧ •

ولم ترد اخبار عن عددهم الا في فترات سبقت القرن الخامس الهجري[٢٥٧] • اما في القرن الخامس فقد وردت اخبارهم من دون ذكر لعددهم[٢٥٨] •

واما الاصفهسلارية فانهم كانوا يمثلون كبار الجند[٢٥٩] ، وقد يتولون قيادة الجيوش وعند ذلك يسمى احدهم (بالامير الاصفهسلار)[٢٦٠] •

وبصورة عامة فان الاخبار عن رتب الجند (عدا من ذكرنا)[٢٦١] ، وانواع الواجبات التي يكلفون بها حسب رتبهم نادرة جدا •

وقد كانت بغداد مهمة لكل من الحكام البويهيين والسلجوقيين ، نظرا لما تتمتع به من سمعة في العالم الاسلامي آنذاك • وهذا ما يفسره اهتمامهم

---

(٢٥٧) الصابي : رسوم : ٨ ، ١٤ ـ ١٨ •

(٢٥٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٣ سنة ٤٢٤هـ ، البنداري : ٤٢ سنة ٤٦٣هـ •

(٢٥٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣٥ سنة ٤١٨هـ ، ٥٥ سنة ٤٢٢هـ ، ٦٣ سنة ٤٢٣هـ ، ١١٧ سنة ٤٣٥هـ •

(٢٦٠) الحسيني : ٧٥ سنة ٤٨٥هـ ، ٧٩ سنة ٤٩٨هـ ، ٨٠ سنة ٥٠١هـ •

(٢٦١) لقد وردت أخبار كثيرة عن أصناف مختلفة من الجند في الفترة ما بين القرن الثاني والرابع الهجريين ، ولما كنا لا نستطيع الجزم فيما اذا كانت تلك الاصناف موجودة في القرن الخامس ، لذلك آثرنا عدم ذكرها في المتن • والاكتفاء بالاشارة اليها في الهامش لاعتقادنا بانها تستحق دراسة خاصة • مثل الغلمان الحجرية ـ المسعودي : مروج ٢ : ٥٣١ ، الصابي : رسوم : ٨ ، والوزراء له : ١٧ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٩٩ ، الهمداني : تكملة أنظر فهرس الطبقات والمؤسسات • والشاكرية ـ اليعقوبي : مشاكلة : ٥٧ ، الطبري : س ٣ مج ٢ ص ١٥٦٠ ، المسعودي : مروج ٧ : ٢٧٦ ، التنوخي : نشوار ٨ : ١٥٧ الصابي : الرسائل ١ : ١٥٨ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٠١٣ ابن الزبير : ١٣٥ ، ٢١٧ ، والساجية ـ الهمداني : تكملة ـ أنظر فهرس الطبقات والمؤسسات •

بها ؛ فقد اتخذها آخر حكام البويهيين (الملك الرحيم) مقراً له[٢٦٢] • واعتبر السلاجقة من تكون في حوزته صاحب السلطنة العظيمة[٢٦٣] • وكان لهذا الاهتمام اثره السيء على شعب العراق بصورة عامة وعلى سكان بغداد وما جاورها بصورة خاصة • اذ ان مجيء السلطان على رأس جيشه واستيلائه على بغداد يتلوه الاستيلاء على الاقطاعات وفرض الاتاوات ، وحدوث شتى صنوف السلب والنهب[٢٦٤] •

فكانت اعتداءات الجند السلجوقي مستمرة تتجدد كلما جاء الجيش الى بغداد • وكان اول من يقع في قبضتهم الفلاحون في القرى المجاورة لبغداد[٢٦٥] ، والتي يرتكب فيها الجند كل صنوف الاعتداء من سرقة واغتصاب للنساء وقتل للانفس البريئة[٢٦٦] • وما ان يصل الخبر الى داخل بغداد حتى يعم الخوف والذعر فيهرب الناس الى دور الخلافة ليحتموا بها • او انهم يهربون الى الجانب الاخر من بغداد ، اذا عرفوا الجانب الذي سيأتي منه الجيش السلجوقي[٢٦٧] •

اما اذا طال مكثهم ببغداد فمعنى ذلك حدوث الافلاس لخزينة الدولة • والكارثة بالنسبة للعامة • نتيجة الاضطراب والخوف المستمر ، لما يحدث اثناء بقائهم من اعمال وحشية كدخول الدور على ذويها واغتصاب النساء

---

(٢٦٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦٤ ، ابن الاثير ٩ : ٢٢٧ ، البنداري : ٩ ، ١٠ •

(٢٦٣) الحسيني : ٨٨ •

(٢٦٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٦٦ ، البنداري : ١٥٧ ، ١٥٨ •

(٢٦٥) ابن الاثير ٩ : ٢٢٨ •

(٢٦٦) أنظر ص ٨٦ فما بعدها من هذا الفصل •

(٢٦٧) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ١٠ : ٤٤ ، ١٣٧ ، البنداري : ١٩٦ •

وسرقة الدور[٢٦٨] • والاعتداء على الحمامات النسوية[٢٦٩] •

ومن الامثلة على الاتاوات التي كان يفرضها السلاجقة على حكومة بغداد، ما حدث في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م عندما عقد السلطان طغرلبك ضمان بغداد على شخص بـ ١٥٠٫٠٠٠ دينار • وكان طبيعيا ان يسعى الضامن الى سداد هذا الضمان ، مضافا اليه ما يجنيه من ارباح• لذلك كان اول ما عمله الضامن انه ارجع ضـريبة المكوس التي كانت ملغـاة[٢٧٠] • وفي سـنة ٥٣١هـ/١١٣٦م قبض وزير السلطان مسعود (ابو البركات بن مسلمة) على ابي الفتوح (صاحب المخزن)[٢٧١] • وطالبه بدفع ١٠٠٫٠٠٠ دينار على ان يستحصلها فيما بعد من الناس ومن دار الخلافة • فلما سمع الخليفة الراشـد (٥٢٩-٥٣٠هـ/١١٣٤-١١٣٥م) بذلك احتج واجـاب الوزير السلجوقي بكتاب بين فيه خلو دار الخلافة من الاموال من جهة ، ونقل هذه الضريبة على الناس من جهة اخـرى • ولكن تحت ضـغط الوزير السلجوقي استطاع صاحب المخزن ان يجمع ١٠٫٠٠٠ دينار من الناس • الا ان هذا المبلغ لم يكف السلاجقة ، لذلك امر السلطان بفرض ضريبة اخرى على العقار • فكان وقع هذه الاتاوات شديدا على الناس[٢٧٢] •

---

(٢٦٨) ابن الجوزي : المنتظم ٦ : ٣٤٠ ، ٨ : ١٦٩ ، ابن الاثير ٩ : ٢٣٤ ، ١٠ : ٢٠٥ ، ١١ : ٢٩ •

(٢٦٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٢٨ •

(٢٧٠) ابن الاثير ١٠ : ٩ والمكوس ضرائب تفرض على البضـائع المنقولة داخل العراق من منطقة الى أخرى • وكذلك تفرض على البضائع المجلوبة من خارج العراق ـ الدوري : تاريخ ٢٠٠ ـ ٢٠٣ •

(٢٧١) صاحب المخـزن هو الذي يتولى الخزانة ، ويكون بمثـابة المساعد لمتولي ديوان النفقات

Duri (A.A) : Diwän — E. I. 2ed. ed. Vol II. P. 325)

(٢٧٢) ابن الجـوزي : المنتظـم ١٠ : ٦٦ ، وانظـر أيضـا البنداري : ١٧٩ •

لقد اشرنا من قبل الى ان الجند البويهي والسلجوقي كانوا يربكون الحياة الاقتصادية والاجتماعية اذا جاءوا الى بغداد ، وبينا بعضا من اعتداءاتهم عند مجيئهم اليها ومكوثهم بها بعض الوقت . ولكن هناك مناسبات استغلها الجند واشاعوا الفوضى ببغداد خلال القرن الخامس الهجري مثل وفاة الخليفة او تنحيته عن الحكم . ويبدأ ذلك بترويج الاشاعات (الاراجيف) عندما يشعرون بان الخليفة على وشك الموت او انهم عازمون على قتله او عزله . كما حدث عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م بالنسبة للخليفة القادر بالله[٢٧٣] . وكرروا بث اشاعاتهم عنه مرة اخرى في سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م عندما كان مريضا . فما كان منه لكي يهدىء من روع الناس الا ان عهد لولي عهده بالخلافة من بعده ، ثم جلس للناس « جلوسا عاما » لكي يروه وكان ذلك من قبيل الاحتياط من حدوث الفوضى المتوقعة اذا ما توفي الخليفة فجأة[٢٧٤] .

ولما توفي الخليفة القادر سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م بادرت الحكومة الى تشديد الحراسة على ابواب بغداد خوفا من فتنة الجند . ثم خرج القائم بامر الله وقت العصر ، وصلى بالحاضرين المغرب ، ثم جلس لكي يبايعه الناس[٢٧٥] . كل ذلك من قبيل الاحتياط ، وقطع الطريق امام عبث الغلمان .

وكان سكان بغداد وبضمنهم العامة ، يخافون خوفا شديدا من حدوث مرض للخليفة او ولي عهده او وفاة احدهما ، لما يتوقعونه من حدوث فوضى الجند واعتداءاتهم على اعراض الناس واموالهم كما حدث في سنة

---

(٢٧٣) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٤٦ ، ابن الاثير ٩ : ٨٢ .

(٢٧٤) ابن الاثير ٩ : ١٥٤ .

(٢٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٦ .

(٤٢٤هـ / ١٠٣٢م)[٢٧٦] (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)[٢٧٧] ، (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م)[٢٧٨] حيث لم يطمئنوا الا بعد ان شفي الخليفة وولي عهده من المرض الذي الم بهما •

ويبدو ان فوضى الجند هذه لم تكن وليدة القرن الخامس الهجري ، انما استمرار لما كانوا عليه قبل هذا القرن[٢٧٩] • وهي نتيجة للقلق السياسي الذي كان مستمرا حتى القرن الخامس الهجري • ولضعف جهاز الدولة وعلى رأسه الخليفة •

ومن الفرص التي استغلها الجند لاشاعة الفوضى ، تأخير رواتبهم ومن الجدير بالذكر ان المصادر لا تشير الى سبب التأخير هذا ، والارجح انه كان بسبب القلق السياسي ـ المار ذكره ـ وما تبعه من اضطراب للحياة الاقتصادية الذي ادى بدوره الى عدم تمكين الحكومة من توفير الاموال اللازمة لهم • لذلك ضجوا بالشكوى عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م ، ولم يركنوا الى الهدوء الا بعد ان اخرج لهم ملكهم جلال الدولة (٤١٦ـ٤٣٥هـ/ ١٠٢٥ـ١٠٤٣م) « الثياب والفرش والالات الكثيرة » الا انهم لم يرضوا بهذا المقدار فحاصروا الوزير وهموا بقتله ، فاخرج لهم من المصاغ ما قيمته اكثر من ١٠٠٠٠٠ درهم[٢٨٠] وعلاوة على ذلك اخرج لهم « كيس وسفرة وطست »[٢٨١] ليريهم بان ذلك آخر ما يملك الا انهم لم يقتنعوا بذلك وهجموا على داره ونهبوها[٢٨٢] •

---

(٢٧٦) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧١ •
(٢٧٧) ن•م : ٢٤٠ •
(٢٧٨) ن•م : ٢٨٩ •
(٢٧٩) الصابي : الرسائل ١ : ٢١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ •
(٢٨٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣٥ ، الذهبي : العبر ٣ : ١٣٠ •
(٢٧١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣٥ •
(٢٨٢) ن•م •

وفي سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م ظن الجند ان الوزير ابا القاسم سيتعرض لاموالهم ونعمهم فتنكروا له • ثم سمعوا بان ملكهم جلال الدولة قد اخذ اموال بادرويا[٢٨٣] فطالبوه بنصيبهم منها[٢٨٤] • وقد تكررت مطاليبهم منه في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م ايضا[٢٨٥] •

وشغبوا في سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م لمجرد انهم ظنوا بان احد امرائهم المدعو (بارسطفان) قد سرق رواتبهم • فلما علم بذلك التجأ الى دار الخلافة لينجو من قبضتهم[٢٨٦] •

وقد تأخرت رواتبهم عام ٤٣١هـ/١٠٣٩م ايضا فعمدوا الى الخروج من محلاتهم ونصب الخيم على شاطىء دجلة • وكان عملهم هذا قد اخاف سكان بغداد ، كما كانت تخيفهم اعمالهم الفوضوية هذه • ولقد حاول الملك اقناعهم بانه سيعطيهم رواتبهم الا انهم لم يثقوا بكلامه • فعاثوا فسادا ، اذ نهبوا القرى المحيطة ببغداد في جانبيها واخذوا مواشي وحيوانات الفلاحين • ونتيجة لهذه الفوضى وضياع الامن ، غلت الاسعار ببغداد • وتعذر على الناس من شدة الخوف الخروج من بغداد الى المحول والياسرية[٢٨٧] ، أو الاتيان منها[٢٨٨] • اذ لابد لهم من حارس يحرسهم في الطريق لقاء اجر معين[٢٨٩] • وفي غمرة هذه الفوضى صادف حلول

---

(٢٨٣) بادرويا : منطقة زراعية تقع في طرف بغداد الغربي ـ الحموي : معجم البلدان ١ : ٤٦٠ •

(٢٨٤) م•س : ٧٢ •

(٢٨٥) م•س : ٨٩ •

(٢٨٦) ابن الاثير ٩ : ١٦٨ •

(٢٨٧) محلتان متجاورتان تقعان في طرف بغداد الغربي ـ الحموي : معجم البلدان ٤ : ٤٣٢ ، ١٠٠٢ على التوالي •

(٢٨٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٠٤ •

(٢٨٩) ن•م •

عيد الاضحى ، وكان اليوم الاول منه يوم جمعة ، فلما اقيمت الصلاة في جامع براثا[٢٩٠] ، لم يصلي خلف الامام سوى ثلاثة اشخاص . اما في الجمعة التي تلتها فيبدو ان الامور كانت قد اصبحت اسوأ مما مضى لذلك كان على الذاهبين الى الصلاة في هذا الجامع ان يسيروا جماعات لا تقل عن ثلاثة اشخاص ، وان يدفعوا مشتركين اجرة لمن يحرسهم في الطريق[٢٩١] .

وبعد سنتين من هذه الفوضى اي في سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م تأخرت رواتبهم ايضا ، فاعتدوا على الناس فاخذوا ثيابهم وسرقوا حاصلات الفلاحين الاتية من القرى . كما انهم اغرقوا امرأتين في هذه الاحداث ولم يهدأوا الا بعد ان وعدوا بصرف رواتبهم[٢٩٢] . وتكررت امثال هذه الاعتداءات في سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م[٢٩٣] وسنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٢٩٤] وكان في جملة اعمال السلب التي قاموا بها اخذهم عمائم الناس من فوق رؤوسهم ، وهم سائرون في الطرقات كما حدث في عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٢٩٥] .

ج ـ العمال : وكانوا صنفين ، الاحرار والرقيق . اما الاحرار فكانوا ذوي مهن وصنائع مختلفة . ومع ان المهن كانت عادة وراثية ، الا ان الافراد مخيرون في المهنة التي يريدون مزاولتها[٢٩٦] .

---

(٢٩٠) براثا محلة بالجانب الغربي من بغداد ، تقع جنوب المحول وينسب اليها هذا الجامع ـ الحموي : معجم البلدان ١ : ٥٣٢ .

(٢٩١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٠٤ .

(٢٩٢) ن٠م : ١٠٨ .

(٢٩٣) ن٠م : ١٥٩ ، ابن الاثير ٩ : ٢٢٣ .

(٢٩٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦٣ ، ١٦٥ .

(٢٩٥) ن٠م : ١٨٩ .

(٢٩٦) الدوري : نشوء الاصناف والحرف ـ مجلة كلية الآداب : ١٥٤ العدد الاول ١٩٥٩ .

وهؤلاء العمال اما ان يكونوا مالكين لدكاكين خاصة بهم يعملون بها ، واما انهم يشتغلون باجرة يومية عند اصحاب الدكاكين[٢٩٧] . كما ان بعض العمال اتخذ من بيته دكانا يعمل فيه[٢٩٨] . وقد يشتغل بعضهم متنقلا اينما وجد العمل[٢٩٩] . لذلك كان هذا الصنف الاخير من العمال يحملون ادوات عملهم معهم ويقفون في الاسواق انتظارا لمجيء من يطلبهم[٣٠٠] .

ويبدو انه لم يكن هناك حد ادنى لمستوى الاجور اليومية ، بل كان ذلك متروكا للاتفاق بين العامل وصاحب العمل . او الحاجة . ويتم ذلك قبل البدء بالعمل[٣٠١] .

وكانت ساعات العمل تبدأ منذ بزوغ الشمس الى قدر نصف ما بين العصر والمغرب[٣٠٢] . وقد يحدد العامل ساعات العمل بالاتفاق مع صاحب العمل[٣٠٣] .

وكان المحتسب[٣٠٤] هو المسؤول عن امر العلاقة ما بين العامل ورب العمل « فاذا تعدى مستأجر على اجير في نقصان اجر او استزادة عمل ، كفه عن تعديه . وكان الانكار عليه معتبرا بشواهد حاله » . اما اذا حدث

---

(٢٩٧) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ١٤٣ ، ١٤ : ٤١٢ .
(٢٩٨) ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ـ خط ، ج ٢ ورقة ٢٠ .
(٢٩٩) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٥ .
(٣٠٠) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٢ : ١٧٦ .
(٣٠١) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ١٤٣ .
(٣٠٢) السقطي : ٦٥ .
(٣٠٣) ابن عبدون وآخرون : ثلاث رسائل اندلسية : ٥٦ .
(٣٠٤) المحتسب هو الشخص المكلف بمراقبة الاسواق ، لمنع الغش والتطفيف في الاوزان وكذلك بمراقبة النظافة العامة والاخلاق العامة للبلد ـ أنظر الماوردي : الاحكام : ٢٤٠ ـ ٢٥٦ .

العكس اي اذا قصر الاجير في حق المستأجر فنقصه من العمل ، او استزاده في الاجر فان المحتسب يمنعه من ذلك[٣٠٥] .

ولم يكن العامل يشتغل طول الوقت ، دونما توقف او استراحة . بل كان لا يعدم وسائل يستعملها لاضاعة الوقت ، وكسب بعض الراحة . ويتم ذلك اما بالتباطوء في العمل او باصلاح الآت العمل كأن « يحد النجار الفأس والشقاق المنشار » ويرى ابن الجوزي ان مثل هذه الاساليب ما هي الا خيانة . الا انه يعود ليقول بانها « اصبحت عادة متبعة »[٣٠٦] .

وكان الصناع (وهم العمال الذين يزاولون مهنة معينة طوال حياتهم) يتدرجون في المهنة التي يشتغلون فيها ، فكانت اول درجاتها (المبتدىء) الذي يدخل في الصنعة لاول مرة ، ثم (الخليفة) الذي تكون مرتبته دون مرتبة الاستاذ ، ثم (الاستاذ)[٣٠٧] ، واخيرا (الرئيس)[٣٠٨] . واذا تعلم الصبي صنعة ابيه وجده فانه ـ كما يرى اخوان الصفا ـ يكون حاذقا فيها[٣٠٩] .

والى جانب العمال ، كان هناك العاملات اللاتي كن يزاولن مهنا

---

(٣٠٥) ابو يعلي : ٢٨٦ .
(٣٠٦) تلبيس : ٣٨٥ .
(٣٠٧) اخوان الصفا : الرسائل ١ : ٢٨٠ ، ٢٩٠ وأنظر

Massignon (Louis): Islamic Guilds — E. Soc. Scie. Vol 7. P. 214

ويرى برنارد لويس بان للاسماعيلية تاثير قوي في تنظيمات أهل الصنائع هـذه ـ أصـول الاسماعيلية : ١٩٣ ويؤكد ذلك جوستاف جرونيبام : حضارة : ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٣٠٨) التنوخي : نشوار ١ : ٣٨ .
(٣٠٩) الرسائل ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١ .

مختلفة علاوة على قيامهن باعباء البيت من طبخ وغسل(٣١٠) . كأشتغالهن بنفس الاعمال التي يزاولها ازواجهن اذا ما اتخذوا من بيوتهم دكاكين لهم(٣١١) . او اشتغالهن بالغزل(٣١٢) . ومن اجل الحصول على اكبر قدر من الربح لجأت بعض العاملات في الغزل الى الغش عند بيعهن اياه . كأن تعمد الى تدديته ليثقل وزنه في الميزان(٣١٣) . اما البعض الاخر فقد لجأن الى وسيلة اشرف من الاولى وذلك انهن كن يشتغلن في الليل ايضا على ضوء السراج او القمر(٣١٤) . وقد اشتغل بعضهن كغسالات للموتى(٣١٥) . وبعضهن خبازات في بيوت الموسرين لقاء اجر معلوم(٣١٦) .

اما العمال الرقيق فقد مر الكلام عليهم ، اثناء الكلام على الخدم . وكيف انهم كانوا يشترون من قبل اصحاب الصنايع والمزارع للاشتغال في دكاكينهم او مزارعهم . ومما يذكر عنهم ايضا ان بعضهم كان يشتغل بدار الخلافة(٣١٧) ، وكان يتقاضى راتبه حسب مدد معلومة . وكان هؤلاء يقومون باعمالهم المختلفة كل حسب اختصاصه ، فمنهم الصاغة والخياطون والقصارون والاساكفة والحدادون والرفاؤون والمطرزون والنجارون

---

(٣١٠) الغزالي : احياء ٢ : ٣٢ ، ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٢٧ .

(٣١١) ابن الدمياطي ج ٢ ورقة ٢٠ .

(٣١٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان : ج ٨ ف ١ ص ٥ ، ٦ .

(٣١٣) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٤ .

(٣١٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٤ : ٤٣٦ .

(٣١٥) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٣٦ .

(٣١٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٦٩ .

(٣١٧) الصابي : رسوم : ٢٢ .

والوراقــون والعطــارون والمشــهرون[318] والخراطــون[319] ، والاسفاطيون[320] .

ان النظرة الاجتماعية الى اهل الصنائع في هذا القرن كانت محترمة بعكس ما كانت عليه في بداية العصر العباسي[321] . وان النـاس بدأوا ينظرون الى الصنائع على انها من الضرورات الاجتماعية[322] . والغزالي لا يكتفي بذلك بل يجعل وجودها من فروض الكفايات فيقول « فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات . كالفلاحة ، والحياكة ، والسياسة ، بل الحجامة ، والخياطة . فانه لو خلا البلد من حجام تسارع الهلاك اليهم ، وحرجوا بتعريض انفسهم للهلاك »[323] .

ولما كانت بغداد قد اصبحت من اهم المراكز الحضارية ، فان الصناعات

---

(٣١٨) هكذا وردت في كتاب الوزراء للصابي وقد رجح محقق الكتاب عبدالستار فراج ان تكون المجمـرين أو المبخـرين بدلا من المشهرين ـ ص ٢٢ .

(٣١٩) نسـبة الى خـرط الحـديد أي تطويله كالعــود ـ الرازي : ١٧٢ .

(٣٢٠) نسبة الى جمع السفط ، وهو يشبه القفة ـ الفيروزاباذي ٢ : ٣٦٤ يعبأ فيه الطيب والاوراق المهمة والنقود ـ الهمداني : تكملة ١٥ ، ٢٤ ، ٤٥ .

(٣٢١) البيهقي : ١٠٣ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ١٧٦ ، ابن الجوزي : اخبار الحمقى : ١٠٨ ويرجع الدوري سبب تلك النظرة لاشتغال أهل الذمة والموالي فيها أول الامر ـ نشوء الاصناف : ١٦٩ بينما يرى جوستاف جرونيباوم سبب تلك النظـرة الى تأثير قيم النظـام الاقطاعي الفارسي في المجتمع العباسي ـ الحضارة : ٢٧٤ .

(٣٢٢) اخوان الصفا ١ : ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٣٢٣) احياء ١ : ٢٣ .

بها قد تأصلت وتحسنت ، ونالت شهرة واسعة في البلاد المجاورة[٣٢٤] .
ولهذا وصفت صنائعها بانها افخر الصنائع[٣٢٥] . ووصف صناعها بالحذق والاعجاز[٣٢٦] . وبانهم اهل البراعة في كل صناعة[٣٢٧] .

ان هذه الصنائع قد تنوعت وتعددت ، فمنها صناعة نقش الفضة[٣٢٨] . والصياغة باشكالها المختلفة[٣٢٩] ، وصناعة الجواهر[٣٣٠] ، وصناعة الزجاج التي عرفوها منذ اوائل القرن الثاني للهجرة . فاستخدموا الزجاج لاغراض مختلفة ، وجودوا في صناعته حتى انهم كانوا يصنعون قناديل وعليها كتابات مختلفة . فضلا عن صناعة أكواب من جميع الاحجام والالوان[٣٣١] . وصناعة الانسجة المنوعة كالابريسميات ، والقطنيات التي تنسج ببغداد ونواحيها . وهذه الصناعة من الصناعات القديمة ببغداد والرائجة معا لذلك ورد عنها ان الحكومة فرضت عليها ضريبة عام **٣٧٥**هـ/ **٩٨٥**م[٣٣٢] . وصناعة الحرير التي لابد وانها كانت جيدة بحيث انتشرت تجارتها بعيدا عن العراق . ومما يثبت ذلك وجود قطع من تلك الاقمشة المصنوعة ببغداد وعليها كتابات عربية ، محفوظة في بعض كنائس او متاحف اوربا ، او غيرها[٣٣٣] .

---

(٣٢٤) ابن خلدون : المقدمة : ٦٥٦ .
(٣٢٥) ابن حوقل : صورة الارض : ٢٣٤ .
(٣٢٦) الازدي : حكاية ابن القاسم البغدادي : ٢٤ .
(٣٢٧) ابن الفقيه : البلدان : ١٦٢ .
(٣٢٨) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٥١ .
(٣٢٩) ن.م : ٩ .
(٣٣٠) البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر : ١٧٢ .
(٣٣١) أنظر هل : الحضارة العربية : ٩٢ .
(٣٣٢) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٢٧ .
(٣٣٣) كريستي : الفنون الاسلامية ـ مقالة في كتاب تراث الاسلام ٢ : ٤٦٤ وأنظر كتاب
(Répertoire Chronologique d'épigraphic Arabe)

وقد اشتهرت محلة العتابين ببغداد بنسيجها الحريري ، واكتسبت شـهرة عالمية بذلك . حتى ان بعض مدن الاندلس كالمرية انشىء بها ٨٠٠ مغزل لنسج الحرير ، وكان في جملة هذه المنسوجات الحريرية الثياب العتابية . وهذا يدل على جودة الصناعة البغدادية مما حدا باهل المرية ان يستعيروا اسم الثياب العتابية(٣٣٤) . واشتهرت محلة التستريين ببغداد بعمل الثياب التسترية(٣٣٥) . ولم تكن صناعة الثياب مقصورة على داخل بغداد فقط ، بل كانت موجودة ايضا في بعض القرى المحيطة بها(٣٣٦) .

والى جانب صناعة النسيج كانت هناك صناعة الستور ، والبسط(٣٣٧) ، والازر والعمائم الرفيعة ، والوان المناديل السامانية الرفيعة(٣٣٨) . ومن الصناعات الاخرى التي اشتهرت صناعة الخزف(٣٣٩) ، والكاغد(٣٤٠) .

وقد اصبح الانتساب الى الصنائع والمهن امرا مألوفا ، وبرز كثير من العلماء ممن كانوا يشتغلون في الصنائع والمهن بانفسهم او جاءتهم النسبة عن طريق آبائهـم . مثـل الواعظ أبي علي الحسـين بن علي الدقاق

حيث فيه وصف لهذه القطع من الاقمشة ومحلات وجودها وتاريخ صنعها سواء كان ذلك قبل القرن الخامس الهجري وبعده .

(٣٣٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ١٠٩ ـ ١٢٢ ، غنيمة : مقالة بعنوان صناعات العراق في عهد العباسيين ـ مجلة غرفة تجارة بغداد : ٥٦٦ سنة ١٩٤١ ، وأنظر عن صناعة الحرير كونل : الفن الاسلامي : ٨٦ وكريستي : الفنون ـ ضمن كتاب تراث الاسلام ٢ : ٤٦٤ .

(٣٣٥) الحموي : معجم البلدان ١ : ٨٥٠ .

(٣٣٦) أنظر ص ٨٨ من هذا الفصل .

(٣٣٧) ابن الفقيه : البلدان ٢٤١ .

(٣٣٨) لسترنج : بلدان : ١٠٩ .

(٣٣٩) كريستي : الفنون ـ تراث الاسلام ٢ : ٤٦٠ .

(٣٤٠) الهمداني : تكملة : ٤٦ .

(ت ٤١٢هـ/١٠٢١م)[٣٤١] ومحمد بن علي بن محمد ابي ياسر الحمامي • وكان اماما ثقة في القراءات والحديث (ت ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥)[٣٤٢] • ومحمد بن محمد بن عبدالعزيز النحاس ، وكان قاضي العراق (ت ٤٩٥هـ/١١٠١م)[٣٤٣] •

والى جانب هؤلاء العلماء فقد برز من صفوف اهل المهن رجال اشتهروا في مجال السياسة ، كأبن الاكار (المزارع)[٣٤٤] عون الدين ابي المظفر يحي بن هبيرة الذي اصبح فيما بعد وزيرا للخليفة المقتفي[٣٤٥] •

وفي جملة أصحاب الصنائع والحرف كما تروي مصادرنا[٣٤٦] : الصيادون[٣٤٧] : والباؤن[٣٤٨] ، والطيانون[٣٤٩] ، والنساخون[٣٥٠] ، والوراقون[٣٥١] ، والمجلدون ، والمذهبون ، والاطباء ، والمزينون[٣٥٢] ، والكحالون[٣٥٣] ، والقيمون في الحمامات[٣٥٤] ، والخياطون[٣٥٥] ،

---

(٣٤١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧ •

(٣٤٢) ن•م ٩ : ١٠١ •

(٣٤٣) ن•م : ١٣٣ •

(٣٤٤) الفيروز اباذي ١ : ٣٦٥ •

(٣٤٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢١٤ ــ ٢١٧ ، ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية : ٢٢٧ •

(٣٤٦) أنظر السبكي : معيد النعم ومبيد النقم : ١٢٨ ــ ١٤٦ •

(٣٤٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٢٧٦ ، القفطي : تاريخ الحكماء : ٣٨٨ •

(٣٤٨ ، ٣٤٩) ابن الجوزي : صفة ٢ : ١٧٢ •

(٣٥٠ ، ٣٥١) الحصري القيرواني : ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر : ١١٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٧ : ٧٢٩ ، سبط ابن التعاويذي : الديوان : ٢٤٧ •

(٣٥٢) الشابشتي : الديارات : ١٠٠ ، الثعالبي : من غاب عنه المطرب : ١١٢ ، ابن الجوزي : اخبار الظراف : ١٠٢ •

(٣٥٣ ، ٣٥٤) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٥٠ •

(٣٥٥) الازدي : ٢٤ ، والشيزري : ٦٧ ، ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٨٨ •

والصباغون[356] ، والمكاريون[357] ، والغاسلون للموتى ، والجزارون والدلالون وسائسو الخيـل ، وحارسـو الدرب[358] ، والاسكافيون ، والسقائون[359] ، وواشطو الصوف[360] ، والحاكة[361] ، والرفاؤون ، والدقاقون[362] ، والمطـرزون ، وصـانعو القلانس ، والقطـانون والقصارون ، والصيارفة[363] ، والزبالون[364] ، والرقاصون[365] ، والقـرادون (الذين يرقصـون القـردة)[366] ، والآجريون[367] ، والجصاصـون[368] ، والحصـريون[369] ، والنحاسـون[370] ،

---

(٣٥٦) الشيزري : ٧٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢١٢ .

(٣٥٧) التنوخي : الفرج بعد الشدة : ٦٦ ، ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٨٨ .

(٣٥٨) سبط ابن التعاويذي : الديوان : ٤٦٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٨٦ وصفة له ٢ : ٢٨٦ ابن الاثير ١٢ : ١٨٢ .

(٣٥٩) الذهبي : المختصر المحتاج اليه : ٩١ .

(٣٦٠ ، ٣٦١) الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ٢٥٩ .

(٣٦٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٥٤ .

(٣٦٣) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٨٦ ، ٩ : ٦١ .

(٣٦٤) ابن الجوزي : صيد الخاطر : ٢٨٢ .

(٣٦٥) ابن الاثير ١١ : ١٤١ .

(٣٦٦) الهمذاني : المقامات : ٩٦ .

(٣٦٧) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٢٢ ، البنداري : ٢٠٢ .

(٣٦٨) البنداري : ٢٠٢ .

(٣٦٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٠٨ .

(٣٧٠) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٢٢ ، البنداري : ٢٠٢ .

والحدادون[٣٧١] ، والصاغة[٣٧٢] ، والطحانون[٣٧٣] ، والفصادون[٣٧٤] ، والحجامون[٣٧٥] ، والكناسون[٣٧٦] ، والحفارون[٣٧٧] ، والغسالون[٣٧٨] ، والدباغون[٣٧٩] ، وباعة الخيل[٣٨٠] ، وباعة الجمال والغنم[٣٨١] ، والطيوريون (باعة الطيور)[٣٨٢] ، والحمالون[٣٨٣] ، والنجارون[٣٨٤] ، وباعة الحصر[٣٨٥] ، والخبازون[٣٨٦] ، والمراوحيون (باعة المراوح)[٣٨٧] ،

---

(٣٧١) الشيزري : ٧٩ .
(٣٧٢) ن٠م : ٧٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٦١ .
(٣٧٣) الازدي : ٢٤ ، الخطيب البغدادي : الكفاية في علم الرواية : ٤ .
(٣٧٤) الثعالبي : من غاب : ١١٢ ، الشيزري : ٨٩ ، ٩٥ .
(٣٧٥) الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ٢٥٩ ، الشيزري : ٨٩ ، ٩٥ ، ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٨٧ ، ٨٩ ، ابن الاخوة : ١٦٤ .
(٣٧٦) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٣١ ، وصيد الخاطر له : ٢٨٢ .
(٣٧٧) ابن الجوزي : انتظم ٨ : ١٥ ، ١٠ : ٦٨ .
(٣٧٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ١٢٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٦٨ ، البنداري : ٢٠٢ .
(٣٧٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٩٤ .
(٣٨٠) ن٠م ، وأخبار الحمقى له : ١٢١ .
(٣٨١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٩٤ ، وأخبار الحمقى : ١٢١ .
(٣٨٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٠٣ .
(٣٨٣) الهمذاني : المقامات : ٢١٣ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٤١ .
(٣٨٤) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٥ .
(٣٨٥) ابن الاثير ١٠ : ٦٨ .
(٣٨٦) الشيزري : ٢٢ ، ٢٣ ، ابن الجوزي : الاذكياء : ٦١ ، ابن الساعي : نساء الخفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء : ١١٣ .
(٣٨٧) ابن الاخوة : ٢٣٨ .

والقراء عند القبور[٣٨٨] ، والحفارون[٣٨٩] ، والجوهريون[٣٩٠] ، والاقفاليون[٣٩١] ، والشرائبيون[٣٩٢] ، والكنائفيون[٣٩٣] ، والعطارون[٣٩٤] ، والطباخون[٣٩٥] والحلاجون[٣٩٦] والخبازون[٣٩٧] ، والانماطيون[٣٩٨] ، والخشابون[٣٩٩] ، والجزارون[٤٠٠] ، والنجارون[٤٠١] ، والصفارون[٤٠٢] ، والمخلطون[٤٠٣] ، والريحانيون[٤٠٤] ، والزرادون[٤٠٥] ، والخطاطون[٤٠٦] .

---

(٣٨٨) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٨٨ .

(٣٨٩) الهمداني : تكملة : ١٢٢ .

(٣٩٠) البيروني : الجماهر : ٤٠ .

(٣٩١) ن.م : ١٣٦ .

(٣٩٢) ابن عبدون وآخرون : ٤٧ .

(٣٩٣) ن.م : ٤٨ .

(٣٩٤) الهمداني : تكملة : ٩٢ وسيأتي الكلام عن العطار مفصلا بعد قليل .

(٣٩٥) ن.م : ١١٤ .

(٣٩٦) ن.م : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣٩٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤١ ، ٢٩٤ .

(٣٩٨) ن.م : ١٤١ .

(٣٩٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٢٢٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٨١ .

(٤٠٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٨١ .

(٤٠١) ن.م .

(٤٠٢) ن.م .

(٤٠٣) ن.م ٩ : ٦١ والمخلطون هم باعة الفستق والبندق والزبيب ـ زيات : الخزانة الشرقية ٣ : ٥٨ وكلمة (مخلط) التي تعني هذه المواد المذكورة شائعة عند البغداديين في الوقت الحاضر .

(٤٠٤) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٦١ .

(٤٠٥) الازدي : ٢٤ .

(٤٠٦) ن.م .

د ـ التجار : وهم الذين يزاولون مهنة التجارة • التي كانت تقوم على ادوات الترف الغالية الثمن كالمجوهرات والرياش والثياب الفاخرة ، والانية والرقيق • وكان اعتمادهم في بيعها بالدرجة الاولى على الخليفة وحاشيته من كبار رجال الدولة والاغنياء[٤٠٧] • وهم بذلك يختلفون عن الباعة من حيث البضاعة ، ومن حيث الناس الذين يجري عليهم تصريف البضاعة[٤٠٨] •

لقد كان التجار من العامة ، الا ان البعض اعتبرهم من الخاصة ، وذلك بسبب ثروتهم بالقياس الى العامة الذين كانت ابرز صفاتهم الفقر ـ كما مر سابقا ـ ومن هؤلاء الهمذاني (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وان لم ينص على ذلك صراحة حيث قال (نصحبت من اهل البيوتات والكتاب والتجار ووجوه الثُناء[٤٠٩] ، من اهل الثروة واليسار ، والجِدَة[٤١٠] والعقار جماعة اخترتهم للصحبة ، وادخرتهم للنكبة • فلم نزل في صبوح وغبوق نتغذى بالجدايا الرضع ، والطباهجات[٤١١] الفارسية ••)[٤١٢] • ثم الصابي (هلال بن المحسن ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وذلك في اثناء كلامه على حمامات بغداد في عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩١٠م) حيث عدد فئات الخاصة ومقدار ما يملكه هؤلاء في بيوتهم من الحمامات

---

(٤٠٧) التنوخي : نشوار ٨ : ٦٨ ، وأنظر الدوري : تاريخ : ١١٤ وزيدان ٥ : ٤٥ •

(٤٠٨) أنظر عن الباعم ص ٧٣ ما بعدها •

(٤٠٩) الثناء : يبدو انهم ملاك الاراضي المقيمين في حقولهم ـ أنظر التنوخي : نشوار ١ : ٤ ، ١٦١ •

(٤١٠) الجدة : الغني ـ الزبيدي ١٠ : ٦٨ •

(٤١١) الطباهجات جمع طباهجة وهي نوع من الطعام يصنع من اللحم المشرح مع البيض والبصل بالاضافة الى الدهن والمطيبات (الابازير) ـ البغدادي : الطبيخ : ١٤ ، ١٥ •

(٤١٢) المقامات : ٢٠٧ •

مقابل فقراء العامة الذين لا يملكون في بيوتهم الحمامات ، وكانت فئات الخاصة الذين عددهم « الوزراء والكتاب والحواشي والاصحاب والامراء والقواد والاشراف والقضاة والشهود والتُناء والتجار واولى المروءات والاحوال الوافرات »[٤١٣] • ولعل هذه النظرة كانت متأتية من التطور الاقتصادي الذي اعطى اهمية للثروة جنب الاهمية التي كانت للنسب والمهنة ، ولكن من جهة اخرى فان المجتمع البغدادي ـ وهو مجتمع عربي اسلامي ـ لم يكن يسود فيه عرف يقسم الناس وفق اسس مادية • ولهذا رأينا رجال السياسة ينظرون الى التجار باعتبار انهم من العامة[٤١٤] ولقد وردنا عن الوزير عبيدالله بن سليمان (٢٨٨هـ/٩٠٠م)[٤١٥] انه استتر ذات يوم عند تاجر اسمه ابو عبدالله بن ابي عون، وكان هذا التاجر قد اكرمه طيلة استتاره عنده فلما تولى الوزير عبيدالله الوزارة ، جاءه هذا التاجر في أثناء انعقاد مجلس الوزارة ، فلما رآه الوزير قام له مرحبا به واجلسه بقربه • فعلم بذلك الخليفة فاستدعى الوزير في الحال وعاتبه على ذلك عتابا شديدا وقال له « تبتذل مجلس الوزارة بالقيام لتاجر • ولو كان هذا صاحب طرف[٤١٦] ، كان محظورا او ولي عهد كان كثيرا » • ثم قال له في الاخير بعد ان ابدى الوزير اعتذاره « اما الان فقد عذرتك ولا تعاود »[٤١٧] • فواضح من هذا ان التجار ليسوا من الخاصة بنظر رجال

---

(٤١٣) رسوم : ٢١ •

(٤١٤) لقد مر الكلام على ذلك أنظر ص ١٦ •

(٤١٥) كان عبيدالله بن سليمان من كبار الوزراء ، وقد وزر للخليفة المعتمد ومن بعده لابنه المعتضد ـ ابن الطقطقي : الفخري ١٨٨ ، ١٨٩ •

(٤١٦) مفرد اطراف ، وأظن المقصود بها الاقاليم والبلاد الواقعة في اطراف الدولة العباسية •

(٤١٧) التنوخي : نشوار ١ : ٤٥ •

الحكم . وكذلك كان التجار من العامة بنظر العلماء والادباء[٤١٨] ولهذا رأينا الثعالبي في اثناء كلامه على الامثال يورد امثال العامة والتجار معا تحت عنوان « امثال التجار والسوقة »[٤١٩] فلو كان التجار من غير العامة لما جمع بينهم بهذا العنوان. كما ان التجار قد نظر اليهم من الناحية الاجتماعية على انهم اوطأ من الاشراف . ولذلك ابتعدت عوائل الاشراف من الاشتغال بالتجارة[٤٢٠] . وهذه النظرة الاجتماعية الى التجار قديمة ، فمنذ ان بنى ابو جعفر المنصور الجانب الشرقي من بغداد ، رأيناه يقطع الاقطاعات لابنائه وافراد عائلته ومواليه وقواده وموظفي دولته ، ويجعل منازل الجند والتجار وسائر الناس بين هذه الاقطاعات[٤٢١] .

وكان التجار ثلاثة اصناف[٤٢٢] :

١ ـ التاجر الخزان : وطريقته في العمل ان يشتري البضائع وقت رخصها وتوفرها في الاسواق ، وكثرة عرضها وقلة طلبها . ويخزنها انتظارا لتغير ظروف الاسواق وقلة هذه البضائع بسبب انقطاع وصولها ، او صعوبة نقلها من اماكنها الاصلية ، او تأخرها عن اوقات ورودها ، او كثرة الطلب عليها في الاسواق . وعند ذلك يعرضها للبيع لتكون ارباحه

---

(٤١٨) لقد مر الكلام على ذلك في (١ ـ مفهوم العامة) من هذا الفصل . وأنظر الجاحظ ـ مدح التجار وذم عمل السلطان ـ رسالة ضمن رسائل الجاحظ (١١ رسالة) : ١٥٧ .

(٤١٩) التمثيل والمحاضرة : ١٩٦ .

(٤٢٠) أنظر الدوري : تاريخ : ١١٢ .

(٤٢١) اليعقوبي : البلدان : ٢٠ .

(٤٢٢) الدمشقي : الاشارة الى محاسن التجارة : ٤٨ ـ ٥١ ولقد صنف عنصر المعالي (ت ٤٦٢هـ) في كتابه قابوس نامة التجار حسب تجاراتهم الى نوعين (معاملة ومسافرة) اما الاولى فهي تشبه عمل التاجر الخزان واما الثانية فهي تشبه عمل التاجر الركاض اللذين ذكرهما الدمشقي ـ أنظر قابوسنامة (النصيحة) : ١٦٩ .

منها كبيرة ومضمونة ٠

وكان على هذا النوع من التجار ان يعرف احوال البضائع في اماكنها من حيث كثرتها وقلتها ومقدار سعرها ، وسلامة وصولها من اماكنها الى سوقه الذي يبيع فيه ٠ وذلك باستطلاع اخبار الطرق من المسافرين ٠ وان يقدر مقدار الارباح المتوقعة ٠

وعليه ايضا ان يعرف الظروف المحيطة به في بلده من حيث احوال السلطة القائمة ، ومدى قوتها وضعفها ، وسير العدل فيها ، لكي يوجه تجارته وفوق تلك الظروف العامة ٠

٢ ـ التاجر الركاض : وهذا التاجر يذهب لجلب التجارة من البلدان الاخرى وكان اول عمل يقوم به هو معرفة نوع التجارة التي يحب جلبها ٠ ثم يلاحظ جملة أمور مثل سرعة ذهابه ومجيئه ، وسلامة الطريق ان كان سفره برا ٠ وانواع الاعاصير ان كان سفره بحرا ٠ او الحوادث المتوقعة في البلد الذي يقصده ٠ ويكون في ذلك قد اخذ بقول التجار « التبصر نصف عطية »[٤٢٣] ٠

وعليه بعد ان يقرر الذهاب الى بلد معين ان يأخذ معه قائمة باسعار المواد في البلد الذي يريد جلب البضائع اليه ٠ فاذا اراد ان يشتري شيئا رجع الى تلك القائمة فاضاف اليها التكاليف التي ستترتب على البضاعة لحين وصولها السوق ، بما في ذلك المكوس الذي سيفرض عليها ٠ وعند ذلك يقارن النتيجة بالسعر الموجود في القائمة الاولى ، ليتأكد من ربحه ٠

٣ ـ التاجر المجهز : وطريقة عمله ان يستقر في السوق في بلده ، وان يكون له وكلاء في بلدان مختلفة ممن لهم خبرة في التجارة ، وممن

---

(٤٢٣) ولقد ذكر الثعالبي القول هكذا « التدبير نصف التجارة » خاص الخاص : ٦٤ ٠

يثق بهم • بعد ان يتفق معهم على حصة معينة من الربح • فيرسل لهم البضائع لبيعها ، ويترك لهم حرية التصرف في بيعها • اذ قد لا تباع السلعة فتكسد، لذلك يلجأ الوكيل الى خزنها الى ان يحين الوقت المناسب لاخراجها الى السوق مرة ثانية • ثم انه يشتري البضائع من ذلك البلد بعد ان يكون قد تخير احسنها وادرها ربحاً •

ولقد كان للتجار والباعة[٤٢٤] اسواق خاصة بهم ، انفرد كل منها بنوع معين من التجارة • وهذا التنظيم للاسواق قد وضع منذ تأسيس بغداد في القرن الثاني للهجرة[٤٢٥] • ولما توسعت بغداد في القرون التالية انتشرت الاسواق في جانبيها الشرقي والغربي ، الا ان اسواق الجانب الغربي منها كانت اكثر عددا[٤٢٦] • واراني اميل الى رأى كاهين في اعتقاده بان من اسباب انتشار الاسواق وكثرتها ببغداد في العصور المتأخرة وقوع الكوارث والحرائق والمنازعات التي ادت الى انعزال المحال بعضها عن البعض الاخر بالخرائب والبساتين[٤٢٧] • وخاصة في الجانب الغربي منها •

وكان اشهر اسواق التجار ببغداد ، اسواق الكرخ الواقعة بالجانب الغربي منها[٤٢٨] والتي يرجع عهدها الى بداية تأسيس بغداد • وكانت تسمى بـ (السوق العظمى) وكان طولها فرسخين وعرضها فرسخا واحدا[٤٢٩] • ولقد استمرت هذه السوق على كبرها واتساعها في القرون

---

(٤٢٤) سيأتي الكلام عن الباعة بعد التجار ، وسيكون الكلام مفصلا عن الاسواق هناك ، وذلك بعد ان نوضح مفهوم الباعة ، لوجود كثير من الاشياء المشتركة بينهما •

(٤٢٥) اليعقوبي : البلدان : ١٤ ، مجهول : مناقب بغداد : ١٣ •

(٤٢٦) المقدسي : ١٢٠ •

(٤٢٧) Cahen (claude) : Baghdad au temps de ses derniers califes - Arabica. Vol. Spécial P. 290 (1962).

(٤٢٨) ابن الاثير ٨ : ٢٢٢ •

(٤٢٩) اليعقوبي : البلدان : ١٤ •

التالية فقد جاء عنها في سنة (٣٢٣هـ/٨٣٧م) انها احترقت منها ثمانية واربعون صفا من اسواقها(٤٣٠) . واما الاخبار عنها في القرن الخامس فتوضح بانها كانت حافلة بالتجارة مما جعلها مطمح انظار العيارين(٤٣١) . اما اشهر اسواق التجار بالجانب الشرقي ، والتي تعد من اسواقه العظمى فكانت (باب الطاق) التي تقع عند رأس الجسر المركزي(٤٣٢) وسوق الثلاثاء(٤٣٣) .

ولهذا كانت بغداد باسواقها التجارية العامرة مركزا تجاريا مهما في العالم المعاصر آنذاك . فكانت التجارة تأتيها من دول اوربا(٤٣٤) غربا والصين شرقا وبلاد ارمينية شمالا واليمن ومصر جنوبا(٤٣٥) . وهي احدى الاماكن التي كانت تقرر بها الاسعار للعالم وخاصة السلع الكمالية(٤٣٦) . وقد اعطانا الجاحظ قائمة بالسلع التي يستوردها العراق في القرن الثالث الهجري(٤٣٧) والتي استمرت في القرن الخامس مما جعلنا ندرجها هنا معتمدين في ذلك على ورود الاخبار عنها في حياة الناس اليومية خلال هذا القرن(٤٣٨) ، وهذه السلع تظهر مدى نشاط التجار العراقيين عامة ، والبغداديين خاصة وانتشارهم في اقطار الارض المختلفة . اما هذه السلع

---

(٤٣٠) الهمداني : تكملة : ٩٢ .
(٤٣١) أنظر الفصل الخامس (١ ـ حركات الشطار والعيارين) .
(٤٣٢) اليعقوبي : البلدان : ز٢ ، وأنظر الدوري : تاريخ : ٢٢٨ .
(٤٣٣) أنظر عن هذه السوق فهرست الامكنة والبقاع لكتاب دليل خارطة بغداد (مصطفى جواد) .
(٤٣٤) ابن الفقيه : البلدان : ٨٢ ، ٢٧٠ ، الحموي : معجم البلدان ١ : ٤٦٨ ، ٤٩٩ ، ٣ : ٤٠٥ .
(٤٣٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة : ٢٥ ـ ٣٤ .
(٤٣٦) آدم متز ٢ : ٣٦٥ .
(٤٣٧) م.س .
(٤٣٨) أنظر الفصل الثاني .

فكانت تشمل ما يلي[٤٣٩] :

١ ـ الجواري ، والعبيد ، والخصيان .

٢ ـ الحيوانات : البور ، والنمور ، والفيلة ، والطواويس ، والبراذين[٤٤٠] والحمر ، والسماني ، والخيل ، والنعام ، والبزاة ، والجاموس ، والزرافات ، والدراج .

٣ ـ الاقمشة ومما جرى مجراها : الادم ، الابريسم ، والبسط ، والبرود ، والتكك ، والحرير ، والخز ، والديباج ، والستور ، والطيالسة الصوفية ، والكتان ، واللبود ، والمناديل ، والثياب ، وجلود النمور .

٤ ـ المعادن والالات وما جرى مجراها : اواني الذهب والفضة ، والدروع ، والابنوس والغضائر[٤٤١] . والمداد (الحبر) ، ومصنوعات مختلفة من النحاس ، والاقفال ، والزئبق ، والرصاص ، والكاغد ، والسهام ، والاسلحة والفؤوس ، والزجاج ، والصندل الابيض ، والسروج .

٥ ـ ادوات الزينة : الامشاط والكحل ، والزبرجد[٤٤٢] ، والياقوت الاحمر ، والعقيق ، والخطر[٤٤٣] ، والمسك ، والقماقم ، وقصب الطيب ، والاسفيذاج[٤٤٤] ، واللؤلؤ .

---

(٤٣٩) لقد شرحت بعض الالفاظ الغريبة ، اما بعضها الآخر فقد تركت لتشرح في مكانها المناسب .

(٤٤٠) جمع برذون وهي الدابة ـ الفيروزاباذي ٤ : ٢٠١ .

(٤٤١) الغضارة ، الطين اللازب الاخضر الحر ، الفيروزاباذي ٢ : ٦٠٢ وأظن ان المقصود بها هي الصحون الفخارية الصنع .

(٤٤٢) هو جوهر من أنواع الزمرد ـ الزبيدي ٢ : ٣٦٣ .

(٤٤٣) الخطر : نبات يختضب به أو الوسمة ، الفيروزاباذي ٢ : ٢٢ .

(٤٤٤) وهو نوع من الطلاء أبيض اللون . وتلفظه نساء العامة في الوقت الحاضر هكذا (سبداج) .

٦ ـ الادويـة والابـازير : النيلج[٤٤٥] ، والكمـون[٤٤٦] ، والجوارشـن[٤٤٧] ، وبـزر قطونـا[٤٤٨] ، والدارصـيني[٤٤٩] ، والكنـدر[٤٥٠] ، ودهـن البلسـان[٤٥١] ، والعنـاب[٤٥٢] ، والملح ، والزعفران ، وماء الورد ، ودهن النيلوفر ، ودهن البنفسج .

٧ ـ الفواكه : العنب ، والرمان ، والخوخ ، والشهد ، والعسل ، والسفرجل ، والكمثرى الصيني ، والتفاح الاصفهاني[٤٥٣] ، وشراب الفواكه ، والفستق ، والسكر ، وانواع التمر اليابس ، والقند ، والتين ، وجوز الهند .

---

(٤٤٥) دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر ، الزبيدي ٢ : ١٠٩ .

(٤٤٦) الكمون حب على أصناف مختلفة حسب البلد الذي يزرع فيه ، الفيروزاباذي ٤ : ٢٦٣ . وأنظر ابن البيطار : الدرة البهية في منافع الابدان الانسانية : ٢١٥ .

(٤٤٧) الجوارشن : دواء مركب من عدة مواد تختلف نسبه ومواده بحسب نوع المرض ، اذ ان هناك أحد عشر جوارشنا ـ الكرماني : دقائق العلاج في الطب البدني : ٣٣٨ .

(٤٤٨) نبات على صنفين شتوي وصيفي ، انفع ما فيه بزره حيث يستعمل كدواء ـ الزبيدي ٩ : ٣١٢ .

(٤٤٩) الدارصيني : قشر شجر ينبت بين الهند والصين يستعمل في الاغذية والادوية ـ ابن البيطار الدرة : ١٩٧ .

(٤٥٠) وهو اللبان ، وأجوده ما كان يستورد من بلاد اليونان ـ ابن البيطار : الدرة : ٢١٥ .

(٤٥١) وهـو دهن يستخرج من شجر البلسان بعـد ان تشرط الشجرة بمشراط من حديد ويستعمل كدواء ـ الغافقي : منتخب كتاب جامع المفردات : ٥٧ ، ٥٨ .

(٤٥٢) وهو ثمر ، الفيروزاباذي ١ : ١٠٨ ، أجوده أعظمه وأحمره لونا يستعمل كدواء ـ ابن البيطار : الدرة : ٢٠٩ .

(٤٥٣) لقـد ذكر أبو دلف نوعا آخـر من التفاح الذي يجلب الى أسواق بغداد هو التفاح البسطامي ـ الرسالة الثانية : ٣٨ .

ولما كانت بغداد مركزا تجاريا مهما لذلك لم تكن تستورد البضائع فقط بل كانت تصدرها الى الخارج ايضا . وكانت تخرج محملة على خمسة طرق كبيرة الى البصرة والكوفة ، والانبار وتكريت وحلوان[٤٥٤]، اما اهم هذه البضائع المصدرة فهي[٤٥٥] :

١ ـ الاقمشة وما يجرى مجراها : القطنية، والحريرية ، والمناديل، والازر ، والعمائم ، والستور ، والمسوح ، والبسط ، والتكك ، والوسائد ، والطيالسة ، والثياب الموشية ، والمقارم[٤٥٦] .

٢ ـ ادوات الزينة : الحناء ، وماء الورد ، والصابون .

٣ ـ الادوية والابازير : الدهون ، والمعاجين ، والادوية ، والملح ، ودهن البنفسج .

٤ ـ الاطعمة والفواكه : الزيت والرمان ، والتين ، والكامخ[٤٥٧] ، والفواكه المجففة ، والتمر والحنطة ، والشعير ، والعسل .

٥ ـ المعادن والآلات والمصنوعات : الخزف ، والموازين ، والرصاص ، وحجر الزجاج والادوات الزجاجية ، والاقلام ، والحصر .

٦ ـ الحيوانات : الخيل الاصيلة ، والدراج ، والسُماني .

لقد كانت حياة التجار المعاشية احسن من بقية الناس سواء أكانوا من الباعة او من غيرهم ، لما تدره عليهم تجارتهم من ارباح . لذلك كان كثير من الناس يلجأ اليهم عند الحاجة[٤٥٨] حتى ان الحكومة نفسها كثيرا

---

(٤٥٤) لسترنج : بلدان : ١١٠ .
(٤٥٥) الدوري : تاريخ : ١٣٣ ـ ١٣٥ .
(٤٥٦) وهي الستور أو الثياب ، الفيروزابادي ٤ : ١٦٣ .
(٤٥٧) هو ادام أو المخللات المستعملة لزيادة الشهية الى الطعام ـ الزبيدي ٢ : ٣٧٦ .
(٤٥٨) الجاحظ : مدح التجار ـ رسائل الجاحظ : ١٥٦ .

ما لجأت اليهم تقترض منهم لتمشية امورها[٤٥٩] • وكانوا ياخذون فائدة على ما يقرضونه للحكومة[٤٦٠] • ولكن احوال التجار لم تكن هكذا دائما رخية منعمة ، فقد كانوا يتلقون اعتداءات الحكومة في بعض الاحيان حين تأخذ اموالهم[٤٦١] • وربما اخذت اموالهم قبل وصولها الى الاسواق[٤٦٢] وربما اقسطت الحكومة عليهم رواتب الجند[٤٦٣] • واضافة الى ذلك فانهم كانوا عرضة لهجمات العيارين والشطار طيلة القرن الخامس الهجري[٤٦٤] •

وفي سني المجاعة وفقدان الاطعمة التي تكررت في هذا القرن[٤٦٥] ، كان التجار مثل غيرهم في تحمل اعبائها ، لذلك فقد أكلوا ـ كغيرهم ـ الكلاب والحيوانات الميتة[٤٦٦] •

وبالرغم من كون التجار كانوا منشغلين بتجارتهم واسواقهم الا ان بعضهم ساهم في الحياة الثقافية ، شأن غيرهم من الباعة كما سيأتي الكلام عنهم ، امثال ابي منصور الشيحي عبدالمحسن بن محمد بن علي البغدادي (٤٢١ـ٤٨٩هـ/١٠٣٠ـ١٠٩٥م) الذي كان تاجرا ومحدثا في وقت واحد وانه كان في اثناء اسفاره التجارية يسمع عن الشيوخ في تلك الامصار • فسمع من شيوخ دمشق ومصر • وكان الى جانب اسماعه يكتب

---

(٤٥٩) الهمداني : تكملة : ٩١ •

(٤٦٠) الدوري : تاريخ : ١٢٤ ، ١٢٥ •

(٤٦١) م•س : ١٢٧ ، ١٣٤ •

(٤٦٣) م•س : ١٧٠ •

(٤٦٣) م•س : ١٤٧ •

(٤٦٤) أنظر الفصل الخامس (١ ـ حركات العيارين والشطار) •

(٤٦٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٦ حوادث ٤٢٣هـ ، ١٣٢ حوادث ٤٣٩هـ ، ٢٣٦ حوادث ٤٥٦هـ ، ٢٩٧ حوادث ٤٦٨هـ ، ٩ : ٢٣ ، حوادث ٤٧٨هـ •

(٤٦٦) ن•م ٨ : ١٧٩ •

الحديث[٤٦٧] . وعبدالله بن عبدالله وكان تاجرا ومحدثا ايضا ، قدم الى بغداد في ذي الحجة سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م واقام بها يتاجر ويحدث[٤٦٨] . وعبدالواحد بن احمد (ت ٥٣٧هـ/١١٤٢م) وكان تاجرا ومحدثا ايضا فكان في اسفاره يجوب الاقطار برا وبحرا ما بين العراق وخراسان والبصرة والحجاز واليمن ومصر[٤٦٩] .

د ـ الباعة

وهم تلك الفئة من العامة التي تتولى بيع المواد الاستهلاكية الضرورية لحياة الناس اليومية . وهؤلاء يقسمون الى قسمين ؛ الباعة الثابتون وهم اصحاب الدكاكين في الخانات والاسواق[٤٧٠] . والباعة المتجولون ، وهم الذين لا يستقرون في مكان معين[٤٧١] .

اما الباعة الثابتون فكانوا اصنافا مختلفة باختلاف المواد التي يبيعونها ، فمنهم باعة الخبز[٤٧٢] ، والطعام ، واللحم (الجزارون)[٤٧٣] ، والغنم[٤٧٤] ، والخيل[٤٧٥] ، والجمال[٤٧٦] ، والطيور[٤٧٧] ، والسمك

---

(٤٦٧) الذهبي : العبر ٣ : ٣٢٤ .
(٤٦٨) ابن النجار : خط ـ ج ١٠ ورقة ١٢ (ب) .
(٤٦٩) ن٠م ورقة ٣٥ (ب) .
(٤٧٠) ابن النجار : خط ج ١٠ : ورقة ٤٠ (ب) .
(٤٧١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٤٤ ، ابن الاثير ١٠ : ٦١ .
(٤٧٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤١ ، ٢٩٤ ، ابن الساعي : نساء الخلفاء : ١١٣ .
(٤٧٣) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٢٢٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٨١ .
(٤٧٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ١١٤ ، ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ٥١ .
(٤٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٩٤ .
(٤٧٦) ن٠م .
(٤٧٧) ن٠م : ٢٠٣ .

ـ سواء كان نيئا او مشويا[478] ـ والحطب[479] ، والشوك[480] ، والاشنان[481] ، والحصر[482] والمكانس[483] ، والكبريت[484] ، والعطر[485] ، والبقالون الذين يبيعون الحبوب كالحنطة والشعير والرز[486] ، والخضروات كالسلق والبقل[487] . او الذين يبيعون الفواكه كالتمر[488] ، والرمان[489] .

ومن جملة الباعة العطارون الذين كانوا يختلفون عن البقالين من حيث مبيعاتهم ، اذ ان اهم ما يبيعونه هو البذور او النباتات المستعملة في الادوية . او التي تستعمل كمشهيات في الاطعمة ، مما يطلق عليه (الابازير)[490] . ولقد اعتبر بعضهم العطار ذا مهنة مركبة من تجارة وصناعة ، اذ هي من الصناعة ـ كما يرى ـ على اعتبار ان العطار « يحتاج

---

(٤٧٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ١١١ .

(٤٧٩) م.س ٩ : ١٨٤ .

(٤٨٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ١١٢ ، ابن الجوزي : المدهش : ٢٩٥ .

(٤٨١) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ١١٤ وسيأتي شرح الاشنان في الفصل الثاني ص ١٣٨ .

(٤٨٢) ابن الاثير ١٠ : ٦٨ .

(٤٨٣) الهمداني : تكملة : ٣٨ ، ابن الاخوة : ٢٣٨ .

(٤٨٤) ابن الاخوة : ٢٣٨ .

(٤٨٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٣ .

(٤٨٦) التنوخي : نشوار ٨ : ٨٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ١٩٣ ، الشيزري : ٢١ .

(٤٨٧) الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ١٦١ ، الهمداني : تكملة : ٨٧ .

(٤٨٨) البغدادي : تاريخ ١١ : ٤٤ .

(٤٨٩) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٥٠ .

(٤٩٠) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٨٥ .

الى معرفة العقاقير والادوية والاشربة والطيب ، وجيد ذلك من رديئه ، وغشوش المدلسين فيه ، وتركيب معاجين واشربة وسفوفات[٤٩١] ، وجوارشنات » من التجارة « لاجل البيع والشراء والمرابحة »[٤٩٢] .

وفي جملة الباعة ايضا البزازون الذين كانوا يبيعون الاقمشة والذين اعتبروا احسن من بقية الباعة[٤٩٣] . وجعل بعضهم مهنتهم كمهنة العطارين ، مركبة من تجارة وصناعة لانها تدخل في باب التجارة « لاجل البيع والشراء والمرابحة » وتدخل في باب الصناعة لان البزاز يحتاج « الى معرفة مقادير الامتعة ، وجيدها ورديئها ، وغشوش المدلسين فيها »[٤٩٤] .

ويبدو ان اعمال البزازين كانت منظمة ، وهذا ما يدل عليه اتخاذهم دفاتر خاصة كانوا يسجلون فيها اسماء من يبيعونه بالدين[٤٩٥] . ولكنهم اشتهروا باستعمالهم الحيل ، وخداع المشترين ، باساليب لا يفطن لها الرجل العادي[٤٩٦] .

وكانت كل مجموعة من دكاكين الباعة كما كان الحال بالنسبة للتجار تكون سوقا قائما بذاته يختلف في مبيعاته وتجارته عن الاسواق الاخرى . وقد حافظت هذه الاسواق على تخصصها ، فكانت هناك سوق العطارين ، والصيادلة ، والخزازين والجوهريين[٤٩٧] ، والخبازين[٤٩٨] ،

---

(٤٩١) السفوف : كل دواء يؤخذ غير معجون ــ الصعيدي : الافصاح في فقه اللغة : ٢٥٦ .

(٤٩٢) الدمشقي : ٤٠ .

(٤٩٣) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٢ : ٣٠

(٤٩٤) م.س .

(٤٩٥) ابن الجوزي : الاذكياء : ١٩٣ .

(٤٩٦) الشيزري : ٦١ .

(٤٩٧) الهمداني : تكملة : ٩٢ وانظر آدم متز ٢ : ٣٨٣ .

(٤٩٨) الشيزري : ٢٢ ، ٢٣ ابن الجوزي : الاذكياء : ٦١ ، ابن الساعي : نساء : ١١٣ .

والسلاح[٤٩٩]، والطعام ، والسقط ، والانماط ، والخشابين، والجزارين، والنجارين ، والصفارين والصاغة[٥٠٠] ، والصيارفة والمخلطين ، والريحانيين[٥٠١] ، واسواق بيع الحيوانات مثل بيع الغنم[٥٠٢] ، والخيل[٥٠٣] ، والجمال[٥٠٤] ، والطيور[٥٠٥] .

ولقد كان اهل هذه الاسواق من الباعة او التجار متحدين فيما بينهم ، اذ ان اهل كل مهنة او صنعة يشعرون بنوع من الرابطة فيما بينهم[٥٠٦] ، لذلك كانوا يتعاونون على حراسة اسواقهم ليلا اذا ما شعروا بتحركات العيارين او بهجوم متوقع من اللصوص[٥٠٧] .

وكمثل على ذلك ما حدث في سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م عندما اخذ العيارون مال احد البزازين تعصب اهل سوقه مما دعى العيارين الى رد بعض ما اخذوه[٥٠٨] . وكانوا اذا توفي احد الباعة او التجار بادر اهل سوقه الى غلق دكاكينهم حزنا عليه[٥٠٩] . وشعورهم بهذه الرابطة جعلهم

---

(٤٩٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٨٧ .
(٥٠٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٢٢٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٨١ .
(٥٠١) الهمداني : تكملة : ٩٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٦١ .
(٥٠٢) الصابي : الوزراء ، ١٧٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ١١٤ ، ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ٥١ .
(٥٠٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ ، ١٩٤ .
(٥٠٤) ن.م .
(٥٠٥) ن.م : ٢٠٣ .
(٥٠٦) الحموي : معجم الادباء ١ : ٣٧١ .
(٥٠٧) م.س ٨ : ٥٤ ، ٥٦ ، ٧٢ ، الذهبي : العبر ٣ : ١٤٦ ولزيادة التفاصيل راجع الفصل الخامس (١ ـ حركات العيارين والشطار) .
(٥٠٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٢ .
(٥٠٩) ألف ليلة وليلة مج ١ : ١٤٦ .

يتعصبون ضد الاسواق الاخرى ، اذا حدثت الفتن بينهم[٥١٠] •

ولقد لعبت الاسواق دورا مهما في حياة بغداد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية • فكل ما كان يحدث في بغداد من حدث مهم يلقى صداه في الاسواق • فاذا ما توفي احد العلماء المشهورين نرى الباعة والتجار يسرعون الى غلق اسواقهم اعلانا للحزن عليه • كما حدث في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م عند وفاة الحسن بن حامد الوراق[٥١١] • وحدث مثل ذلك في سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م عند وفاة الاسفرائيني[٥١٢] • وفي سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م عند وفاة ابن القزويني[٥١٣] • وفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م عند وفاة ابي يعلى الفراء[٥١٤] • وفي سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م عند وفاة ابي الفوارس[٥١٥] •

واذا ما حدثت الفتن المذهبية بين المذاهب الاسلامية المختلفة نرى صداها واضحا في الاسواق ، حيث تبادر الى غلق ابوابها[٥١٦] •

كما ان بعض الاسواق كانت تتخذ مكانا للاحتفال بعاشوراء ، فتعلق على جدرانها المسوح ، وتقام فيها المآتم[٥١٧] •

اما الدور الثقافي الذي لعبته الاسواق في حياة بغداد فيظهر جليا من اتخاذها مكانا لمتابعة الدرس • حيث كان يشتغل فيها بعض الشيوخ ، سواء

---

(٥١٠) م٠س : ٥٦ •
(٥١١) م٠س ٧ : ٢٦٣ •
(٥١٢) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ٣٦٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٧٧ •
(٥١٣) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٢ : ٤٣ ، ابن الجوزي المنتظم ٨ : ١٤٦ ، الذهبي : العبر ٣ : ١٩٩ •
(٥١٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤٣ •
(٥١٥) سبط ابن الجوزي : ج ٨ ق ١ ص ١٧ •
(٥١٦) م٠س ٩ : ٤٧ •
(٥١٧) م٠س ٨ : ٦٢ •

كانت هذه الاسواق تخص التجار ـ كما مر سابقا ـ او تخص الباعة . وان هذا الدور لم يستحدث في القرن الخامس بل كان استمرارا للقرن الرابع . فقد ورد على لسان التنوخي في سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م انه قال « سمعت من الحشمي في دكانه بباب الشعير »[٥١٨] . وجاء عن محمد بن احمد ، ابي جعفر السلمي (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م) انه « نقاش فضة » وانه قد سمع من العلماء المشهورين في عصره . ووصفه الخطيب البغدادي بانه ثقة ، وانه احد المتكلمين على مذهب الاشعري[٥١٩] . وجاء عن ابن السماك احمد بن الحسين الواعظ(ت ٤٢٤هـ/١٠٣٢م) انه كان يبيع السمك في السوق الى ان صار رجلا كبيرا ، ثم ترك بيع السمك وصحب الصوفية[٥٢٠] . ومما لا شك فيه ان سوق الوراقين ببغداد كانت قد فاقت في تأثيرها الثقافي جميع هذه الاسواق . اذ كانت تعقد فيها مجالس العلم ، وبها يلتقي الادباء والعلماء[٥٢١] .

ونتيجة للقلق السياسي والاقتصادي الذي ساد القرن الخامس الهجري من جراء ضعف السلطة الشرعية ، ومجيء الجيوش البويهية والسلجوقية[٥٢٢] . تعرضت الاسواق الى اعتداءات العيارين والشطار المتكررة ، من سرقة واحراق . وفرض الضرائب احيانا[٥٢٣] . وكان التجار هم المقصودون بهذه الاعتداءات ، الا ان ضررها كان يعم بقية الاسواق احيانا فيصيب بذلك الباعة كما يصيب التجار[٥٢٤] .

---

(٥١٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٣٢٨ .
(٥١٩) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٥١ .
(٥٢٠) م.س ٤ : ١١١ .
(٥٢١) مجهول : مناقب بغداد : ٢٦ .
(٥٢٢) راجع الجند ص ٤٢ ـ ٥٢ .
(٥٢٣) راجع الفصل الخامس (١ ـ حركات العيارين والشطار) .
(٥٢٤) راجع الفصل الخامس (١ ـ حركات العيارين والشطار) .

ولكن الحكومة ، رغم ضعفها كانت تهتم بالاسواق ، فتعهد امر العناية بها الى المحتسب الذي يتخذ له الاعوان وبعض المتطوعين احيانا لضبطها[٥٢٥] ، من اجل المحافظة على الاسعار ، وعدم التلاعب بالاوزان ، او غش السلع المباعة[٥٢٦] . ومن الامثلة على ذلك مما وقع في سنة **٤٧٢هـ** عندما وجد المحتسب في ميزان احد الباعة حبات من الرخام على شكل حبات الارز تزن الواحدة حبتين ونصف[٥٢٧] . وكان يبغي من وراء ذلك سرقة المشتري من دون ان يعلم وهذا ما كان يسمى بـ(التطفيف)[٥٢٨] . وكان المحتسب يهتم بامر المرور في الاسواق ، لذلك كان يمنع من بناء المجنبات للدكاكين ، او المصاطب امامها[٥٢٩] .

وقد كانت الحكومة تساهم في بناء الاسواق ، او تجديد ما يتهدم منها كما حدث في سنة **٤٥٢هـ**[٥٣٠] **١٠٦٠** و **٤٨٥هـ/١٠٩٢**[٥٣١] وتضع الحراس الليلين عليها لحراستها[٥٣٢] .

اما الباعة المتجولون فقد كانوا يطوفون في شوارع بغداد ، ولهذا

---

(٥٢٥) الماوردي : الاحكام : ٢٤١ ، أبو يعلى : الاحكام : ٢٦٨ وأنظر
(Massignon (Louis) : Islamic Guilds — E. Soc. Scie. Vol 7. P. 214)

(٥٢٦) الماوردي : الاحكام : ٢٤٣ ، أبو يعلى : الاحكام : ٢٦٩ .

(٥٢٧) الحبة : سدس ثمن الدرهم أي جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من الدرهم ـ الصعيدي : ٦٨٣ .

(٥٢٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣٢٣ .

(٥٢٩) الماوردي : الاحكام : ٢٤٠ ، أبو يعلى : الاحكام : ٢٦٩ ، الشيزري : ١١ .

(٥٣٠) م٠س : ٢١٦ .

(٥٣١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٦٠ ، مجهول : مناقب بغداد : ١٦ .

(٥٣٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٢ .

اطلق عليهم اسم (الطوافين)[٥٣٣] • اما مبيعاتهم فكانت مختلفة كالفواكه[٥٣٤] والمشروبات مثل شراب السوس • ومن الجدير بالذكر ان باعة المشروبات هؤلاء كانوا يعتنون بمظهرهم ويطيبون مشروباتهم بالمسك ، ويحملونها في كيزان من الزجاج[٥٣٥] • ومن جملة مبيعاتهم ايضا الادوية والاطعمة والكتب[٥٣٦] •

وقد يتخذ هؤلاء الباعة اماكن لهم معينة لبعض الوقت ، كأن ينتحي احدهم جانبا من السوق • ثم يبدأ بالمناداة على بضاعته[٥٣٧] • او يتخذ من المسجد ميدانا لعرض ما يبيعه على المصلين[٥٣٨] • ويبدو ان الباعة الثابتين كانوا لا يرتاحون لوجود هؤلاء المتجولين بقربهم ، لذلك كانوا يطردونهم من اسواقهم[٥٣٩] •

ولقد اعتاد الباعة الثابتون منهم والمتجولون ان يبكروا في خروجهم الى اعمالهم وكسب رزقهم[٥٤٠] • وبعد ان يتخذوا اماكنهم ، يبدأون بمراقبة المارة لاغرائهم بالشراء وعرض البضاعة عليهم ومدحها امامهم ، وذم البضاعة المماثلة عند زملائهم في السوق[٥٤١] • رغم اقرارهم ان الارزاق بيد الله وانه هو المتكفل بارسالها اليهم[٥٤٢] •

---

(٥٣٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٤٤ •

(٥٣٤) ن•م ، ابن الاثير ١٠ : ٦١ •

(٥٣٥) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٣١ •

(٥٣٦) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٢ •

(٥٣٧) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٣ : ١٩١ •

(٥٣٨) م•س •

(٥٣٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٣ : ١٩١ •

(٥٤٠) المكي ١ : ١٠٦ ، ابن الجوزي : ذم الهوى : ٣٦٣ •

(٥٤١) السلمي : آداب الصحبة وحسن العشرة : ٥٤ •

(٥٤٢) ن•م : ٥٣ •

و ـ الدلالون :

وهم السماسرة الذين يدلون المشتري على السلع ، ويدلون البائع على الاثمان[٥٤٣] . فيقومون بدور الوساطة بين البائع والمشتري . لذلك كانوا يأخذون نماذج من بضائع الباعة او التجار ويعرضونها على المشتري[٥٤٤] ولكن البعض لم يكونوا يكتفون بدور الوساطة فقط ، بل يلجأون في سبيل تصريف البضائع الى خداع المشترين والكذب عليهم . حتى وان كان هؤلاء المشترون من اصدقائهم او جوارهم . فمن اساليبهم في تصريف البضاعة ان يصفوا جودة البضاعة ، وقلتها في الاسواق ، وانه لم يبق منها سوى هذه النماذج التي يحملها الدلال بيده . او يذكر الدلال للمشتري بان ثمنها سيرتفع ، او ان الراغبين في شرائها كثيرون . وربما لجأ الدلال الى التواطىء مع دلال آخر ، فيأتي امام المشتري ويأخذ من البضاعة التي بيد الدلال الاول بالسعر الذي ينادي به عليها[٥٤٥] . ويدفع له ثمنها ثم يمضي . لكي يغري المشتري في شراء بقية النماذج . او ربما تواطأ مع جماعة من الدلالين فيأتون امام المشترين ويبدأون بالمزايدة على البضاعة ، المعروضة للبيع ، فيورطون المشترين في الدخول معهم في تلك المزايدة ، فعندما يستقر السعر (السوم) على احد المشترين ينسحب الدلالون من المزايدة ، فيضطر المشتري عند ذلك الى شرائها[٥٤٦] .

ومن اساليبهم في البيع ايضا ان يتشارك بعضهم مع التجار ، او ان

---

(٥٤٣) الزبيدي : ٣ : ٢٨٠ .
لقد اعترف كاتب هذه المادة في دائرة المعارف الاسلامية سي . هـ . بيكر ـ انه ليس بين يديه مادة منتظمة عن السمسار . وانه لا محيص من الاكتفاء بذكر بعض الاشارات العارضة . مج ٩ : ٢٥٧ .
(٥٤٤) ابن الاخوة : ٥٨ .
(٥٤٥) ابن الهبارية : الصادح : ٣٥ .
(٥٤٦) الدمشقي : ٤٣ ، ٤٤ .

يشتري البضاعة لنفسه ، ويوهم صاحبها ان بعض الناس اشتراها منه بذلك السعر ، ولكنه في نفس الوقت يكون قد تواطأ مع غيره على شرائها منه بسعر آخر • او ان يشتريها لنفسه فعلا ثم ينادي عليها على اعتبار انها لغيره • ومنهم من يتفق مع بزاز على مقدار معين من المال ، فاذا قدم الى البزاز تاجر ومعه بضاعة ، فان البزاز يستدعي ذلك الدلال ليبيع البضاعة فاذا باعها اعطى البزاز ما كان قد اتفق معه عليها[٥٤٧] • وقد يتفق بعضهم مع التجار على حصة معلومة غير حصة الدلالة[٥٤٨] • ومنهم من يزيد في سعر السلعة من عنده دون علم صاحبها • او ان ينادي على السلعة حتى تنتهي المناداة فيشتريها هو لنفسه ، ويقول للمشترين ان صاحبها لا يوافق على بيعها[٥٤٩] •

وقد ينادي الدلال على البضاعة ، ثم لا يتقدم احد لشرائها مما يضطره الى تركها لليوم الثاني لكي يعاود المناداة عليها[٥٥٠] • واعمال الدلالين هذه كانت تشمل انواعا كثيرة من البضائع[٥٥١] •

لقد كانت اعمال الدلالين في تصريف البضائع موضع فخرهم واعتزازهم اذ كان احدهم بفخر ان يعرف عنه تغفله للمشترين من اجل بيع البضاعة • اذ يعتبر ذلك مجالا لرزقهم وبابا لمعيشتهم[٥٥٢] • الا انهم في ذلك كانوا يضعون انفسهم تحت مراقبة المحتسب ، الذي كان لا يقر الا الدلالين الامناء الذين لا يخرجون عن مهنتهم الاصلية الا وهي التوسط

---

(٥٤٧) الشيزري : ٦٤ •

(٥٤٨) ن٠م : ٦٣ •

(٥٤٩) ن٠م •

(٥٥٠) السقطي : ٥٨ •

(٥٥١) ن٠م •

(٥٥٢) الدمشقي : ٤٤ •

فقط بين البائع والمشتري[٥٥٣] .

ز ـ اللصوص :

كثر اللصوص في القرن الخامس[٥٥٤] . ونتيجة لضعف الدولة العباسية وما رافقه من اضطراب سياسي واجتماعي نتيجة لمجيء الجيوش البويهية والسلجوقية[٥٥٥] . وكنتيجة للصراع المذهبي الذي ساد القرن الخامس بطوله[٥٥٦] .

ففي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م ظهر اللصوص على أثر وقوع الفتن فيها . فسرقوا أموال الناس بشكل ظاهر من دون خوف[٥٥٧] . وفي السنة التالية ظهر اللصوص من الاكراد فسرقوا دواب الجند الاتراك ، حتى جعلوهم يخفونها في بيوتهم . وكذلك فعل الملك البويهي (جلال الدولة) نفسه ، اذ اخفى دوابه في بيت من بيوت دار المملكة[٥٥٨] . ولكن دور الحكومة لم تكن لتمنع اللصوص من الدخول فيها وسرقتها كما حدث في سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م عندما دخلوا دار المملكة وسرقوا الثياب منها[٥٥٩] .

وفي سبيل الحصول على ما يريدون سرقته كانوا لا يتورعون عن قتل من يقف في طريقهم . ففي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م دخلوا بيت ابي عبدالله بن

---

(٥٥٣) الماوردي : الاحكام : ٢٥٤ ، أبو يعلى : الاحكام ٢٨٣ ، السقطي : ٦٠ ابن الاخوة : ٦٠ .

(٥٥٤) لقد كانت عصابات اللصوص موجودة في بغداد وخارجها في القرن الرابع الهجري أيضا ـ أنظر ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٠٧ ، ابن الاثير ٩ : ١٦٤ وأنظر أيضا آدم متز ٢ : ٣٩٤ ـ ٣٩٦ .

(٥٥٥) أنظر عن الجند ص ٤٢ ـ ٥٢ .

(٥٥٦) أنظر كتاب ابن الجوزي : المنتظم وابن الاثير : الكامل .

(٥٥٧) ابن الاثير ٩ : ١٤٨ .

(٥٥٨) ن٠م : ١٥٤ .

(٥٥٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٤ .

ابي موسى الهاشمي قاضي الجانب الشرقي فأخذوا أمواله وقتلوه[٥٦٠] ٠
وفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م دخلوا بيت أحمد بن محمد بن أبي المكارم الصيرفي المعروف بابن القديس ، ليلا فأخذوا أمواله وقتلوه أيضا[٥٦١] ٠

ويبدو من بعض الاحداث التي ورد ذكرها ان اللصوص كانوا على ثقة من نجاتهم ٠ لذلك تراهم يحاورون أصحاب الدور أو يتظرفون معهم ، فمن ذلك ما جاء عن لص دخل في بيت فأخذ بعض اثاثه وخرج ٠ فصاح رب البيت « مانحس هذه الليلة » فأجابه اللص « ليس على كل احد »[٥٦٢] ٠ وجاء عن لص آخر انه دخل بيتا فلم يجد فيه ما يسرقه غير دواة مكسورة فأخذها وكتب على الحائط « عَزَّ علي فقركم وغناي »[٥٦٣] ٠

ولقد كان اللصوص يتفننون في سرقاتهم ، ويظهرون في كل ذلك ضروبا من الذكاء ، فقد جاء عن أحدهم انه دخل مسجدا ، فرأى رجلا نائما فيه وتحت رأسه كيس فيه ١٥٠٠ دينار ، فأخذ الكيس من تحت رأس الرجل ٠ فلما أفاق أراد اللحاق باللص الا انه لم يستطع ذلك لانه وجد نفسه مشدودا بخيط من قنب في أوتاد مثبتة في أرض المسجد[٥٦٤] ٠ وجاء عن آخر انه كان يفش الاقفال ويدخل الدور ، فاذا أصبح في صحنها حفر حفرة صغيرة وطرح فيها جوزات كأنه يلاعب أحدا آخر ، ثم أخرج منديلا فيه نحو مائتي جوزة ، فتركه الى جانب الحفرة ، وعمد بعد ذلك الى جمع ما يستطيع جمعه من تلك الدار ٠ فان لم يفطن به أحد خرج وأخذ ما جمعه ٠ وان فطن به صاحب الدار ، وخرج اليه ترك ما كان

---

(٥٦٠) الهمداني : تكملة : ١٤٧ ٠
(٥٦١) الخطيب البغدادي : تاريخ ٥ : ٨٩ ٠
(٥٦٢) ابن الجوزي : الاذكياء : ٢٠٠ ٠
(٥٦٣) ن٠م ٠
(٥٦٤) ن٠م : ١٩٦ ٠

ينوي سرقته وهرب . فان كان صاحب الدار قويا لا يرهب اللصوص واستطاع ان يقبض عليه ، ثم اجتمع الجيران بعد ذلك ، فانه يقبل على صاحب الدار ويجادله بشكل يوهم الجيران ان بينهما معرفة قديمة ومقامرات طويلة أدت الى خسران اللص أموالا كثيرة فيما سبق . وانه الآن قد قامر صاحب الدار بهذه الجوزات وربح تلك الاموال التي كان قد جمعها من الدار ، لذلك اتهمه صاحب الدار باللصوصية خوفا من افتضاح امره بالمقامرة . فيحول بينهما الجيران ويخرج اللص(٥٦٥) .

ومن حيلهم أيضا ان جماعة منهم خرجوا لسرقة دار صيرفي ، واتفقوا ان يتقدم احدهم يكدي من أهل الدار . فلما فعل خرجت جارية فابتعد عند ذلك عن الباب فلحقته لتعطيه ما طلب منها . فشغلها بعض الوقت ، وفي أثناء ذلك دخل الدار لص آخر ، واختبأ في المستراح الذي كان في دهليز الدار . فلما دخلت الجارية واغلقت الباب كان هذا اللص مختبئا ، حتى اذا ما انتصف الليل فتح لاصحابه باب الدار فدخلوا ، ونقبوا بعد ذلك تحت باب الدهليز المفضي الى صحن الدار . فانتبه صاحب الدار واستطاع ان يقبض عليهم(٥٦٦) .

ولم يكونوا يستعملون الحيلة في الليل فقط ، بل كانوا يستعملونها في وضح النهار أيضا . ففي سنة **٥٣٨**هـ/**١١٤٣**م ورد خبر عن اللصوص انهم كانوا يلبسون ملابس التجار فيمشون في الاسواق من دون ان يشك أحد بهم . فيدخلون على التجار ويسرقونهم ثم يهربون(٥٦٧) . ولشدة براعتهم في السرقة قيل عنهم في الامثال « فلان يسرق الكحل من العين

---

(٥٦٥) التنوخي : نشوار ١ : ٧٨ ، ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٤٥ .

(٥٦٦) التنوخي : نشوار ٨ : ١٣٤ .

(٥٦٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٠٥ .

والقميص من بين الجنبين »[٥٦٨] •

وكان اللصوص يذهبون الى المقابر بعد كل عملية سرقة ، وخاصة اذا كانوا جماعة ليقتسموا ما سرقوه أو ليخفوه هناك[٥٦٩] • ومن الجدير بالملاحظة ان المؤرخين لم يذكروا لنا اسما من أسماء هؤلاء اللصوص ، كما فعلوا بالنسبة للعيارين والشطار • والارجح ان ذلك حدث بسبب طغيان أخبار العيارين والشطار في هذا القرن على أخبار اللصوص[٥٧٠] •

اما الحكومة فانها لم تكن تألو جهدا في مطاردتهم • فقد كانت تقطع يد السارق في بعض الاحيان[٥٧١] • مطبقة بذلك أحكام الشرع[٥٧٢] • وربما بالغت في الشدة عليهم في أحيان أخرى كما كان يحدث في سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م عندما كان شحنة بغداد سعدالدولة الكوهرائين يأمر بقتل اللصوص والتمثيل بهم[٥٧٣] ومع ذلك فانها لم تستطع ان توقف عبثهم بالامن لفترة طويلة •

ح ـ الفلاحون :

الفلاحون هم سكان القرى المحيطة ببغداد ، وكانوا يسمون بالسوادية أو أهل السواد[٥٧٤] ، ومعلوماتنا عنهم قليلة وخاصة فيما يتعلق بطرق حياتهم اليومية وعاداتهم المتبعة • وكذلك طريقة امتلاكهم الارض أو استئجارها • ويرجع ذلك الى انه لم يكتب عنهم في هذا القرن رحالة أو

---

(٥٦٨) الثعالبي : التمثيل : ٢٢٥ •

(٥٦٩) ألف ليلة وليلة مج ١ : ٢٤٧ •

(٥٧٠) أنظر الفصل الخامس (١ ـ حركات العيارين والشطار) •

(٥٧١) الهمداني : تكملة : ١١٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٤ : ٢٦٣ •

(٥٧٢) الماوردي : الاحكام : ٢٢٦ـ٢٢٨ ، أبو يعلى : ٢٥٠ـ٢٥٢ •

(٥٧٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١١٥ •

(٥٧٤) أنظر ص ١٣ من هذا الفصل •

جغرافي[٥٧٥] • وان الذين كتبوا عن العراق من الجغرافيين والرحالة قبل هذا القرن[٥٧٦] ، أو بعده[٥٧٧] لم يهتموا بذكر أحوال الفلاحين وتبيان حياتهم اليومية •

ولقد وردتنا أسماء بعض القرى المحيطة ببغداد مثل البردان[٥٧٨] ، وبزوغي[٥٧٩] ، وباري[٥٨٠] ، والأثلـة[٥٨١] ، والاحـواز[٥٨٢] ، وبابوني[٥٨٣] ، وصرصر ، ونهر الملك والصراة[٥٨٤] ، وباقداري[٥٨٥] ،

---

(٥٧٥) امثال البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) صاحب كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع •

(٥٧٦) امثال ابن رستة (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م) صاحب كتاب الاعلاق النفيسة ، وابن خرداذبة (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) صاحب كتاب المسالك والممالك ، وابن الفقيه (ت ٢٨٩هـ/٩٠٢م) صاحب كتاب البلدان والاصطخري (ت في حدود ٣٤٠هـ/٩٥٦م) صاحب كتاب مسالك الممالك ، وابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) صاحب كتاب صورة الارض •

(٥٧٧) امثال بنيامين الرحالة الذي وصل بغداد عام ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م ، وفتاحية الذي وصل بغداد عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) ، وابن جبير الذي وصل بغداد عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م ومن الجغرافيين الحموي (ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م) صاحب معجم البلدان ، وابن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٠٨م) صاحب كتاب مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) صاحب كتاب مسالك الابصار •

(٥٧٨) الحموي : معجم البلدان ١ : ٥٥٢ •

(٥٧٩) ن٠م : ٦٠٦ •

(٥٨٠) ن٠م : ٤٦٦ •

(٥٨١) ن٠م : ١١٨ •

(٥٨٢) ن٠م : ١٦٧ •

(٥٨٣) ن٠م : ٤٤٤ •

(٥٨٤) المقدسي : أحسن التقاسيم : ١٢١ •

(٥٨٥) م٠س ١ : ٤٧٥ •

والمحمدية[٥٨٦] ، والمحول[٥٨٧] ، والعسكر وهي مجموعة قرى متصلة بغداد[٥٨٨] .

ان من الطبيعي ان يشتغل الفلاحون في هذه القرى بالزراعة على اختلاف أنواعها ، ولكن بعضهم كان يشتغل بالصناعة أيضا ان كان في القرية صناعة ، كما هو الحال في قرية باقداري التي يصنع فيها نوع من ثياب القطن[٥٨٩] ، وكذلك اشتهرت حربى بصناعة الثياب القطنية[٥٩٠] ، واشتهرت قرية سبن بصناعة الثياب الكتانية[٥٩١] . وقرية الحظيرة بصناعة الثياب الكرباس ، وهي ثياب من القطن الابيض[٥٩٢] . وقد كانت هذه الثياب تحمل الى خارج العراق[٥٩٣] .

اما الحاصلات التي كان يأتي بها هؤلاء الفلاحون من قراهم لبيعها في بغداد فقد كانت كثيرة ومتنوعة[٥٩٤] .

كالحبوب : مثل الحنطة[٥٩٥] ، والشعير[٥٩٦] ، والارز والذرة[٥٩٧] ، والعدس ، والدخن والجلبان[٥٩٨] ، والسمسم ، وبزر

---

(٥٨٦) م٠س ٤ : ٤٣٠ .

(٥٨٧) م٠س ٣ : ٤٣٢ .

(٥٨٨) البكري ٣ : ٩٤٣ .

(٥٨٩) الحموي : معجم البلدان ١ : ٤٧٥ .

(٥٩٠) ن٠م ٢ : ٢٣٥ .

(٥٩١) ن٠م ٣ : ٣٥ .

(٥٩٢) الفيروزاباذي ٢ : ٢٤٥ .

(٥٩٣) م٠س ٢ : ٢٩٢ .

(٥٩٤) الماوردي : الاحكام : ١١٨ ، أبو يعلى : ١٠٦ .

(٥٩٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٨ ـ ١٤ .

(٥٩٦) ابن الجوزي : صيد الخاطر : ٢٠٠ .

(٥٩٧) ابن الاثير ٩ : ٢٣٨ .

(٥٩٨) وهو نوع من الحبوب يكون على صنفين احدهما حلو يؤكل نيئا وآخر مر لا يؤكل الا مطبوخا ، الغافقي : منتخب كتاب جامع المفردات : ق ٢ ص ٩٨ .

الكتان ، والخردل .

ومن البقول : كالباقلاء ، واللوبياء ، والحمص[٥٩٩] .

ومن الخضروات : كالباذنجان .

ومن الفواكه : كالقثاء ، والخيار[٦٠٠] ، والبطيخ ، والتمر ، والعنب[٦٠١] ، والتين[٦٠٢] ، والرمان[٦٠٣] ، والتفاح ، والكمثرى ، والخوخ[٦٠٤] .

ومن الحيوانات : كالمواشي[٦٠٥] ، والدجاج[٦٠٦] ، والجاموس[٦٠٧] .

ومن العلف : كالتبن[٦٠٨] .

ومن الحطب : كالشوك[٦٠٩] .

ومن النباتات الاخرى : كالكراث[٦١٠] ، والخباز[٦١١] .

---

(٥٩٩) ابن الجوزي : المدهش : ٦٥ .
(٦٠٠) ن٠م ، ابن الاثير ٩ : ٢٠١ .
(٦٠١) الماوردي : الاحكام : ١١٨ .
(٦٠٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٧٠ ، ٧٢ .
(٦٠٣) ابن الجوزي : المدهش : ٦٥ ، وابن الاثير ٩ : ٢٠١ ، ٢١٦ .
(٦٠٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٤٧ .
(٦٠٥) ن٠م ٨ : ٢٣١ ، وأخبار الحمقى : ١٢٩ .
(٦٠٦) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٧٠ ، وأخبار الحمقى : ١٢٨ ، وابن الاثير ٩ : ٢٣٦ .
(٦٠٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٣١ .
(٦٠٨) ن٠م ٧ : ٧٦ ، ٨ : ١٧٠ ، وسبط ابن الجوزي ج ٨ ق ١ ص ٢٤ .
(٦٠٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٧١ .
(٦١٠) ن٠م ٨ : ١٧٠ .
(٦١١) ابن الاثير ٩ : ٢٣٣ .

وقد كان الفلاحون يعيشون تحت رحمة قوتين عاتيتين ، قوة الطبيعة وقوة الجند والاعراب • اما قوة الطبيعة فكانت تتحكم بهم بأشكال منها هبوب الرياح العاتية والباردة التي اتلفت الرطب عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م[٦١٢]، وقلعت أشجار الزيتون والنخل عام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٦١٣] واماتت المواشي ، واتلفت الاثمار عام ٤٢٣هـ/١٠٣١م[٦١٤] • ثم انقطاع المطر الذي كان يتلف الزرع ويؤدي الى حدوث الغلاء[٦١٥] • وحدوث الفيضانات التي كانت تقع باستمرار[٦١٦] • فمن أعنفها عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[٦١٧] وفيضان عام ٥٠٢هـ/١١٠٨م[٦١٨] وأخيرا الجراد الذي أدى بهم سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م الى طحن الخرنوب[٦١٩] ، وعندما عاد سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م كان قد أدى الى امحال البلاد[٦٢٠] •

اما القوة الثانية التي كانت تتحكم فيهم فكانت الجند والاعراب ، ولم تكن حكومة بغداد وعلى رأسها الخليفة بالقادرة على حماية الفلاحين ، ومنع الاعتداء عليهم ، لذلك كان الجند يستغلون حدوث الفتن فيهجمون على القرى ويسرقون ما يجدونه فيها من مواشي ودواب علاوة على اشاعتهم الخوف والهلع في قلوب الفلاحين كما حدث في سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م[٦٢١] •

---

(٦١٢) م•س : ٣٦ •

(٦١٣) الذهبي : العبر ٣ : ١٣٣ •

(٦١٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨: ٦٦ •

(٦١٥) ابن الاثير ١١ : ٣٢ •

(٦١٦) م•س ٧ : ٢٦٠ حوادث ٤٠٣هـ •

(٦١٧ ، ٦١٨) م•س : ٨٦ ، ٨ : ٢٨٥ ، ابن الاثير ١٠ : ١٧٨ ، مجهول : مناقب بغداد : ٣٤ ، ابن كثير ١٢ : ١٠٩ •

(٦١٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٩٧ •

(٦٢٠) ابن الاثير ١١ : ٤٨ •

(٦٢١) م•س : ١٠٤ •

ولما وصلت طلائع جيش السلاجقة الى النعمانية[٦٢٢] ، عام ٤٤٤هـ/١٠٥٢م هجمت على أهل القرى هناك فنهب الجند الاثاث والاموال ، وارتكبوا المحارم وقتلوا الانفس البريئة[٦٢٣] . ثم انهم لما قربوا من بغداد ووصلت طلائعهم الى قلعة البردان[٦٢٤] نهبت القرى أيضا ، مما أدى بالفلاحين الساكنين هناك الى ترك قراهم هربا بأنفسهم[٦٢٥] .

وفي عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م عندما جاء الجيش السلجوقي لاحتلال بغداد بقيادة طغرلبك ، هرب الفلاحون من قراهم والتجأوا الى الحريم (وهي دور الخلافة بغداد)[٦٢٦] . وذلك لان الجيش السلجوقي كان قد انتشر في سواد بغداد فنهب جنده جميع المنطقة الممتدة في الجانب الغربي من بغداد ، من تكريت شمالا الى النيل[٦٢٧] جنوبا ، وفي الجانب الشرقي منها ، من تكريت شمالا الى جنوب النهروانات جنوبا[٦٢٨] .

ولقد تكررت مآسي الاعتداءات والسرقات بالنسبة للفلاحين كلما جاء الجيش السلجوقي الى بغداد كما حدث في السنين ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٦٢٩] ،

---

(٦٢٢) تبعد عن بغداد أربعة فراسخ ـ قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، (الملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة) ص ١٩٣ ـ والفرسخ ثلاثة أميال أو اثنا عشر الف ذراع (أو عشرة آلاف ذراع) ـ الفيروزاباذي ١ : ٢٦٦ .

(٦٢٣) ابن الاثير ٩ : ٢٢٠ .

(٦٢٤) وهذه القرية تبعد أربعة فراسخ عن بغداد ـ ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٩٣ .

(٦٢٥) ابن الاثير ٩ : ٢٢٥ .

(٦٢٦) ابن الجوزي : المنتظم : ٨ : ١٦٤ .

(٦٢٧) بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد ، ويخترقها نهر يسمى بهذا الاسم أيضا ـ الحموي : معجم البلدان ٤ : ٨٦١ .

(٦٢٨) ابن الاثير ٩ : ٢٢٨ .

(٦٢٩) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٧٠ .

٤٩٦هـ/١١٠٢م[٦٣٠] واستمرت لما بعد القرن الخامس[٦٣١] .

وقد كانت حكومة بغداد الضعيفة وعلى رأسها الخليفة ، تحاول ان تمنع الجند من الاعتداء على الفلاحين ، الا انها لم تكن تنجح في مسعاها على الاغلب . كما حدث عام ٤٩٦هـ/١١٠٢م عندما دخل نائب السلطان السلجوقي محمد بغداد وعبث بالقرى ، وفرض عليها الضرائب ، فكل الذي عملته حكومة بغداد انها أرسلت اليه قاضي القضاة ليعرفه قبح الظلم وحرمة شهر رمضان (حيث كان قد حل آنئذ) الا ان ذلك لم يزده الا عتوا[٦٣٢] .

وهؤلاء الجند لم يكونوا ليرتدعوا الا بأمر السلطان وحده ، كما حدث في سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م في عهد السلطان محمد شاه[٦٣٣] . وكذلك في سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م في عهد السلطان مسعود[٦٣٤] .

لقد عاش الفلاحون طيلة النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الاول من القرن السادس الهجريين تحت رحمة الجند السلاجقة ، بالرغم من ان بعض ساسة السلاجقة كنظام الملك (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) كانوا يؤمنون بان عمارة البلاد لا تتم الا بعمارة القرى والمزارع[٦٣٥] . وبالرغم من ان بعض السلاطين حاولوا ان يمنعوا من عبث الجند بالقرى ، وايذاء أو قتل الفلاحين[٦٣٦] . وكنتيجة لهذه الاعتداءات المتكررة من الجيش

---

(٦٣٠) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٣٥ .
(٦٣١) كما في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ـ ابن الاثير ١١ : ٥٤ .
(٦٣٢) م٠س : ١٣٤ .
(٦٣٣) سبط ابن الجوزي : ج ٨ ق ١ ص ٢٤ .
(٦٣٤) ن٠م : ٢٠٨ .
(٦٣٥) نظام الملك : سياستنامة ـ مجلة الرسالة ص ٧٢٥ سنة ١٩٣٩ عدد ٣٠١ .
(٦٣٦) م٠س : ٢٤ ، ٢٠٨ .

السلجوقي زالت بعض القرى التي كانت تقع على طريق مرور الجيش كقرية بنارق التي كانت تقع بين بغداد والنعمانية[٦٣٧] • ومجموعة القرى الواقعة على النهروان[٦٣٨] •

والى جانب هؤلاء الجند الذين كانوا يثيرون الخوف والهلع في نفوس الفلاحين ، كان الاعراب الذين ينتمون لبني مزيد بالحلة أو الى قبيلة خفاجة بالانبار يقومون بنفس الدور الذي قام به الجند • فمن حوادث الاعراب هجوم بني خفاجة عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م على مناطق في غرب بغداد[٦٣٩] • وهجوم بني مزيد على سواد بغداد عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م حيث أخذوا ثياب الناس في منطقة الزاهر[٦٤٠] واستاقوا الجاموس من عقرقوف[٦٤١] ، ولم يوقف الاعراب عن عبثهم سوى وصول جيش الخليفة[٦٤٢] •

وتكرر هجوم الاعراب في سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م على سواد بغداد وفي هذه المرة تطوع عامة بغداد لقتالهم وحملوا لذلك السلاح وخرجوا اليهم[٦٤٣] وظلت هجمات الاعراب هذه تتكرر وخاصة بنو مزيد كما حدث في السنين ٤٩٦هـ/١١٠٢م[٦٤٤] ٥١٤هـ/١١٢٠م[٦٤٥] وهكذا

---

(٦٣٧) الحموي : معجم البلدان ١ : ٧٣٩ •
(٦٣٨) ن٠م ٤ : ٨٤٧ •
(٦٣٩) ابن الاثير ٩ : ٢٢٤ •
(٦٤٠) وهو بستان يقع في الجانب الشرقي من بغداد ـ مجهول : مناقب بغداد : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ •
(٦٤١) وهي منطقة قريبة من بغداد •
(٦٤٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٣١ •
(٦٤٣) ن٠م : ٢٣٤ •
(٦٤٤) ن٠م ٩ : ١٣٤ •
(٦٤٥) ن٠م : ٢١٧ ، وسبط ابن الجوزي : ج ٨ ق ١ ص ٩٠

استمر بنو مزيد لما بعد القرن الخامس[٦٤٦] •

وكما هجر بعض الفلاحين قراهم تحت ضغط الجند السلجوقي كذلك هجر بعض الفلاحين قراهم تحت تأثير هجمات الاعراب[٦٤٧] • الا ان هؤلاء كانوا يعودون الى قراهم عندما يشعرون بابتعاد الخطر عنهم[٦٤٨] •

لاشك ان هذه الهجمات المتكررة من قبل الجند أو الاعراب كانت عاملا لارباك الحياة الاقتصادية والاجتماعية ببغداد والقرى المحيطة بها • ويمكن تفسير بقاء أكثر هذه القرى المحيطة ببغداد وعدم زوالها نهائيا في القرن الخامس • ان الفلاحين قد تكيفوا للمعيشة في تلك الظروف التاريخية المحيطة بهم كاتخاذهم وسائل معينة لاخفاء حاصلاتهم الزراعية وأموالهم الاخرى • أو مراقبتهم لتحركات الاعراب والجند ومن ثم اتخاذ الحيطة منهم بشكل أو بآخر •

---

(٦٤٦) كما في سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م ـ ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٣٥ سبط ابن الجوزي ج ٨ ق ١ ص ١٠٠ • والقلانسي : ٢٠٦ وسنة ٥١٧هـ/١١٢٣م ـ ابن الجوزي : المنتظم : ٢٤٢/٩ وسبط ابن الجوزي : ج ٨ ق ١ ص ١٠٩ وسنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٩ وسنة ٥٣٦هـ/١١٣١م ابن الاثير ١١ : ٣٧ ، القلانسي : ٢٧٥ وسنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ـ القلانسي : ٣٠١ •

(٦٤٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٣٤ ، ابن الاثير ١١ : ٥٦ •

(٦٤٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٣٧ ، ابن الاثير ٥٩/١١ •

الفصل الثاني

الاحوال المعاشية للعامة

١ ـ طعام العامة :

تطور المجتمع البغدادي فنتج عن ذلك شيوع البذخ والتأنق في الطعام • والميل الى العيش المرفه • وقد تضافرت جهود مجموعات من الناس للوصول الى هذا المستوى كطباخي العهد العباسي وشرائبيه (صانعو الشرائب) وأطبائه ، وأدبائه فكان لجهودهم الاثر الاكبر في شيوع انواع كثيرة من الاطعمة التي اخترعوها •

ولذلك الفت كتب كثيرة في الطبيخ نتيجة لهذا الاعتناء بالطعام وقد اورد لنا ابن النديم[١] اسماء بعض من الف في الطبيخ وهم محمد بن الحارث بن بسخنر[٢] وابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م) ويوحنا ابن ماسوية (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) وابراهيم بن العباس الصولي (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) ، وعلي بن يحيى المنجم (حوالي ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ومخبرة[٣]• واحمد بن الطيب وكان معاصرا للمعتضد[٤] (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠١م) ، واحمد بن موسى البرمكي ، المشهور ب (جحظة ت ٣٢٤هـ/٩٣٥م) ، وابو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت حوالي ٣٢٠هـ/٩٣٢م) واضافة الى ما ذكره ابن النديم فقد جاء ذكر آخرين ممن الف في الطبيخ كحنين بن اسحاق (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) الطبيب النصراني الذي ألف كتاب (الاغذية) و (آلات الغذاء)[٥] • وابن مندويه الاصفهاني (ت ٣٧٢هـ/٩٨٢م) وكان احد اطباء البيمارستان العضدي واسم كتابه (الطبيخ)[٦] والمسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) وقد قال بانه

---

(١) الفهرست : ٤٥٤ •
(٢ ، ٣) لم نعثر على سنة وفاته •
(٤) أنظر القفطي : تاريخ الحكماء : ٧٧ •
(٥) ن٠م : ١٧٣ •
(٦) ن٠م : ٤٣٨ •

« كتب عن الطعام ووصف آداب الطبيخ ، مما يحتاج التابع الى معرفته والاديب الى فهمه ، من المتولدات الى معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار[٧] » ومسكويه (ت ٤٢٠هـ/١٠٣٩م) وقيل ان له كتابا « في تركيب الباجات من الاطعمة » وصف بانه « قد احكمه غاية الاحكام واتى فيه من اصول علم الطبيخ وفروعه بكل غريب حسن »[٨] . وهذه العبارة الاخيرة التي قالها القفطي ناقدا كتاب مسكويه تعكس لنا مدى اهتمام الناس في التأليف عن الطبيخ حتى اعتبروه علما قائما بذاته له اصوله وفروعه . وهي تعكس مرة اخرى مدى اهتمام البغداديين في تجويد طعامهم . ولا اخال هذا الاهتمام كان مقصورا على فئة من الناس دون غيرها . وانما كان يشمل اغلب الناس على اختلاف مستوياتهم الاقتصادية كل حسب طاقته .

اما الكتب التي وصلتنا عن الطبيخ فكتابان احدهما مخطوط والاخر مطبوع . اما المخطوط فهو لابي محمد المظفر بن نصر بن سيار الوراق[٩]، واسمه كتاب « الطبيخ واصلاح الاغذية المأكولات » . وهو كتاب يركز كثيرا على الناحية الطبية في الطعام لذلك اهتم بذكر خواص الاغذية ومنافعها ومضارها للناس حسب امزجتهم وحالاتهم الصحية[١٠] . واما الكتاب المطبوع فهو كتاب (الطبيخ) لمحمد بن الكريم الكاتب البغدادي (الفه سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)[١١] . وقد اعتمدنا عليه كثيرا في كتابة هذا البحث .

---

(٧) مروج ٨ : ١٠٣ ـ ١٤٠ .

(٨) م.س : ٣٣٢ .

(٩) لم نعثر على ترجمته فيما تيسر لنا من المصادر ، وأغلب الظن انه عاش في القرن الرابع وذلك لان آخر من ذكره من الخلفاء كان المكتفي (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ) .

(١٠) ان الكتاب محفوظ في اكسفورد تحت رقم ١٨٧ (Hunt) .

(١١) وقد حققه الدكتور داود الجلبي ، وطبع في الموصل سنة ١٩٣٤ .

لأن ما جاء فيه اما ان يكون تسجيلا للشائع من الطبيخ في عصره ، وهو بلا شك يمثل ما توارثه ابناء عصره عن اسلافهم في القرون السابقة ، واما ان يكون قد اعتمد في كتابته على مؤلفات من سبقه وهي كثيرة كما مر ذكرها قبل قليل . وفي الحالين فان كتابه يمثل ما كان شائعا من الاطعمة في القرن الخامس الهجري . ومما يؤكد وجود هذه الانواع من الاطعمة في القرن الخامس الهجري هو شيوعها قبل هذا القرن واستمرار تداولها بين الناس ببغداد حتى الوقت الحاضر ، والتي سننبه على بعضها في اماكنها .

واضافة الى الكتب المذكورة ، فان كتب الحسبة قد امدتنا بمعلومات قيمة عن الطعام عند العامة .

فكان الطعام كما يبدو من النصوص المتوفرة لدينا يقسم الى ثلاثة انواع ؛ نوع يمكن تسميته بانه طعام رخيص بسيط وهو طعام الفقراء والمعدمين . وآخر معقد التركيب يكلف غاليا لما يحتاج الى الآت ومطيبات وجهد وهو طعام الاغنياء وكبار موظفي الدولة . وطعام ثالث يمكن القول عنه بانه طعام شعبي ، شائع بين الناس جميعا رغم اختلاف مستوياتهم الاقتصادية . اما هذه الانواع فهي :

(أ) الاكلات البسيطة الرخيصة

لقد ضرب الزهاد والصوفية ارقاما قياسية في صبرهم على الطعام او اكتفائهم بالقليل النزر منه . وكان من رأيهم ان الانسان اذا أكل الخبز من حلاله ، وصبر على الاذى وترك الشهوات فقد اخذ باصل الزهد[١٢] . واعتقد بعض الصوفية بانهم يجب الا ينتبهوا الى الرزق ، وذلك ان الله يبعث لهم رزقهم اليهم دون ان يسعوا اليه . وهذا ما يسمونه بالتوكل[١٣] . فلو قال رجل للصوفية محتجا على اعتقادهم في التوكل ، من اين اطعم

---

(١٢) المكي ٢ : ١٩٥ .

(١٣) ابن الجوزي : ملتقط الحكايات : ٤٨ .

عيالي ؟ لقالوا قد اشركت[١٤] . واصبح الجوع صفة لازمة لهم . واعتبروه ركنا من أركان المجاهدة . لذلك دأبوا على المرآن عليه « ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع »[١٥] . وقد بالغ احدهم في تزهده حتى انه لم يأكل الخبز ، بل اكتفى بالفتيت فلما سئل عن ذلك قال « بين شرب الفتيت ومضغ الخبز يفوتني قراءة خمسين آية »[١٦] .

وخير مثال على هؤلاء الزهاد المتصوفة بشر الحافي (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م) الذي كان يأبى ان يأخذ طعاما من احد خوفا من ان يكون ثمنه قد حصل عليه بطرق غير شرعية لذلك قال ذات يوم « واني لاشتهي شواء منذ اربعين سنة ما صفا لي درهمه »[١٧] وكانت عائلة بشر المكونة منه ومن امه واخته ، اذا استطاعت ان تحصل على اللحم فانها تقسمه على يومين وتعمل منه طبيخا . كأن تصنع من اللحم والماء والملح طعاما لليوم الاول وتضيف بعض السلق الى اللحم لتعمل منه طبيخا لليوم الثاني[١٨] .

ولم تكن حال بعض الفقهاء باحسن من حال الصوفية ، فهذا احمد ابن محمد الفقيه الابيوردي (ت ٤٢٥هـ/١٠٣٣م) احد فقهاء الشافعية ، والذي ولى القضاء ببغداد (علاوة على انه كان يدرّس في قطيعة الربيع[١٩] ، وله حلقة للفتوى في جامع المنصور) قد جاء عنه انه كان يصوم الدهر ، وان غالب افطاره كان على الخبز والملح من شدة

---

(١٤) ابن الجوزي : تلبيس : ٢٧٣ .

(١٥) القشيري : الرسالة : ٧٢ .

(١٦) ابن الجوزي : تنبيه الغمر كما جاء ضمن مجموعة رسائل باسم التحفة البهية : ٦٤ .

(١٧) ابن الجوزي : صفة ٢ : ١٨٥ .

(١٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ٧ : ٧٥ .

(١٩) تقع في الجانب الغربي من بغداد ـ الحموي : معجم البلدان ٤ : ١٤٢ .

فقره[٢٠] .

وكان طعام فقراء العامة يتكون من اللحم ، والخبز ، والدبس ، والزعفران[٢١] والخل[٢٢] ، ولكن اذا اشتغل احدهم في خدمة دور الخلافة فهو بلا شك سيكون احسن طعاما من زملائه الذين يمتهنون نفس مهنته فمن ذلك ان ملاحا كان يشتغل في خدمة احدى دور الخلافة وفوجيء ذات يوم بالخليفة المقتدر بالله (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) وقد ركب في سفينته فاستأذنه في تقديم الطعام له فوافق الخليفة على مشاركة الملاح في طعامه فاخرج له الملاح سلة خيزران فيها جدى بارد ، وسكباج مبردة[٢٣] .

وبزماورد[٢٤] ، وادام[٢٥] ، وقطعة مالح مملحة[٢٦] ، وارغفة من الخبز السميذ[٢٧] الجيدة . وكانت هذه السلة تأتيه يوميا من بيته ، فيأكل ما فيها

---

(٢٠) م.س ٥ : ٥١ .

(٢١) نبات له صبغة صفراء ـ الجواليقي : ٢٩١ ومن أسمائه العبير ـ الجواليقي : ٣١٦ ومن أسمائه أيضا الكركم والجادي والجساد والريهقان الدينوري : النبات : ٢٠١ .

(٢٢) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٢٩ .

(٢٣) سيأتي شرحها في أثناء الكلام على المأكولات المترفة .

(٢٤) وهو طعام يعمل من لحم الشواء وورق النعنع وبعض الخل والليمون المملوح ولب الجوز ، بعد رش ماء الورد عليه ودقه بالساطور حيث يجعل منه حشوة يحشى بها الخبز السميذ بعد اخراج لبابه . ثم يقطع الخبز قطعا متوسطة مستطيلة ، وبعد تركه مدة ساعة يكون جاهزا للأكل . البغدادي : الطبيخ : ٥٩ .

(٢٥) ما يؤتدم به مع الخبز (أي ما يؤكل معه) وفي الحديث نعم الادام الخل ـ ابن منظور ١٢ : ٩ .

(٢٦) أي قطعة سمك مملحة ـ أنظر البغدادي : الطبيخ : ٦٢ ، ٦٣ .

(٢٧) وهو نوع من الخبز أنظر ص ١٢٥ .

وهو مرابط في سفينته ، وملازم الخدمة . فلما حملت الى الخليفة المقتدر استنظفها واكل منها . ثم طلب من الملاح ان يقدم الحلواء ، فاجاب الملاح انه لا يعرف الحلواء . فاستغرب من ذلك الخليفة ، الا ان الملاح اجابه بان حلواءه التمر والكسب(٢٨) . وانه مستعد لتقديمه . الا ان الخليفة رفض ذلك لأن هذه الحلواء برأيه صعبة لا يستطيع احتمالها . وطلب شيئا من حلوائه المعتادة فاحضرت له عدة جامات(٢٩) . فحالة الملاح هذا كانت حالة خاصة وهي بلا شك لا تنطبق على غيره من الملاحين ، اذا ما استثنينا هؤلاء المشتغلين في خدمة دور الخلافة .

وكان الناس يتعاونون فيما بينهم وخاصة الجيران ، فاذا طبخ احدهم غرف لجيرانه ، حتى وان كان ما طبخه مرق فقط(٣٠) .

ولم يكن الفرد يحافظ على نفس الطعام اذا ما تحسنت حالته الاقتصادية بل يعمد الى تحسينه ، فهذا ابن القزويني الزاهد كان طعامه في بيته يتكون من باذنجان ، وخل ، وباقلاء ، ودبس بالاضافة الى الخبز فلما اعطاه الخليفة القادر بالله سنة **٣٨١هـ – ٩٩١م** مائتي دينار . اسرع الى تغيير طعامه فبدأ يأكل الزبادي(٣١) ، والفراريج ، والخبز السميذ ، والدجاج المشوي(٣٢) .

اما الفقراء وابناء السبيل والمساكين الذين اتخذوا من المساجد والربط

---

(٢٨) الكسب : عصارة الدهن – الرازي : ٥٧٠ .

(٢٩) التنوخي : نشوار ٢ : ١٥١ كما جاء في مجلة المجمع العلمي العربي مج ١٧ ج ٣ ، ٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٧ : ٢١٥ .

(٣٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٢٥٢ وأظن ان هذا ما نسميه في أحيائنا الشعبية بـ (الطعمة) .

(٣١) الزبادي : نبات سهلي له ورق عراض ، يأكله الناس – ابن منظور ٣ : ١٩٣ .

(٣٢) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٦٢ .

بيوتا يأوون اليها فقد كانوا يأكلون مما يتصدق به الناس عليهم ، في المناسبات[٣٣] . واما الذين كانوا يعيشون منهم بين العامة في محلاتهم ، فكانوا يستفيدون من حدوث المناسبات ، سواء كانت مفرحة او محزنة . اذ يحضرون الولائم ويأكلون مما يقدم فيها[٣٤] . وربما اخذوا معهم بعض الطعام الى بيوتهم .

ولقد كان رجال الحكومة وعلى رأسهم الخليفة يتصدقون على هؤلاء في المناسبات المختلفة كالمناسبات الدينية مثل حلول شهر رمضان . كما جاء عن الخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م) انه كان يقسم الطعام الذي يقدم له ليفطر عليه ، ثلاثة اقسام ؛ فقسم يتركه بين يديه ، وقسم يحمل الى جامع الرصافة ، وقسم الى جامع المنصور (او جامع المدينة) فيفرق على المجاورين له[٣٥] . او عند حلول العيد كما حدث في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م[٣٦] عندما وزع الوزير فخر الملك (ت ٤٠٧هـ/١٠١٦م) الصدقات في المشاهد، والتي كان من جملتها الثياب والتمور[٣٧] .

ومن المناسبات الاخرى التي وزعت فيها الاطعمة ؛ شفاء الخليفة او احد رجال الحكم من مرض قد اصيب به . كما حدث في سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) عندما مرض الوزير نظام الملك[٣٨] فاراد ان يعالج نفسه

---

(٣٣) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٦٢ .
(٣٤) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٦ .
(٣٥) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٦٢ .

(٣٦) كان وزيرا في العهد البويهي ، وقد وصف بالعدل أنظر الذهبي : العبر ٣ : ٩٧ .

(٣٧) م.س : ٢٥٦ .

(٣٨) كان من اشهر وزراء الدولة السلجوقية قتل في سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م أنظر ترجمته في ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٦٤ .

بالصدقات كما قيل ، لذلك كان يجتمع بمدرسته (النظامية)[٣٩] من الفقراء والمساكين من لا يحصى وقد تصدق عنه الاعيان والامراء حتى شفي من مرضه[٤٠] . وجاء عن نظام الملك انه كان يكثر الصدقة ، وكان يطلق ببغداد كل سنة من الصدقات « مائتي كر[٤١] وثمانية عشر الف دينار »[٤٢] . ولما مرض السلطان محمود سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م تصدق عنه الخليفة المسترشد ، فوزع على الفقراء ١٠،٠٠٠ رطل من الخبز ، وعشرة رؤوس من البقر ، وتمرا كثيرا[٤٣] .

وكان بعض الوزراء تدفعه اريحيته ـ دون ان تكون هناك مناسبة ما ـ للتصدق على الفقراء والمعوزين ، كما حدث لوزير المقتدي ابي شجاع الروذراوري[٤٤] ، في سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥ عندما طلب من حاجبه ان يعمل له قطائف[٤٥] ، فلما جيء بها اليه ، واكل بعضها تذكر ان هناك نفوسا تشتهي القطائف ولا تقدر على شرائها . لذلك امتنع عن مواصلة الاكل ، وامر الحاجب ان يوزع تلك القطائف على الفقراء[٤٦] .

وجاء عن الوزير ابن هبيرة (٤٩٩-٥٦٠هـ/١١٠٥-١١٦٤م) انه كان يقيم الولائم للفقراء ويضع فيها انواعا من الطعام ، وكان فيمن

---

(٣٩) لقد بنى نظام الملك هذه المدرسة ببغداد في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ـ ن.م ٨ : ٢٣٨ .

(٤٠) ابن الاثير ١٠ : ٧٤ .

(٤١) الكر : ستون قفيزا ، والكر يساوي ٧٢٠ صاعا ـ ابن منظور ٥ : ١٣٧ .

(٤٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٦٥ ، الطرطوشي : سراج الملوك : ٢٣٧ .

(٤٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٤٠ .

(٤٤) أنظر ترجمته في ابن الطقطقى : الفخري : ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٤٥) سيأتي شرحها أثناء الكلام على الحلوى .

(٤٦) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٩٠ .

يحضرها العميان[٤٧] .

اما اهل الكُديَة والمتسولين ، فقد كانوا يتكففون الناس ، ويأخذون طعامهم عن طريق الطواف على دور الناس[٤٨] . وقد استعملوا طرقا مختلفة لاستدرار عطف الناس عليهم . ولهذا اصبحت لهم اسماء مختلفة باختلاف حيلهم واساليبهم[٤٩] . وقيلت فيهم الاشعار التي تصف طرقهم وتذكر اصنافهم[٥٠] ، كما انهم اصبحوا موضوعا شيقا لاهل الادب الذين الفوا عنهم الكتب التي كان من اشهرها كتب المقامات[٥١] .

(ب) الاكلات المترفة :

وهي الاطعمة المعقدة التي تحتاج الى ادوات كثيرة . والآت مختلفة اي المواد التي تسمى (الأبازير) التي تطيب الطعام ، وتزيده نكهة . ومن البديهي ان تكون مثل هذه الاكلات غالية الثمن لا يقدر عليها الفقراء . ومن امثلة هذه الاطعمة :

١ ــ الدجاج : وهو يشمل جميع انواعه سواء كان صغارا (فراريج) او كبارا[٥٢] . وكان سعر الدجاج غاليا اذا ما قرن بثمن بعض الاطعمة الاخرى . ولهذا رأينا بُنان الطفيلي[٥٣] يوصي بأكل الدجاج في الولائم ويرى بانه اغلى الاطعمة ، وان سعر الدجاجة بدينار ،

---

(٤٧) سبط ابن الجوزي : مرآة ج ٨ ق ١ ص ٢٥٩ .

(٤٨) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٥٢ .

(٥٩) البيهقي : ٥٨٢ .

(٥٠) الثعالبي : اليتيمة ٣ : ٣٢٣ .

(٥١) طليمات : أهل الكدية ابطال المقامات في الادب العربي : ٧٣ .

(٥٢) الخوارزمي : مفاتيح العلوم : ١٠٠ ، الازدي : ٣٩ ، ٤٠ .

(٥٣) بنان : هو عبدالله بن عثمان ، ويكنى أبا الحسن ، ولقبه بنان ، وأصله مروزي وقد أقام ببغداد ، وعاش في حدود سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ــ الخطيب البغدادي : التطفيل : ٧٩ ، النويري ٣ : ٣٣٣ .

بينما كان الباذنجان يباع مائة بدانق[٥٤] .

اما كيفية طبخ الدجاج فهي كما وصفها البغدادي ، واحدة في الاساس الا انها تختلف حسب المواد المضافة اليه فالمبدأ العام في طبخ الدجاجة ان تؤخذ وتسلق وتقطع ، ثم تعرق في الشيرج[٥٥] الطري ، المضاف اليه الكسفرة . والمصطكي والدارصيني[٥٦] . وبعد هذه العملية تختلف المواد حسب رغبة الطابخ . فاذا اراد ان تكون حامضة (او من الحوامض كما يسميها البغدادي) فيجب على الطابخ ان يضعها بماء السماق ـ بعد تعريقها بالشيرج ـ او حب الرمان ، او ماء الليمون او الحصرم او بكليهما مخلوطين او الخل والسكر . ثم يضيف اليها بعد ذلك اللوز الحلو المقشور والمدقوق ناعما والذي سبق وان نقع في الماء . ثم يرش بعد ذلك عليها ماء ورد او يفرك فوق كل ذلك باقات نعنع[٥٧] يابس .

وان اراد ان تكون (مصوصا)[٥٨] عرقها بالشيرج بعد السلق ، ثم طرح عليها الكرفس والخل مصبوغا بزعفران . ومن الناس من يجعل عليها عيون البيض .

وان ارادها (ممقورة)[٥٩] اضاف اليها بعد التعرق خل ومري[٦٠] بمقدار متساوٍ مع شيء يسير من ماء السلق[٦١] .

وان ارادها مقلية (او مطجنة كما تسمى ايضا) فيجب ان يقليها

---

(٥٤) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٧٩ .
(٥٥) هو الدهن المستخرج من السمسم .
(٥٦ ، ٥٧) سنشرح هذه الكلمات أثناء الكلام عن المشهيات .
(٥٨) المصوص : لحم ينقع في الخل ثم يطبخ ـ ابن منظور ٧ : ٩٣ .
(٥٩) المقور : المنقوع في الخل والملح ـ الرازي : ٦٢٩ .
(٦٠) المرى نوع من المطيبات يصنع من مواد مختلفة ـ أنظر هامش كتاب الطبيخ للبغدادي : ١٢ ، ١٣ .
(٦١) المقصود بماء السلق هنا ، هو الماء المسلوقة فيه .

حتى تتورد ثم يطرح عليها شيء يسير من ماء السلق وشيء من المرى العتيق • وبعد ان يرفعها عن النار عليه ان يعصر عليها ماء الليمون الطري • وقد يقليها بالشيرج ثم يضيف اليها ماء سلقها وعيون البيض •

اما اذا ارادها (اسفيذباجا)[٦٢] فانه يعمد الى اضافة اللوز الحلو المدقوق ناعما والمنقوع بالماء ، وكذلك الحمص المنقوع ، وباقة شبت[٦٣] ويجعل عليه عيون البيض •

اما اذا فضل ان تكون (خشخاشية او فالوذجية) فانه بعد ان يعرقها بالشيرج ، يعيد اليها ماء سلقها ، ويذر عليها نصف درهم[٦٤] ملح ومثله كسفرة يابسة مسحوقة • ثم يغمرها بماء فاتر ، فاذا غلى القدر كشط الرغوة • ويضيف الى القدر دارصيني ، وزنجبيلا[٦٥] مدقوقا ناعما • ثم يضيف اليها ماء ساخنا مقدار رطل ونصف[٦٦] ويضيف ايضا مائة وخمسين درهما سكرا او عسلا فاذا انحل السكر نثر عليه كف سميذ خشخاشي[٦٧] ، حرك ما في القدر حتى ينضج ، ثم يلقي عليه بعد ذلك

---

(٦٢) نوع من الطعام يصنع من اللحم والبصل والحمص والابازير ـ أنظر صنعته في كتاب الطبيخ للبغدادي : ٣٢ ويقال له (اسفيدبا) أيضا أنظر الوراق كتاب الطبيخ ورقة ١٢ (أ) و
(Steingass: Persian English Dictionnary P. 58)

(٦٣) نبات يستعمل في الطبيخ وكذلك في الادوية ـ ابن البيطار : الجامع لمفردات الادوية والاغذية ٣ : ٥٠ ، ٥١ وربما هو الذي يسميه عامة بغداد في الوقت الحاضر ب (الشبنت) •

(٦٤ ، ٦٦) الرطل يساوي ٤٨٠ درهما ـ ابن منظور ١١ : ٢٨٦ •

(٦٥) عروق لنبات تسري تحت الارض ونباته كالقصب والبردي ، له قوة هاضمة ملينة ـ الفيروزاباذي ٣ : ٣٩٠ وطعمها كطعم الفلفل أنظر ابن البيطار : الجامع ٢ : ١٦٧ ـ ١٦٨ •

(٦٧) الخشخاش : نبات يحمل أزهاراً مختلفة الالوان ، وله بذر يستعمل في الادوية والطعام • والخشخاش أنواع مختلفة ـ ابن البيطار : الجامع ٢ : ٥٩ ـ ٦١ •

ثلاثين درهما خشخاشا طريا ان وجد ، والا فانه يلقي خشخاشا يابسا مدقوقا بعد سلقه • ويحرك الجميع حتى يختلط ، فاذا اختلط اضاف اليه صبغة الزعفران • ورش عليه ماء الورد ، ثم مسح جوانب القدر وتركه حتى يهدأ على نار هادئة لمدة ساعة من الوقت • وعند ذلك تكون الخشخاشية(٦٨) قد تم صنعها • اما الفالوذجية فانه بعد ان يقطع الدجاجة ويعرقها يضيف الى القدر من الملح مقدار درهم ويضيف كذلك الكسفرة اليابسة ، والدارصيني ويغمره بالماء ويتركه فوق النار حتى ينضج ، فيلقي عليه عند ذلك سكرا مدقوقا او عسلا بحسب الحاجة ، ثم الزعفران وكف لوز مقشور ، ويستمر على تحريك ما في القدر حتى ينعقد ـ ومن ارادها شديدة الانعقاد اضاف فوق السكر او العسل مقدار اوقية(٦٩) من النشاء مخلوطا مع الماء ويترك القدر على النار حتى يهدأ لمدة ساعة من الزمن • ثم يرش عليه قليل من ماء الورد وتمسح جوانب القدر بخرقة نظيفة • وعندها تكون جاهزة للأكل(٧٠) •

ومن المهم ان يذكران في جميع هذه الحالات ، لا يمكن ان يستعمل البصل او الثوم(٧١) •

٢ ـ المضيرة : وطريقة صنعها ان يقطع اللحم السمين مع الالية ويوضع في قدر ، ثم يضاف اليه ماء وملح ويغلى الجميع • ويراعى عند الغلي ان تزال الرغوة الطافية على سطح الماء • فاذا قارب النضج يؤخذ البصل الكبار والكراث النبطي الكبار ايضا ويقشر ويقطع ثم يغسل بماء وملح وينشف ثم يطرح في القدر ، وتضاف اليه الكسفرة اليابسة ،

---

(٦٨) البغدادي : الطبيخ : ٤٧ •

(٦٩) الاوقية : جزء من احد عشر جزءاً من الرطل ـ عطية : دائرة المعارف الاسلامية ١٠ : ١٣٩ •

(٧٠) البغدادي : الطبيخ : ٤٨ •

(٧١) ن٠م : ٥٠ •

والكمون ، والمصطكي ، والدارصيني المدقوق ناعما • فاذا نضج ونشف الماء منه ، ولم يبق سوى الدهن غرف في صحن ، ثم يؤخذ من اللبن الفارسي[٧٢] قدر الحاجة فيلقى في القدر ، ويضاف اليه الليمون المملوح، والنعنع الطري ، ويترك حتى يغلي غلية واحدة ، ثم يبعد عن النار ويحرك فاذا سكن غليانه اعيد ذلك اللحم والتوابل اليه • وفي الاخير تمسح جوانب القدر ثم يغطى ويترك حتى يهدأ[٧٣] • ويبدو ان المضيرة كانت أكلة مشهورة ومفضلة ولهذا جعلها الهمذاني موضوعا لاحدى مقاماته[٧٤] •

٣ ـ السكباج : وطريقة طبخه ان يقطع اللحم السمين ويوضع في قدر ثم يضاف اليه الماء وكذلك الكسفرة الخضراء ، والدارصيني والملح ويغلى على النار ، وكلما خرجت رغوته وزبده ، تؤخذ وترمى بعيدا عن القدر • ثم عند ذلك يضاف اليه كسفرة يابسة ، وتنحى عنه الكسفرة الخضراء ويؤخذ بعد ذلك البصل الابيض والكراث والجزر ـ ان كان اوانه ـ او الباذنجان ، ويقشر الجميع ويشق الباذنجان بشكل الصليب ، ويوضع كل ذلك في قدر اخرى فيها ماء وملح ، ويسلق نصف سلقة ثم ينشف من مائه ويترك في خمر ودبس ـ ويجوز في العسل ايضا ـ الا انها بالدبس اليق • ثم تمزج في الحموضة والحلاوة مزجا معتدلا • ثم يصب بعد ذلك في القدر الاولى ، ويترك على النار لتغلي ساعة من الزمن فاذا اريد قطع النار اخذ من المرقة قليلا وديف فيه قدر الحاجة زعفران وصب في القدر • ثم يؤخذ لوز مقشر حلو وعناب[٧٥] ،وزبيب وتين يابس

---

(٧٢) يظن الدكتور داود الجلبي بان المقصود باللبن الفارسي هو الماست أي اللبن الحامض ـ هامش كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٢٣ •

(٧٣) ن٠م : ٢٣ ، وأنظر الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٦ ، ٨٧ •

(٧٤) أنظر مقامات الهمذاني : ١٠٤ ـ ١١٨ وأنظر عن المضيرة أيضا التنوخي نشوار ١ : ٦٣ •

(٧٥) العناب : نوع من الشجر له شوك ، وأغصان معقوفة • ويحمل نوعا من الاثمار يسمى بنفس الاسم ـ الدينوري : النبات : ١٦ ، =

ويوضع في القدر • ويغطى ساعة من الوقت حتى يهدأ على النـار ـ وفي خلال ذلك تمسح جوانب القدر بخرقة نظيفة ـ ويرش على القدر مـاء ورد ، فاذا هدأت النار رفع واصبح عندها معدا للاكل[٧٦] • واقد كان السكباج من الاكلات المحبوبة في جميع فصول السنة[٧٧] •

اما بقيـة انـواع الأكلات المترفـة نقـد ذكر منهـا البوارد[٧٨] ، والاسفيدباج[٧٩] والديكبراكة[٨٠] ، والحصرمية والكشكية والعدسـية والسماقية ، والرومانية ، والمهلبية[٨١] •

(ج) الاكلات الشعبية الشائعة

وهذه الاكلات كثيرة ومتنوعة .وهي كما قلنا في مسـتهل الكلام عن الطعام بانها كانت تؤكل من قبل النـاس رغم اختلاف مسـتوياتهم المـالية وتشـمل :

---

٢١ ، ٢٥ والاثمار هي المقصودة بالمتن •

(٧٦) البغدادي : ٩ وأنظر الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٦ ، ٨٧ ، الغزولي ٢ : ٥٣ ـ ٥٦ •

(٧٧) الازدي : ١٠٠ •

(٧٨) هي البقول المطبوخة الموضوعة في الاشياء الحامضة كالخـل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والريباس والماست كما جاء في الاغذية والاشربة من الخمسة النجيبية لنجيب‌الدين السمرقندي نقلا عن البغدادي في كتاب الطبيخ : ٥٦ •

(٧٩) لقد مر شرحها في هذا الفصل •

(٨٠) جاء في كتاب الطبيخ ذكرها بهذا الشكل « ديكبريكة » وشرحها الدكتور الجلبي في الهامش على انها من أصل آرامي ولفظها « ديكابريكا » ومعناها الديك المبارك • وان طريقة طبخه تشبه طريقة طبخ « الاسفيدباج » ص ١٢ •

(٨١) أنظر عن هذه الاطعمة المذكورة الوراق : الطبيخ ورقة ١٩ (ب) ، الثعالبي خاص : ٤٦ ، الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٦ ، ٨٧ ، البغدادي : الطبيخ : ١٢ ، ابن بطلان : شري الرقيق : ٣٨٦ ، الغزولي ٢ : ٥٣ ، ٥٦ •

١ ـ السمك : ويؤكل حسب اشكال مختلفة منها المقلي والمشوي والمطبوخ اما المقلي فهو الذي يعمل باحدى الطريقتين التاليتين ، اولهما انهم يأخذون السمكة فيقطعونها او يتركونها على حالها ، ثم ينظفونها ويزيلون الجلد والقشور عنها وبعد ذلك يجففونها من الماء ثم يلقونها بالشيرج وينثرون عليها الأبازير[٨٢] المدقوقة ناعما . وثانيهما ان تؤخذ السمكة المملوحة فتغسل وتقطع ، ثم تلقى بالشيرج وتخرج وهي حارة فتطرح في لبن قد جعل فيه الثوم المدقوق . وينثر عليها الكمون والكسفرة والدارصيني المدقوق ناعما . وتؤكل السمكة بعد ذلك حارة او باردة حسب رغبة الآكل[٨٣] .

وكان المحتسب يراقب باعة السمك لئلا يخلطوا السمك الطري بالسمك البائت ، او يلقونه بالزيت المعاد ، وخاصة المتغير الرائحة[٨٤] .

اما السمك المشوي ، فهناك عدة طرق لعمله منها ان تؤخذ السمكة فيزال عنها قشرها ، ثم يشق جوفها وتغسل غسلا جيدا ، ثم تنشف من الماء وينثر عليها من المطيبات انواع مختلفة كالسماق بعد ان يدق ناعما . ثم بقدر نصفه سعتر يابس[٨٥] ، ويدق ايضا ، ومثل ربعه ثوم مقشر مدقوق ناعم ، ويؤخذ مثل نصف الجميع لب جوز فيدق ويخلط الجميع وينثر عليه شيء من الكسفرة والدارصيني والكمون والمصطكي مسحوقة سحقا ناعما ، ويعجن بالشيرج الطري ويعدل ملحه وتطلى السمكة بالشيرج والزعفران المداف بماء الورد باطنها وظاهرها ، ويمسح ظهرها من ذلك

---

(٨٢) وهي الاملاح والبهارات .

(٨٣) البغدادي : الطبيخ : ٦٠ ، ٦٢ .

(٨٤) الشيزري : ٣٣ .

(٨٥) السعتر (والصعتر) : نبات يختلف باختلاف منابته لونا وشكلا لذلك كانت أوراقه مدورة وطويلة ودقيقة وعريضة يضاف الى الطعام ليطيبه ـ ابن البيطار : الجامع ٣ : ٨٣ .

الحشو الآنف الذكر • وتربط بخيط كتان قوي وتجعل في سيخ حديدي ، وتوضع في تنور على نار هادئة غير ملتهبة ، ويغطى رأس التنور الى ان تنضج السمكة ثم ترفع وتؤكل حارة وباردة[٨٦] •

وهناك طريقة ثانية للشواء وهي ان تؤخذ سمكة نيشق جوفها وبعد غسلها وتنظيفها وتمليحها تلف في قطعة قماش وتدرج ، ثم توضع في غرفة او موضع حار لا يعبره هواء لمدة نصف نهار او اقل او اكثر وليكن نهار صيف ولكي يعرف مدى صلاحها تجس بالاصابع فان كان لحمها قد لان من تحت جلدها اخرجت من قطعة القماش وغسلت غسلا جيدا ، ثم تداف بعد ذلك بالزعفران وماء الورد ، وتطلى جميعها باطنا وظاهرا • ثم يؤخذ الكمون والكسفرة والدارصيني المدقوقة ناعما مع شيء من اظفار الطيب[٨٧] ويشق في السمكة شقوقا دقاقا ويجعل هذا الخليط من المطيبات في تلك الشقوق ، ثم يذر في جوفها منه ايضا • ثم توضع في مقلى (طاوة) نحاس او برم[٨٨] ويسكب عليها من الشيرج ما يغمرها وتترك في تنور على نار هادئة ويغطى رأسها فاذا شربت الشيرج ونشف عنها وتوردت رفعت • وهي تؤكل أيضا حارة وباردة وقد تؤكل مع الباذنجان المقلي ، ومع الكامخ الريجال[٨٩] •

وهناك وسيلة أخرى لأكل السمك غير الشواء أو القلي منها التي

---

(٨٦) البغدادي : الطبيخ : ٦٠ •

(٨٧) نوع من الطيب أسود يشبه الظفر ، له رائحة عطرية يؤتى به من أماكن مختلفة ـ ابن البيطار : الجامع ١ : ٢٩ •

(٨٨) البرمة : القدر مطلقا ، وهي في الاصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن ـ ابن منظور ١٢ : ٤٥ وقد ذكر الوراق ان هناك مقالي من البرام ـ الطبيخ ورقة ١٢ (أ) •

(٨٩) الكامخ : أدام يؤتدم به وقد خصه قوم بالمخللات ـ الزبيدي ٢ : ٢٧٦ اما الكامخ الريجال فهو نوع من اللبن يصنع بطريقة خاصة بعد اضافة المطيبات اليه ـ البغدادي : الطبيخ : ٦٨ •

يسميها الخوارزمي ب (السميكا) التي تعمل من صغار السمك[٩٠] . ثم الطبخ اي طبخ السمك كبقية الطبيخ[٩١] .

وقد اعتاد الناس ان لا يشربوا بعد اكل السمك الماء او اللبن ولا يأكلوا البيض او اللحم اذ يعتبرون ذلك مضرا بالصحة[٩٢] .

اما انواع الاسماك التي ذكرت في هذه الاكلات الشعبية فهي البحري كالحلزون والروبيان والصدف وكانت هذه الانواع مفضلة للملاحين والغواصين بصورة خاصة . ثم السمك النهري ؛ كالهازباء والبني والجريث[٩٣] والشبوط والسلوق والربيثاء والصحناء والصير . وكانت هذه مأكولة من قبل بقية الناس[٩٤] .

٢ ـ الباقلاء (او الباقلي) وكانت اما ان تطبخ على انفراد ، اي من دون ان تضاف الى غيرها لتكون طعاما معينا ، وذلك بعد تقشيرها وتنقيتها وشقها الى نصفين[٩٥] .

اما طبخها لوحدها فكان هو الشائع والمفضل لدى الناس وبصورة خاصة الفقراء . وكانوا يضعون عليها الشيرج او دهن الجوز[٩٦] . وينقعون فيها الخبز ليعملوا ثريدا يسمى ب (ثريد الباقلاء)[٩٧] .

وكان ماء الباقلاء لا يقل اهمية عن الباقلاء نفسها . اذ ينقعون فيه

(٩٠) مفاتيح : ١٠٠ .
(٩١) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٢٢ .
(٩٢) م.س : ١٠٠ لا يزال أهل بغداد يعتقدون بذلك (ما عدا شرب الماء) .
(٩٣) أظن انه هو المقصود (بالجري) في الوقت الحاضر .
(٩٤) الخوارزمي : ١٠٠ .
(٩٥) البغدادي : الطبيخ : ٣٤ .
(٩٦) ابن الدمياطي : المستفاد ج ٣ ورقة ٢٩ .
(٩٧) الثعالبي : خاص : ٤٦ .

الخبز • فقد جاء عن ابراهيم بن علي الفيروزاباذي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) انه قال « كنت اشتهي وقت طلبي العلم الثريد بماء الباقلاء سنين »[٩٨] وكان بعض الفقراء يكتفي بشراء ماء الباقلاء لينقع فيه رغيفا من الخبز ويقتات به • كما كان يحدث لاحد المحدثين وهو عبدالله بن ابراهيم ابو القاسم الجرجاني ، المعروف بالابندنوني (ت ٣٦٨هـ/٩٧٨م) انه كان يدفع كل شهر دانقا لشخص يبيع الباقلاء لكي يبل له كسرا يابسة من الخبز ، ويضع له بعض ماء الباقلاء في الصحن[٩٩] •

وكانوا يضعون على الباقلاء ماء الليمون او السماق المدقوق ناعما والمنقى من حبه لكي يزيدوا في شهية الاكلين[١٠٠] •

ويبدو ان الصوفية كانوا يحبون الباقلاء كثيرا[١٠١] ، وربما كان ذلك بسبب انخفاض مستواهم المعاشي • ولكن من جهة اخرى فان بقية العامة كانت تشارك الصوفية في حبهم للباقلاء ، وان هذا الحب لها يمتد الى عهد اسبق من القرن الخامس الهجري • فقد جاء عن اسحاق بن ابراهيم المصعبي صاحب الشرطة في عهد كل من المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمتوفى سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م انه رفع اليه مقدار ثمن ما يباع من الباقلي المطبوخ في كل يوم في احد جانبي بغداد ستون الف دينار[١٠٢] • وهذا يدل على كثرتها في الاسواق وعلى رخصها في الوقت نفسه • ولقد جاء عنها في سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م انها قلت في الاسواق بسبب مجيء الجراد

---

(٩٨) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٧ •
(٩٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٩ : ٤٠٧ •
(١٠٠) البغدادي : الطبيخ : ٣٤ •
(١٠١) م•س ٢ : ٣٨٠ ، ٧ : ٢٦٩ •
(١٠٢) ابن مهمندار : فضائل بغداد : ١٩ ، الصابي : رسوم : ١٨ ، ١٩ •

لذلك بيعت (بالميزان)[١٠٣] ولا ادل على حبهم لها من وصفها بانها « حلية الخوان »[١٠٤] .

٣ ـ الهريسة : وكانت تباع في الاسواق عند الصباح الباكر[١٠٥] . لذلك كانت العامة تخرج لشرائها مبكرا[١٠٦] . وقد كان باعتها ينادون عليها لجلب انتباه الناس اليها[١٠٧] والهريسة من الاكلات القديمة ببغداد حيث كان الناس يطبخونها في بيوتهم ايضا ويقدمونها للضيوف[١٠٨] . ومن الطريف ان يذكر هنا ان ابن قتيبة عبدالله بن مسلم ، أبا محمد الكاتب الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) مات بعد اكله هريسة[١٠٩] .

ولدينا نموذجان لعمل الهريسة ، لم يختلفا من حيث الاساس وانما اختلافهما كان من حيث مقادير المواد المصنوعة منها الهريسة . اما النموذج الاول فهو الذي اورده البغدادي في كتاب الطبيخ[١١٠] ، وهو ان يؤخذ من اللحم السمين ستة ارطال فيقطع قطعا مستطيلة ، وتلقى في القدر وتغمر بالماء . ثم يوقد تحت القدر حتى تقارب النضج ، وعند ذلك تخرج قطع اللحم فيزال عنها العظام وتعاد الى القدر . ويضاف اليها اربعة ارطال من الحنطة الجيدة النوع المغسولة والمقشورة في الوقت نفسه . ويستمر ايقاد النار تحت القدر حتى ينتهي ربع الليل، ويكون تحريكها خلال ذلك الوقت مستمرا ثم يضاف الى القدر لحم دجاج مقطع وعيدان دارصيني وتترك فوق

---

(١٠٣) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٧٤ .

(١٠٤) الثعالبي : ثمار القلوب : ٤٨٧ .

(١٠٥) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٧٤ .

(١٠٦) التوحيدي : ٣ : ٧٥ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ١١ : ١٧٨ .

(١٠٧) التنوخي : نشوار ١ :٥٥ .

(١٠٨) الشابشتي : الديارات : ٨٠ .

(١٠٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٠ : ١٧٠ .

(١١٠) ص ٥٢ .

النار الى منتصف الليل ، فتضرب عند ذلك ضربا جيدا[١١١] • حتى ينعقد هذا الخليط من المواد ـ اي ان تصبح اجزاؤه متماسكة ـ وكان يفضل ان يجعل انعقاد الهريسة سلسا بدلا من انعقادها شديدا ، اذ يعتبر ذلك عيبا فيها • ويلقى فيها من الملح حسب الحاجة • وان احتاجت الى ماء زيدت ماء حارا وتترك الى الفجر ، ثم يعاد ضربها ، وبعد ذلك ترفع عن النار وتسلى الالية الطرية وتجعل في وجهها • كما يلقى عليها ايضا الكمون والدارصيني المدقوقين ناعما ، كل واحد بمفرده • وتؤكل بعد ذلك مع المرى العتيق • وماء الليمون الطري •

اما النموذج الثاني لصنع الهريسة فهو الذي اتانا به الشيزري[١١٢] فاستعمل بدلا من الرطل الاوقية مقياسا للحم • وانه اختلف عن البغدادي الذي لم يحدد نوع اللحم بان حدد نوعه وهو ان يكون لحم الضأن والبقر او الجمل كما انه لم يقل باضافة لحم الدجاج كما قال البغدادي • فطريقته هي ان يؤخذ من لحم الضأن ثماني اواقي • ومن لحم البقر رطل واحد مقابل كل صاع[١١٣] من القمح • وان يكون اللحم نقيا من الدرن والغدد والعروق والاعصاب ، طريا غير غث ولا متغير الرائحة • وان يجعل في الماء المملح لمدة ساعة من الزمن لكي يخرج ما في بطنه من الدم • ثم يخرج بعد ذلك ليغسل بماء غير ذلك الماء • وبعدها يوضع في القدر بحضرة العريف[١١٤] ، الذي يختمه بخاتم المحتسب • ويبقى على هذا الشكل الى وقت السحر حيث يحضر العريف ويكسر الخاتم ويأمر الهراس بالبدء

---

(١١١) يسمى العامة ببغداد في الوقت الحاضر هذا الضرب بـ (الدرخ) والآلة (المدراخة) •

(١١٢) الشيزري : ٣٦ وأنظر ابن عبدون وآخرين : ١٠١ •

(١١٣) الصاع : مكيال يكال به ، وهو أربعة امداد ـ الرازي : ٣٧٣ •

(١١٤) العريف : هو موظف مكلف من قبل المحتسب لمراقبة الاسواق •

بعمله ، كل ذلك من قبيل الاحتياط من حيل الهراسين الذين يبدلون اللحم بالرؤوس(١١٥) عند كسادها في الاسواق ، او انهم يرفعون اللحم من القدر ليعيدوه في اليوم التالي • او انهم يخلطون اللحم الجديد باللحم المتبقي من الغد • ويضاف الى القدر بعد الهرس دهنا طريا طيب الرائحة وكذلك المصطكي(١١٦) والدارصيني •

ومما مر يتضح ان البغدادي كان قد اهتم بعمل الهريسة الجيدة وبذلك اعطانا احسن صورة لذلك، بينما كان اهتمام الشيزري بذكر هريسة الباعة في الاسواق ، وتحذير الناس من حيلهم •

وكانت الهريسة من الاكلات المفضلة لدى الناس على اختلاف اعمارهم ، فكان الشيوخ يحبونها كحب الشباب لها(١١٧) • ولذلك قيلت فيها اقوال كثيرة تدل على كثرة اكل الناس لها(١١٨) • كقول احدهم « ان خير البقاع ثلاثة دكان الرواس ، والشواء ، والهراس »(١١٩) • وقد وضع آخر حديثا اسنده الى الرسول (ص) انه قال « اطعمني جبريل الهريسة لتشد ظهري لقيام الليل »(١٢٠) • كما انهم كنوا عنها بالشهيدة ، وبالهدية(١٢١) •

٤ ـ العصيد والثريد : ان العصيدة تعمل باشكال مختلفة منها عصيدة

---

(١١٥) المقصود بالرؤوس هي (الباجة) في الوقت الحاضر •

(١١٦) واصل اسمه (المصطكا) وهو نوع من الشجر يستفاد من خشبه ومن ثمره وأوراقه • كما انهم يستخرجون من جسمه صمغ ـ ابن البيطار : الجامع ٤ : ١٥٨ وأظن ان الصمغ هو الذي يوضع في الهريسة ، وفي سواها من الاطعمة •

(١١٧) الثعالبي : خاص : ٤٦ •

(١١٨) التوحيدي ٣ : ٧٥ •

(١١٩) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٥٣ •

(١٢٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٢٧٩ ، ٢٨٠ •

(١٢١) القاضي الجرجاني : المنتخب : ٩٥ •

التمر ، وعملها ان يؤخذ من التمر اربعة ارطال ، وعشرة ارطال من الماء ويجعل في قدر ثم يوقد تحته حتى ينضج . ثم يمرس باليد مرسا جيدا ويصفى على منخل ، ويرد بعد ذلك الى القدر فيضاف اليه نصف رطل من السكر وربع رطل من العسل ونصف درهم من الزعفران ورطل من لباب خبز مفتوت ، ورطل شيرج ، وربع رطل جوز مقشر . ويحرك في القدر حتى يقارب النضج ، فيعبأ بين رقاقتين[١٢٢] . وقد تزين باللوز ، وربما عملت العصيدة بغير سكر ولا عسل[١٢٣] .

وكان الناس يكنون عن العصيدة « بام رزينة »[١٢٤] ولقد وصفوها باشعارهم كما وصفوا الهريسة ، فقال احدهم من قصيدة له[١٢٥] :

ويرمي بهيكله في السعير   لقلع الثريد وبلع العصيد

ولقد اشتهرت من انواع العصائد ببغداد المنصورية والبرمكية[١٢٦] . ويبدو ان اسعار العصائد لم تكن غالية . لذلك كان باستطاعة الفرد ان يشتري من السوق بدرهم واحد[١٢٧] .

اما الثريد فكان يتكون من المرق واللحم[١٢٨] ، وقد يضاف اليه الحمص[١٢٩] . وكان يؤكل في الغداء والعشاء ايضا[١٣٠] . وقد سئل اعرابي عن الطعام وأيه أحب اليه فقال « ثريدة دكناء من الشعير ، رقطاء

---

(١٢٢) الرقاق : الخبز الرقيق ــ الرازي : ٢٥٣ .
(١٢٣) البغدادي : الطبيخ : ٧١ .
(١٢٤) القاضي الجرجاني : ٩٦ .
(١٢٥) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٦٢ .
(١٢٦) الازدي : ٤١ .
(١٢٧) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٤ : ٣٩٥ .
(١٢٨) م.س : ١١ .
(١٢٩) م.س : ١٠١ .
(١٣٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٨ : ٣٥٥ .

من الحمص . لها حقاق[١٣١] من اللحم » . فقيل له وكيف يكون الحال اذا قدمت لك ؟ قال « اصدع بها تين ، واشـهد بهـذه ، يعني الابهـام . واخنع[١٣٢] ما شد بهذه يعني البنصر . والف سائرها بهذه يعني الخنصر . ثم اضرب بها ضرب ولي السوء في مـال اليتيم »[١٣٣] . الا ان الظرفـاء المتأنقين في مأكلهم كانوا لا يأكلون الثريد ولا يتحسون المرق ، ولا يمصون العظـام[١٣٤] .

٥ ـ الارز : وكان يؤكل مع اللبن[١٣٥] ، او مع السمن[١٣٦] او مع السكر[١٣٧] . وكان يقدم مع غيره من الاطعمة . وقد سئل صوفي عن اطيب الاطعمة فذكر الارز باللبن[١٣٨] . والظـاهر انه لم يكن شـائعا كشيوع الاطعمة المذكورة قبله .

٦ ـ الكباب : وقد عرفه الغزولي بقوله « الكباب ، بفتح الكاف ، وهو اللحم المشروح واجوده ما شرح اللحم شريحا خفيفا ونثر عليه الملح ، ونصب له مقلي على النار بلا دسم وطرح عليه . وقلب من جنب الى جنب حتى ينضج ويحمر » . وعقب على ذلك بقوله « هذا هو الكباب الخالص بعينه وهو الذي كان يعمل ليحى بن خالد ولولده »[١٣٩] .

---

(١٣١) الحقاق : ما كان من الابل ابن ثلاث سنين وقـد دخل في الرابعة ـ الرازي : ١٤٦ .

(١٣٢) اخنع : اخضع ـ ابن منظور ٨ : ٧٩ .

(١٣٣) الازدي : ١٠١ .

(١٣٤) الوشاء : ١٦٧ .

(١٣٥) الوراق : الطبيخ ـ خط ورقة ٢٣ (أ) ، ابن بطلان : دعوة : ٩٠ ، سبط ابن الجوزي ح ٨ ق ١ ص ٢٤٥ ، الغزولي ٢ : ٥٣ ـ ٥٦ .

(١٣٦) الوراق : الطبيخ ـ ورقة ٢٣ (أ) .

(١٣٧) الوراق : الطبيخ ـ ورقة ٢٣ (أ) ، الثعالبي : خاص : ٤٦ .

(١٣٨) الثعالبي : خاص : ٤٤ .

(١٣٩) مطالع ٢ : ٥٥ وهـذا ما يسمى ببغداد في الوقت الحاضر بـ (التكة) .

وكان الكباب من الاكلات المتوفرة والرخيصة معا[١٤٠] . كما انه كان من الاكلات المحبوبة ، لذا رأينا احدهم يقول فيه « ولدي وقرة عيني الكباب على النار »[١٤١] . ولكونه من الاكلات الشعبية لذلك استقرت له اصول في الطهي . فلم يكن يكتفي بوضع الكباب على النار وانضاجه بهذا الشكل البسيط ، بل اخذوا باضافة بعض المشهيات اليه . فكان بائع الكباب يضع في اقداح خاصة له ماء وملحا وقليلا من ماء الليمون ويفرقها على المشترين لكي يرشوها على الكباب بعد نضجه[١٤٢] . ونظير اقبال الناس على الكباب اخذ بعض باعته يغشونه بان يخلطوا مع لحم الكباب لحم الرؤوس المطبوخة عند كسادها وربما خلطوا مع الكباب الكلى والكبود حيث تشوى جميعا . ثم تباع على الناس[١٤٣] . ومن انواع الكباب الذي اشتهر ببغداد نوع يسمى بالكباب الرشيدي[١٤٤] . والارجح ان هذه النسبة لهارون الرشيد حيث جرت العادة بنسبة الطعام الى الشخص المصنوع له بصورة خاصة ، او الى الشخص المخترع لذلك النوع من الطعام . ثم يشيع في الناس بعد ذلك[١٤٥] .

٧ ـ الرؤوس والاكارع[١٤٦] : وهي نوع من الاكلات الشعبية الشائعة ايضا[١٤٧] . وكانت تباع في الاسواق مطبوخة[١٤٨] ،

---

(١٤٠) التوحيدي : ٣ : ٧٥ .
(١٤١) الثعالبي : خاص : ٤٦ .
(١٤٢) الشيزري : ٣٠ .
(١٤٣) ن.م .
(١٤٤) الازدي : ٣٩ ، ٤٠ .
(١٤٥) الوراق : الطبيخ ـ خط ورقة ٤٥ (أ) .
(١٤٦) لقد نبهنا فيما سبق الا انها تسمى في الوقت الحاضر بـ (الباجة) .
(١٤٧) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٣٤ .
(١٤٨) الشيزري : ٣٠ .

ونيشة[149] .

اما طريقة عملها فهي ان تنظف الرؤوس والاكارع بالماء الشديد الحرارة ، وتنقى من الشعر والصوف ، ثم تغسل بعد ذلك بالماء البارد غير الذي سمطت فيه . وكان على الرواس ان ينظف الخياشيم بادخال اصبعه فيها ، وبدق مقدمها ، لينزل ما فيها من الدود والوسخ ان كان هناك منه شيء . واخراج شيء من الاكارع يقال له ابو صوفان اذ ان بقاءه مضر[150] . ثم ينثر الرواس عليها الملح والسماق المسحوقين بعد ان يتم طبخها ونضجها[151] وكان المحتسب يراقب الباعة حتى لا يخلطوا رؤوس المعز بالضآن[152] .

المشهيات :

وهي انواع مختلفة يدخل بعضها في تركيب الطعام ، فيزيده نكهة ويجود في طعمه . وبعضها لا يدخل في تركيب الطعام وانما يؤكل مع الطعام فيزيد في شهية الآكل . اما هذه المشهيات فهي[153] :

١ ــ الاطايب : كالمسك ، والعنبر ، والعود ، والزعفران ، والقرنفل ، والكبابة[154] .

٢ ــ الفواكه اليابسة : كاللوز ، والجوز ، والفستق ، والبندق

---

(١٤٩) ابن الاخوة : ١٠٥ .
(١٥٠) ن.م .
(١٥١) الشيزري : ٣٢ ، وكرر ذلك ابن الاخوة : ١٠٥ .
(١٥٢) الثعالبي : خاص : ٤٦ ، ابن الاخوة : ١٠٥ .
(١٥٣) الوراق : الطبيخ ــ خط ورقة ١٣ (ب) وما بعدها . ثم ورقة ٣١ ، ٣٧ (أ) .

(١٥٤) وهي بزور تشبه الفلفل في قوته الا ان لها أذنابا ، وهي طيبة النكهة ــ ابن البيطار : الجامع ٤ : ٤٨ .

والصنوبر[١٥٥]، والجوز هند، والعناب، والزبيب، والتمر .

٣ ـ الفواكه الرطبة : كالرمان الحلو، والرمان الحامض، والتفاح، والتفاح الحامض، والريباس[١٥٦]، والحصرم، والاجاص الاسود، والموز، والتفاح الشامي، والبطيخ، والمشمش .

٤ ـ الحلوى : كالسكر، والعسل .

٥ ـ الكوامخ : ولقد مر ذكرها على انها نوع من المخللات، وهي تشمل انواعا مختلفة منها كامخ اللبن، وكامخ الثوم، وكامخ الكبر[١٥٧]، وكامخ المرزنجوش[١٥٨]، واللبن المري الذي يسميه الطباخون بـ (ما كامخ) .

٦ ـ الحبوب : كالحمص، والباقلي، والارز، العدس، واللوبياء والماش .

٧ ـ البقول : كالبصل، والثوم، ومن الجدير بالذكر ان الثوم كان يدخل في كثير من الاطعمة، الا ان الناس اختلفوا في رأيهم فيه . ففي الوقت الذي اعتبره المتدينون اكلة مكروهة[١٥٩]، جعله الظرفاء عنبر القدور[١٦٠] . واعتبره الاطباء ترياق السموم على العموم[١٦١] . ثم من

---

(١٥٥) وهو ثمر شجرة الصنوبر، يستفاد منه ومن النوى الذي في داخله لاغراض طبية ـ ابن البيطار : الجامع ٣ : ٨٧ ـ ٨٩ .

(١٥٦) نبات يشبه السلق : طعمه حامض الى حلاوة ـ أدي شير : ٧٠ .

(١٥٧) الكبر : نبات له شوك ـ ابن منظور، ٥ : ١٣٠ .

(١٥٨) من الرياحين، دقيق الورق بزهر أبيض عطري، تعريب مرزن كوش ومعناه آذان الفار، وان عربيته حبق الفتى وحبق الفيل وآذان الفار ـ ادى شير : ١٤٤ .

(١٥٩) ابن عبدون وآخرون : ٧٤ .

(١٦٠) القاضي الجرجاني : ١٣٥ .

(١٦١) ابن البيطار : الدرة : ١٩٠ .

جملـة البقول ايضـا ماء البصـل ومـاء الثـوم ، والكرفس والكراث ، والجرجير[١٦٢] ، والنعنع ، والسـلق ، والسـداب[١٦٣] ، والكسـفرة الرطبـة[١٦٤] ،والهليون[١٦٥] ، والشـبت ، والباذنجـان ، والجزر ، والشلجم ، والكرنب[١٦٦] ، والصعتر ، والفجل الذي اعتقد الناس بان اكله يسـاعد على الهظم ، لذلك لم يكونوا يأكلونه قبل الطعـام[١٦٧] . واضافة الى ما مر ذكره من البقول فقد ذكر الحندقوقي والهندبا[١٦٨] .

٨ ـ الابازير : كالفلفل ، والكسفرة اليابسة على ان تكون خضراء

---

(١٦٢) ويسمى بقرة العين وهي شجرة تنبت في المياه الراكدة ، غليظة الساق والاغصان ولها ورق شبيه بورق الكرفس الا انه اضعف منه ٠ وله رائحة طيبة ـ ابن البيطار : الجامع ٤ : ٩ ٠

(١٦٣) السداب أو السذاب : نبـات يقارب شجرة الرمان ورقـه كالصعتر وزهره أصفر ورائحته جميلة ـ آدى شير : ٨٨ ٠

(١٦٤) الكسفرة أو الكزبرة : بذر لنبات يجعل في الطعام ليساعد على هظمه ـ ابن البيطار الجامع ٤ : ٦٦ ـ ٧٠ وقد جعلها الدينوري هكذا (الكسبرة) النبات : ٣ ، ٧٤ ٠

(١٦٥) نبات له قضبان رخصة فيها لبن وورق كالكبر وزهر يميل الى البياض ـ ادى شير : ١٥٧ ٠

(١٦٦) وهو نبات شبيه بالسلق ، له ساق وأوراق وكلاهما يؤكل ٠ واما أوراقه فبعضها سبطة وبعضها جعـدة ـ ابن البيطار : الجـامع ٤ : ٥٧ ـ ٦١ ٠

(١٦٧) الشيزري : ١١٦ ، ابن البيطار : الدرة : ٢١٢ ٠

(١٦٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ٩ : ١٩٠ اما الحندقوقي : فهو نبات من الاعشاب يكـون بستاني وبري ـ المجوسي : كامل الصناعـة الطبية ٢ :٢ : ١٠٧ ، وله رائحة طيبـة وقـد اختص الانباط ببيعـه ـ الدينوري : النبات : ١٧٨ ، ١٧٩ واما الهندبا : فهو نبات له زهر أصفر ويعتبر سيد البقول ، ومن صفاته انه يزبد في الماء ـ الكرماني : دقائق العلاج : ٤٥٥ ٠

اللون كما يرى البغدادي[١٦٩] . والكمون[١٧٠] ، والكرويا[١٧١] على ان يكون مثل الكسفرة[١٧٢] أيضا . والزنجبيل . والدارصيني[١٧٣] . على ان يكون قشبه ثخينا ملتفا ذكي الرائحة يحذو اللسان[١٧٤] والمصطكي[١٧٥] على ان يكون حبه كبارا براقا خاليا من التراب والوسخ[١٧٦] . والملح .

٩ ـ المخللات[١٧٧] : وهي انواع كثيرة كانت تستعمل مع الاطعمة ولم يكن عملها مقصورا على زيادة شهوة الاكل ، بل لكي تقل دهانته في الفم ، وتساعد على هضمه في المعدة . كالنعنع المخلل ، والباذنجان المخلل ، واللفت المخلل والباذنجان المحشي ، وكذلك الخيار والقثاء ، والبصل المنقوع في الخل .

---

(١٦٩) الطبيخ : ٨ .

(١٧٠) وهو بزر لنبات يستعمل كاستعمال الانيسون والكراويا ـ سيأتي شرحها أدناه ـ وقوة الكمون حارة مثل قوة كل من هذه البزور . والكمون منه فارسي ومنه شامي ومنه نبطي ومنه كرماني ـ ابن البيطار : الجامع ٤ : ٨١ ـ ٨٣ .

(١٧١) الكرويا بزر صغير الحبة ، وهو يشبه الكمون في قوته ، وانه حار لطيف لذلك يخلط بالمرى والعنبر والباقلاء والهليون ـ ابن البيطار : الجامع ٤ : ٦٤ .

(١٧٢) البغدادي : الطبيخ : ٨ .

(١٧٣) ومعناه بالفارسية شجر الصين ، لونه مائل للحمرة ، وأعواده ملتفة دقاق مقصبة شبيهة بأنابيب قصب السباخ الا انها مشقوقة طولا وغير ملتحمة ولا متصلة . وهي أنواع كثيرة . وهو يسخن ويلطف الاغذية ـ ابن البيطار : الجامع : ٤ : ٨٣ ، ٨٥ .

(١٧٤) البغدادي : الطبيخ : ٨ .

(١٧٥) لقد مر شرحها في ص ١١٦ .

(١٧٦) م.س

(١٧٧) م.س : ٦٥ ـ ٦٦ .

١٠ ـ الصباغ (او الاصباغ)[١٧٨] : وهي انواع كالباذنجان بلبن، والقرع بلبن ، والسلق بلبن ، والبقول بلبن •

الخبـز :

ان الكلام على الطعام يستدعي الكلام على الخبز ايضا ، خاصة وانه يدخل في كل وجبة منه •وهو الذي لا يمكن لاحد الاستغناء عنه سواء كان فقيرا او غنيا • ولكن الخبز لم يكن يصنع بشكل واحد ، بل بأشكال مختلفة ومن مواد مختلفة •

فهو نوعان من حيث الصنع ، نوع بيتي اي يصنع في البيت لتأكله العائلة • وآخر سوقي اي يصنع في السوق في دكاكين خاصة ويباع فيها[١٧٩] • وكان الناس يفضلون البيتي لانه اجود[١٨٠] • وقد يأتي الناس بعجينهم الى الخباز ليخبزه في فرنه لقاء اجرة معينة[١٨١] •

وكان الخبز الجيد والصحي هو الذي يترك عجينه حتى يختمر ، ثم يخبز بعد ذلك • اما الذي يخبز قبل ان يختمر عجينه فانه يصبح خبزا فطيرا ، وهذا النوع الاخير لم يكن مرغوبا فيه[١٨٢] • لانه يعتبر عسر الهضم في المعدة[١٨٣] •

وكان الخبز انواعا من حيث المادة المصنوع منه • فاول هذه الانواع واجودها هو خبز الحنطة[١٤٨] ، وكان يصنع بأشكال مختلفة منها الخبز

---

(١٧٨) البغدادي : الطبيخ : ٦٧ ، ٦٨ •
(١٧٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤١ سنة ٤٥٨هـ ، ٢٩٤ سنة ٤٦٧هـ •
(١٨٠) الحموي : معجم البلدان ٢ : ٢٥٦ ، ابن الاخوة : ٩٠ •
(١٨١) الشيزري : ٢٤ •
(١٨٢) ابن بطلان : دعوة : ٣٨ •
(١٨٣) الوراق : الطبيخ ـ خط ـ ورقة ٢٣ (ب) •
(١٨٤) الحبشي : البركة في فضل السعي والحركة : ٢٣٧ •

الحـواري او السـميذ وهـو المصـــنوع من الطحين الابيض المنقـى من النخالة[185] . والخبز الخشكار ، وهو الذي يخبز من الطحين الخشن غير المنقى من النخالة[186] . وبذلك يأتي بالدرجة الثـانية . ولكنه من الناحية الصحية كان يعتبر غذاء جيدا يوافق كل الامزجة[187] .

واما انواع الخبز الاخرى فهي خبز الدخن ، وخبز الذرة ، وخبز الارز[188] وخبز الشعير[189] .

وكان الفقراء بمـا فيهم الصـوفية والزهـاد يأكلون خبـز الحنطـة (الخشكار) وخبز الشعير[190] . بينمـا يأكل الاغنيـاء خبز السـميذ والحواري[191] . واضافة الى ذلك فقد تفنن الاغنياء وكبار رجال الدولة بصـنع انواع اخرى من الخبز كأن تكون عى هيئة القنـاني او على هيئة اقراص او رقاق ويحشونها اللبن والعسـل والسـكر واللوز ويطيبونها بالمصطكي[192] . وهذه الانواع من الخبز كانت تسمى باسم مخترعها او المعمولة له[193] .

وقد عرف أهل بغداد صنع الكعك الى جانب هذه الانواع من الخبز

---

(١٨٥) الحبشي : ٢٣٧ ، وأنظر الصعيدي : ١٩٩ .

(١٨٦) الحبشي : ٢٣٧ ، ادي شير : ٥٥ .

(١٨٧) ابن البيطار : الدرة : ١٦٥ .

(١٨٨) الوراق : خط ، ورقـة ٢٤ (أ) ، ابن الجـوزي : أخبـار الحمقى : ١٠٢ ، الغزولي ٢ : ٤١ .

(١٨٩) الوراق : خط ـ ورقة ٢٣ (ب) ، ابن الجوزي : تلبيس : ١٤٦ ، والمنتظم ٩ : ١١ سنة ٤٧٧هـ ، الغزولي ٢ : ٤٣ .

(١٩٠) ابن الجـوزي : تلبيس : ١٤٦ ، والمنتظـم ٩ : ١١ سنة ٤٧٧هـ ، الغزولي ٢ : ٤٣ .

(١٩١) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٩١ ، الغزولي ٢ : ٤١ .

(١٩٢) الوراق : خط ـ ورقة ٢٤ (ب) ـ ٢٦ (أ) .

(١٩٣) ن٠م .

وكانت معرفتهم به ترجع الى ما قبل القرن الخامس الهجري[١٩٤] وقد استمروا يصنعونه الى ما بعد القرن الخامس[١٩٥] .

الفواكـه :

لقد ذكرت بعض انواع الفواكه ضمن المشهيات على اعتبار انها تدخل في تركيب الطبيخ او تجعل في المخللات . اما المقصود بالفواكه هنا فتلك التي تقدم على الموائد قبل الطعام[١٩٦] . واشهر هذه الفواكه (سواء كان ذلك بالنسبة لبغداد او العراق) هي الاعناب والتمور[١٩٧]، اما الاعناب فكانت على أنواع بالسرناي ، والخمري ، والملاحي[١٩٨] ، والرازقي . وأهل بغداد يكنون عن هذا النوع الاخير بالمخازن الطوال ومخازن البلور[١٩٩] . وكانت التمور كالاعناب من حيث كثرتها وتعدد انواعها . وقد ورد من انواعها الازاذ ، والقراشة ، والخستوي ، والبرين ، والازاذ العلك اللزج والمصنع الابراهيمي ، والبسر المطبوخ[٢٠٠] .

والظاهر أن أهل بغداد كانوا يكثرون من تناول الفواكه ويتجلى ذلك من كثرة اسمائها وانواعها . او عند الكلام عن اخبار الطفيليين[٢٠١] .

الحلـوى :

وكانت تقدم عند الانتهاء من الطعام[٢٠٢] . وهي انواع كثيرة مختلفة

---

(١٩٤) ن٠م ـ ورقة ٢٦ (أ) ، وأنظر البغدادي : الطبيخ : ٨١ .
(١٩٥) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٤٢ سنة ٥١٧ .
(١٩٦) الوراق : خط ـ ورقة ٣٧ (ب) .
(١٩٧) الثعالبي : لطائف المعارف : ٢٣٧ ، النويري ١ : ٣٥٧ .
(١٩٨) ابن الفقيه : ١٢٥ .
(١٩٩) القاضي الجرجاني : ٩٦ .
(٢٠٠) الازدي : ٤٥ ، ٤٦ .
(٢٠١) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٩ .
(٢٠٢) الوراق : خط ـ ورقة ٣٧ (ب) .

في الوانها وتركيبها وعلى حد تعبير الشيزري « لا يمكن ضبطها بصفة ولا عيار »[٢٠٣] . ومشتقاتها لا تقل كثرة عن انواعها الاصلية . فهي من حيث التركيب على نوعين بسيطة ومعقدة .

اما الحلوى البسيطة التركيب والرخيصة الثمن فهي كالعصائد التي تصنع وتباع في الاسواق[٢٠٤] . ثم التمر الذي اعتبر حلوى كما اعتبر فاكهة ايضا[٢٠٥] . والعسل[٢٠٦] ، والدبس[٢٠٧] ، والقند[٢٠٨] ، وهو عسل قصب السكر[٢٠٩] . والشاش وهو عسل يوضع في اناء ليجمد فيصبح حلوى[٢١٠] .

اما الحلوى المعقدة التركيب فهي :

١ ـ الخبيص : والخبيص في الاصل يصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز او الشيرج ثم يضاف اليه بعد الطبخ شيء من السكر والعسل ، ويرفع عن النار ليجمد[٢١١] . ولكن له انواع اخرى هي :

(أ) ـ خبيص القرع ؛ ويعمل بالطريقة التالية ؛ وهي ان يقشر القرع وينظف من حبه ، ويسلق جيدا ، ثم يجعل على طبق مشبك (مِصْفي) حتى ينشف ويسحق في هاون حجر ، ويعصر باليد . ثم يؤخذ شيرج ويوضع في قدر ويغلى ويضاف اليه دقيق ، وبعد ذلك يؤتى

---

(٢٠٣) نهاية : ٤٠ وأنظر ابن الاخوة : ١١٣ ، والمجوسي : كامل الصناعة ١ : ٢٠٠ ، ٢٠١ .
(٢٠٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٤ : ٣٩٥ .
(٢٠٥) ن٠م ٧ : ٢١٥ ، والغزالي : احياء ٢ : ٥ .
(٢٠٦) الوراق : خط ـ ورقة ٣١ (ب) ، الشيزري : ٤٠ .
(٢٠٧) الشيزري : ٤٠ ، وأنظر ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٦٢ .
(٢٠٨ ، ٢٠٩) الشيزري : ٤٠ .
(٢١٠) ن٠م .
(٢١١) ن٠م .

بالقرع ويطرح في القدر ، ثم يسقى الجلاب[٢١٢] الى ان ينعقد وعندها يرفع عن النار ويكون جاهزا[٢١٣] ٠

(ب) ـ خبيص الجزر : ويصنع من الجزر بعد تقشيره وسلقه واخراج خشبه من جوفه ، ثم يقطع قطعا صغارا ، ويسحق ويعمل بنفس الطريقة المذكورة في خبيص القرع[٢١٤] ٠

(ج) ـ خبائص متنوعة : وهي خبيص اللوز ، وخبيص الخشخاش والخبيصة اليابسة الاهوازية[٢١٥] ٠

٢ ـ الخشكنانج : وهو يشبه ما يسمى في ايامنا هذه بـ (الكليجة) وطريقة عمله ان يؤخذ الدقيق السميذ ، ويجعل على كل رطل ثلاث اواق شيرج ، ويعجن عجنا قويا ، ويترك حتى يختمر ثم يقطع قطعا مستطيلة ويجعل في وسط كل قطعة مقدار من اللوز والسكر المدقوق ناعما والمعجون بماء الورد المطيب ٠ ثم تجمع هذه القطع وتوضع في الفرن حتى تنضج[٢١٦] ٠

٣ ـ الارنين : وعمله أن يؤخذ رطل من الدقيق وثلاث اواق من الشيرج الطري ، ويعجن وتصنع منه أقراص يجعل في جوفها اللوز أو الفستق ، والسكر المدقوق ناعما والمطيب ٠ ثم تؤخذ وتخبز في الفرن ٠ ومن الناس من يستعيض عن السكر وبقية هذه الحشوة ويضع محلها التمر ، بعد ان ينزع منه النواة ٠ ويعجن بشيء من ماء الورد والسمسم

---

(٢١٢) أي ماء الورد ـ ابن منظور : وقيل الشربت
(Steingass: Pre. Eng. Dict. P. 367)

(٢١٣) البغدادي : الطبيخ : ٧٤ وقد ذكر ابن الاخوة هذا الخبيص باسم (خبيص اليقطين) : ١١٣ ٠

(٢١٤) البغدادي : الطبيخ : ٧٤ ٠

(٢١٥) الازدي : ٤١ ٠

(٢١٦) م٠س : ٧٨ وأنظر حاشية الشيزري : ٧٩ ٠

والخشخاش المحمص . ويضعها في جوف الاقراص[217] .

٤ ـ الناطف : وهو نوع من الحلوى يدخل في تركيبه العسل ، والسكر ، والفستق والبندق وكذلك الجوز واللوز والسمسم[218] . وهو على انواع منها ناطف الخشخاش، والناطف الهياجي[219] ، والناطف الاصفر[220] .

٥ ـ كعب الغزال : وهو انواع منها كعب غزال هياجي ، وكعب غزال سابورى[221] .

٦ ـ الصابونية : وتصنع من الدقيق بعد تحميصه بالسمن . ويضاف اليه السكر واللبن . ويعمل منه قوالب مثل الصابون ، وتوضع في طبق وتدخل في الفرن حتى تنضج[222] .

٧ ـ الزلابية : وتصنع في العسل ، او في القند المحلول[223] . ولم يشر احد الى كيفية صنعها ، الا ان الازدي وصف نوعا بانها «قاهرية» محشوة بدهن الفستق[224] .

٨ ـ سنبوسج : وطريقة عمله ان يؤخذ اللحم الاحمر فيشرح ، ثم يدق بالساطور ، وبعد ذلك يدق بالهاون . ثم تضاف اليه قطعا من

---

(٢١٧) البغدادي : الطبيخ : ٧٩ .
(٢١٨) المجوسي ١ : ٢٠٠ .
(٢١٩) لم تعرف بالضبط معنى الهياجي لكن ربما أخذ من (الهيج) اذ ان من معانيها الصفرة والجفاف ـ ابن منظور ٢ : ٣٩٥ .
(٢٢٠) الازدي : ٤٢ ، الشيزري : ٤٠ .
(٢٢١) الشيزري : ٤٠ ، ابن الاخوة : ١١٣ ان (كعب الغزال) من الحلويات المعروفة الآن ببغداد .
(٢٢٢) الشيزري : ٤٠ ، ابن الاخوة : ١١٣ .
(٢٢٣) الشيزري : ٤٠ .
(٢٢٤) حكاية : ٤١ .

الخبز ويعمل منه قطعا بشكل مثلثات • ويلصق بكل قطعة بعض العجين ، ثم يلقى في الشيرج • ثم يرفع بعد ذلك ليكون جاهزا للأكل • واما الذي يسمى بـ (المكلل) فهو ان يحشى عوض اللحم ، بالسكر واللوز المدقوقين ناعما والمعجونين بماء الورد ، او بالحلواء الصابونية ، ثم يلقى بالشيرج • ومن الناس من يخرجه من الشيرج ليجعله في الجلاب ، ثم يرفعه منه ويتركه في السكر المدقوق ناعما المطيب بالمسك والكافور[٢٢٥] •

٩ ـ القطائف : وهي الوان متعددة منها المحشوة وهي التي تخبز مستطيلة ويجعل اللوز والسكر المدقوق ناعما ويلقى عليها بالشيرج وماء الورد والفستق المدقوق ناعما • ومنها المقلوة وهي التي تخبز اقراصا ويجعل فيها اللوز والسكر المدقوق ناعما المعجون بماء الورد • ثم تطوى وتقلى بالشيرج ، وتخرج منه فتغمس في ماء الورد وترفع بعد ذلك لتكون جاهزة • ومنها الساذجة ، وهي التي تجعل في صحن ويسكب عليها الشيرج ثم الجلاب ، وماء الورد والفستق المدقوق ناعما[٢٢٦] •

ولدرجة حبهم للقطائف سماها احدهم بـ « لفائف النعيم »[٢٢٧] • وقد سُئل عنها اعرابي فلم يعرفها الا انه وصفها بانها «كرش مطيب»[٢٢٨] • ولم يكن أكلها مقصورا على جماعة من الناس دون غيرهم اذ كانت محببة لكثير من الناس[٢٢٩] • فقد جاء في حوادث سنة ٤٧٨/١٠٨٥م ان الوزير ابن جهير عمل وليمة حضرها قاضي القضاة الدامغاني • وكان الوزير قد قدم فيها الحلوى بعد الطعام ، فكان في جملة الحلوى القطائف بالسكر •

---

(٢٢٥) البغدادي : الطبيخ : ٥٨ •

(٢٢٦) البغدادي : الطبيخ : ٥٨ وأنظر المجوسي ١ : ٢٠٠ •

(٢٢٧) القاضي الجرجاني : ٩٥ •

(٢٢٨) ن•م •

(٢٢٩) ن•م •

وكانت قد وضعت في صحون كبار يسع الصحن منها ثلاثين رطلا[٢٣٠] .

١٠ ـ الفطائر : وهي عجينة تعمل بشكل رقيق ثم تقلى بالشيرج في المقلى على شكل اقراص وتخرج بعد ذلك وتغمس في الجلاب ثم يذر عليها السكر[٢٣١] .

١١ ـ اللوزينج : وطريقة عملها ان يؤخذ رطل من السكر فيسحق سحقا ناعما ، ثم تؤخذ ثلاثة أرطال من اللوز المقشور والمسحوق ناعما ايضا ويخلط مع السكر ، ويعجن بماء الورد . ثم يؤخذ من الخبز المدقوق ويبسط الرقيق منه ويجعل عليه اللوز والسكر المعجون، ثم يطوى ويقطع قطعا صغيرة ويصف بعضه الى جانب البعض الاخر . ويضاف اليه الشيرج الطري حسب الحاجة . ثم يغمر بعد ذلك بالجلاب المخلوط به ماء الورد ، وينثر عليه الفستق المدقوق ناعما[٢٣٢] .

١٢ ـ الفالوذج : وهي من اشهر انواع الحلوى واكثرها قبولا لدى الناس على اختلاف مستوياتهم المعاشية ، وهي قديمة معروفة لدى اهل بغداد[٢٣٣] .

اما طريقة عملها فتتم بالشكل التالي ؛ ان يؤخذ ثلاثة أرطال من السكر ويذاب بنصف اوقية ماء ورد ويعجن به . فان احتاج الى تقوية زيد سكرا ولوزا . ثم يعجن عجنا قويا وتصنع منه أشكال مختلفة توضع في الصحن لتكون جاهزة[٢٣٤] .

---

(٢٣٠) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٤ .
(٢٣١) البغدادي : الطبيخ : ٨٠ .
(٢٣٢) ن٠م .
(٢٣٣) الوراق : خط ـ ورقة ١٣ (أ) ، ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٤٠ .
(٢٣٤) م٠س .

والفالوذج أنواع منها التي تصنع في البيت وهي الاجود . ومنها التي تصنع في السوق وهذه تكون ذات منظر حسن ومخبر سيء ولذلك قال فيها شاعر[٢٣٥] .

اعزز عليّ باخلاقٍ وسمت بها عند البريةِ يا فالوذج السوقِ

وكان الناس على اختلاف مستوياتهم المعاشية يأكلون الفالوذج[٢٣٦] . وكانوا يكنون عنها بـ « ابي مضاء »[٢٣٧] . وبلغ من اهتمامهم بها انهم كانوا يقيّمون صاحب الوليمة بتقديمه أو عدم تقديمه الفالوذج بعد الطعام . فان قدمها فهو الكريم وصاحب الذوق السليم[٢٣٨] . وبلغ حب الفالوذج بأحد الظرفاء مبلغا عظيما حتى قال فيها « وددت انها والموت اعتلجا في صدري ، والله لو ان موسى لقي فرعون بفالوذجة لآمن لكنه لقيه بعصا »[٢٣٩] .

ولم يكتف الحلوانيون بصنع هذه الانواع الكثيرة من الحلوى بل تفننوا باخراجها بأشكال متنوعة تنم عن رقي أذواقهم . حيث اتخذوا لها قوالب على شكل طيور وثمار وتماثيل يطبعونها على الحلوى وخاصة في المناسبات كالاعراس والولائم[٢٤٠] .

الاشـــربة :

وكانت كثيرة الانواع ، وقد قدرها ابن الاخوة بما يزيد على سبعين

---

(٢٣٥) الثعالبي : ثمار القلوب : ٤٨٨ .
(٢٣٦) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ٨٥ ، ابن الجوزي : ذم الهوى : ٥٣٠ .
(٢٣٧) القاضي الجرجاني : ٩٥ .
(٢٣٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ٥ : ١٤٧ .
(٢٣٩) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٤٠ .
(٢٤٠) الوراق : خط ـ ورقة ١٣ (أ) .

نوعا وان لكل نوع اسما خاصا به[٢٤١] . وأول هذه الاشربة هو الماء الذي اعتنوا بتبريده صيفا سواء كان ذلك عن طريق تعريضه للهواء أو عن طريق الثلج[٢٤٢] . ثم الالبان سواء كانت من الابل أو البقر أو الاغنام[٢٤٣] . وكذلك عصير الفواكه المستخرج من الجزر[٢٤٤] . والتفاح والتمر هندي ، والاجاص والسفرجل ، وعصير السكنجبيل[٢٤٥] الساذج ، والسكنجبيل البزوري ، وعرق السوس[٢٤٦] .

ومن الاشربة ما كانت تشرب بعد الطعام ، وذلك لتنعش شاربها كالنبيذ . الذي عرف من أنواعه ، النبيذ العنبي ، والزبيبي والعسلي ، والتمري ، والدوشابي[٢٤٧] والفقاع وهو شراب منعش يشربه الناس بعد الطعام ليشعروا بنوع من اللذة والارتياح[٢٤٨] . والفقاع يصنع من السكر الابيض بعد تذويبه بالماء ، والماء ورد . وتطيبه بالمسك وتبريده بالثلج . أو يصنع من العسل ، أو من ماء الزبيب الحلو ، أو من الدبس . بعد اجراء العملية التي اجريت على السكر[٢٤٩] . وربما يصنع من الشعير أو الخبز الحواري ، أو ماء الرمان[٢٥٠] .

---

(٢٤١) معالم : ١١٥ وما بعدها .

(٢٤٢) الوراق : خط ـ ورقة ٩ (أ) ، الهمذاني : المقامات : ٦٠ ، ٦١ .

(٢٤٣) الوراق : خط ـ ورقة ٩ (أ) .

(٢٤٤) ن٠م .

(٢٤٥) لعل أصلها (زنجبيل) المار شرحها ، ثم تطور لفظها بعد ذلك .

(٢٤٦) ابن الاخوة : ١١٥ وما بعدها .

(٢٤٧) المسعودي : مروج ٨ : ٢٤٣ ، وأنظر المجوسي ١ : ٢٠٣ـ ٢٠٦ ، ٢ : ١٤ـ١٧ .

(٢٤٨) الوراق : خط ـ ورقة ٩ (أ) ، الغزولي ٢ : ٨٨ .

(٢٤٩) الغزولي ٢ : ٨٨ .

(٢٥٠) المجوسي ١ : ٢٠٦ .

آداب المائدة :

ان أول الرسوم المتبعة في آداب المائدة هي وضع الطعام على سفرة أو خوان • اما السفرة فكانت تتخذ على شكل مدور وتبسط على الارض ثم يتحلق حولها الآكلون • ومادة صنعها من الخوص (أي من سعف النخل) أو النسيج أو من النحاس • ثم غلب استعمالها من الاديم لسهولة ازالة الوضر عنه • واما الخوان فهو المائدة التي كانت (ولا تزال) مرتفعة عن الارض • وتصنع من الخشب أو الرخام • كما ان الخلفاء قد اتخذوها من الفضة والذهب(٢٥١) •

ثم بعد ان يوضع الطعام على السفرة أو الخوان يبادر الآكلون الى غسل أياديهم قبل تناول الطعام • ويكون غسل الايدي في وعاء معين وهو الطست عادة(٢٥٢) • واذا كانوا في وليمة تولى رب البيت أمر البدء بالغسل قبل غيره لكي يشجع المدعوين على اتباعه(٢٥٣) • ثم بعد الغسل يجلس الآكلون حول السفرة أو الخوان انتظارا للبدء بالاكل • وفي مراعاة آداب المائدة عند الاكل وضع الغزالي خمس قواعد وهي تمثل ما كان سائدا آنذاك(٢٥٤) ، وهي :

١ ـ تعجيل الطعام : اذ يعتبر ذلك من اكرام الضيف •

٢ ـ ترتيب الطعام : بتقديم الفاكهة أولا ـ ان وجدت ـ ثم تقديم الطعام بعد ذلك ، ويبدأ بأفضله وهو اللحم ثم الثريد بعده • فان جمع اليه الحلوى ، فقد جمعت الطيبات وحصل الاكرام •

٣ ـ ان يقدم من الالوان ألطفها حتى يستوفي من يريد ، ولا يكثر

---

(٢٥١) حبيب زيات : الخزانة الشرقية ٣ : ١٣٣ ، ١٣٤ •
(٢٥٢) الهمذاني : المقامات : ١١٤ •
(٢٥٣) كشاجم : أدب النديم : ٢٧ الغزالي : احياء ٢ : ١٦ •
(٢٥٤) احياء ٢ : ١٦ ـ ١٨ •

الاكل بعده • ويرى الغزالي أن هناك طريقتين في تقديم الطعام احداهما أن يعرض الطعام جميعه مرة واحدة • والثانية ان يكتب صاحب الدعوى ورقة فيها أسماء الطعام يعرضها على الضيوف ليختاروا ما يعجبهم منها(٢٥٥) •

٤ ـ عدم رفع الالوان ـ من الطعام ـ قبل تمكن الضيوف من الاستيفاء منه • اذ لو رفع لربما بقيت في نفس احدهم حاجة الى لون يفضله فيتنغص بذلك •

٥ ـ ان يقدم من الطعام قدر الكفاية ، اذ التقليل عن الكفاية نقص في المروءة • كما ان الزيادة منه تصنع ومراءاة • وخاصة اذا كان صاحب الدعوى بخيلا لا تسمح نفسه بان يأكلوا كل ما يقدم اليهم • ويستثنى من ذلك الكريم الطيب النفس •

اما عند الشروع في الطعام فعلى الآكل ان يبدأ بالبسملة(٢٥٦) وان يراعي الشروط التالية(٢٥٧) •

١ ـ ان لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم لكبر سن أو زيادة فضل • الا اذا كان هو المتبوع والمقتدى به • فحينئذ ينبغي عليه الا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له •

٢ ـ ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من عادات العجم ، ولكن عليهم ان يتكلموا بالمعروف ، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها •

٣ ـ ان يرفق برفيقه في القصعة ، فلا يعمد الى الزيادة في الاكل

---

(٢٥٥) انظر كشاجم : أدب النديم : ١٧ •
(٢٥٦) م•س : ٥ •
(٢٥٧) م•س : ٧ •

على ما يأكله رفيقه ، مهما كان الطعام مشتركا • بل ينبغي عليه ان يؤثر رفيقه ، فينشطه ويرغبه في الاكل ان هو قلل ذلك •

٤ — أن لا يحرج رفيقه الى تفقده في الاكل ، وان يقول له كل • بل عليه ان يأكل مما يشتهي حسب حاجته دون تصنع ان كان مع جماعة وان يعود نفسه ذلك ان كان يأكل بمفرده • اما اذا عمد الى تقليل أكله ايثارا لاخوانه أو أكثر في الاكل تشجيعا وتنشيطا لهم فان ذلك مستحب •

٥ — ان لا ينظر الى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحون ، بل يغض بصره عنهم ، ويشتغل بنفسه • وعليه الا يكتف من الاكل بسرعة قبل اخوانه اذا كانوا لا يزالون يأكلون بخجل ، بل عليه ان يأكل ببطء الى ان يستوفوا •

٦ — ان لا يفعل ما يستقذره غيره ، فلا ينفض يده في القصعة • ولا يقدم اليها رأسه عند وضع اللقمة في فمه • واذا أخرج شيئا من فمه فعليه ان يدير وجهه عن الطعام • ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ، ولا الخل في الرسم • واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة ، والخل •ثم لا يتكلم بما يذكر بالمستقذرات •

٧ — ان يغسل يده عند انتهاء الاكل • وعليه ان يراعي أثناء الغسل جملة أمور هي : ان لا يبصق في الطست ان كان مع جماعة • اما اذا كان وحده فلا بأس ان يبصق أو يتنخم • وان يقدم الطست للمتبوع منهم أو لاكبرهم سنا • وعلى المقدم له ان يقبل أخذ الطست ويعتبره اكراما له • وعليه ان يدير الطست في جهة اليمين • ولا بأس ان يجتمع عدة أفراد على غسل أيديهم سوية • وعلى كل منهم ان لا يمج الماء من فمه في الطست حتى لا يرش الماء على أصحابه • وعلى صاحب المنزل ان يصب الماء على أيدي ضيوفه •

ومن آداب المائدة أيضا ان يأكل الفرد باليد اليمنى ، وان يبدأ بالملح ويختم به . وان يصغر اللقمة في فيه . وان يأكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده فيها لانها أكثر من نوع واحد[٢٥٨] . وان لا يسرع في الاكل وان لا يبلع اللقمة دون ان يمضغها جيدا[٢٥٩] . وان يأكل من دورة القصعة لا من وسطها . وكذلك ان يأكل من استدارة الرغيف ، الا اذا قل الخبز فعند ذلك يستطيع ان يكسر من اين شاء . وكان الزهاد يحبذون نهش اللحم بدل قطعه بالسكين . ويفضلون لعق اليد قبل مسحها بالمنديل . وذلك « لانه لا يدري في أي طعامه البركة »[٢٦٠] . حسب رأيهم وهم بذلك يغايرون الظرفاء المترفين الذين كانوا لا يأكلون العصبة ولا العضلة ولا العرق ولا الكلوة ، ولا الكرش ولا الطحال ولا الرئة ، ولا يأكلون القديد ، ولا ما في القدور من الورق[٢٦١] وفوق كل ذلك كانوا لا يحتسون المرق . ولا يتبعون مواضع الدسم[٢٦٢] . وأظن ان ذلك كان بدافع تأنقهم في مأكلهم لكي لا يخرجوا الاصوات وهم ينهشون العضلة أو يمضغون العصبة أو يحتسون المرق .

ومن الآداب المرعية أيضا ان لا ينفخ الآكل الطعام الحار ، بل كان يستحسن تركه حتى يبرد .

واذا أكل أحدهم تمرا فعليه ان لا يجمع بين التمر والنوى في صحن واحد ولا يجمع بينهما في كفه أيضا . بل يضع النواة من فمه على ظهر كفه ثم يلقيها ، وكذلك كل ما له نوى[٢٦٣] .

---

(٢٥٨) الغزالي : احياء ٢ : ٥ .
(٢٥٩) مسكويه : تهذيب : ٥٠ .
(٢٦٠) م.س .
(٢٦١) المقصود بالورق هنا ، هو ورق النباتات المطبوخة .
(٢٦٢) الوشاء : ١٦٧ .
(٢٦٣) وهذه الطريقة تشابه ما عند الغربيين اليوم من حيث استعمال ظهر الشوكة لنفس الغرض .

وعلى الآكل ان لا يقوم من المائدة قبل ان ترفع[٢٦٤] • فاذا احضر الابريق والطست كان ذلك ايذانا بانتهاء الطعام[٢٦٥] •

وكان من آداب المائدة المرعية غسل الايدي والافواه بعد الانتهاء من الطعام • وهذا الغسل يخالف الغسل الاول قبل البدء بالاكل ، اذ يعتبر تنظيفا حقيقيا • وكان على رب البيت ان يغسل بعد جميع ضيوفه[٢٦٦] • ويبدو ان هناك طريقتين في البدء بالغسل احداهما تجعل الغسل يبدأ من الرجل الجالس عن يسار رب البيت ، ثم الذي يليه ، وهكذا حتى ينتهي اليه فيكون آخر من يغسل • وثانيهما تجعل الغسل يبدأ من الرجل الجالس عن يمين رب البيت سواء كان الجالس حرا أو عبدا[٢٦٧] •

والغسل يتم بالاشنان[٢٦٨] ، الذي اختلف تحضيره حسب امكانية الفرد المالية • فكان فقراء العامة يغسلون به بشكله الطبيعي ، بينما كان الاغنياء وكبار رجال الدولة يغسلون به بعد ان يضيفوا اليه أنواعا من المواد المطيبة أو غير المطيبة كالارز المطحون ، والطين الخراساني ، والكندر[٢٦٩] ، والسعد[٢٧٠] ، والصندل الماصيري ، والمسك ، والكافور ، وجنبذ الورد الجوري • وعند ذلك يصبح هذا الاشنان (سلطانيا) يُرغي كما يرغي

---

(٢٦٤) الغزالي : احياء ٢ : ٥ •

(٢٦٥) الغزولي ٢ : ٦٤ •

(٢٦٦) كشاجم : أدب النديم : ٢٧ •

(٢٦٧) القمي : العلل ، خط ــ برلين ورقة ١١٢ (ب) نقلا عن آدم متز : الحضارة ٢ : ٢٣١ ، وأنظر الخطيب البغدادي التطفيل : ٨٦ •

(٢٦٨) نبات لا ورق له ، الا ان اغصانه دقيقة رخصة فيها ما يشبه العقب وهي على أنواع مختلفة ــ ابن البيطار : الجامع ١ : ٣٧ ، ٣٨ •

(٢٦٩) هو اللبان وأجود أنواعه ما جاء من بلاد اليونان ــ ابن البيطار : الدرة : ٢١٥ •

(٢٧٠) حب لونه أسود قدر الانملة يحتوي على مادة لبنية ــ ابن البيطار : الدرة : ٢٠٤ وانه معروف الآن بنفس الاسم لدى عامة بغداد •

الصابون • ويزبد كما يزبد السدر[٢٧١] • ولهذا اعتبر هذا النوع من الاشنان « طيبا من جملة الطيوب »[٢٧٢] • وكانوا يحتفظون به في إناء خاص يسمى (الاشنان دان) ويوضع له غطاء ليحفظ رائحته من أنْ تسرب منه • ويتخذون له ملعقة يناول بها الغلام الاشنان لمن يريد ان يغسل يديه من دون ان يلمس باليد • ولا سيما يد الغاسل • ذلك خوفا من ان يفسد الاشنان من الزفرة العالقة بيد الغاسل[٢٧٣] •

وقد قدم الغزالي طريقة أخرى للغسل بالاشنان وأظنها هي التي كانت متبعة من قبل فقراء العامة الذين لا يملكون الغلمان في بيوتهم • والطريقة هي ان يجعل الاشنان في كفه (الغاسل) اليسرى ويغسل الاصابع الثلاثة من اليد اليمنى أولا • ثم يضرب أصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه وظاهر أسنانه وباطنها وحنكه ولسانه ويغسل أصابعه بعد ذلك بالماء • ثم يعاود أخذ الاشنان اليابس بعد ذلك ليدلك أصابعه ظهرا أو بطنا • وبهذه الطريقة يستغنى عن اعادة الاشنان الى الفم بعد ان يكون قد غسل يده فيه[٢٧٤] •

وبعد الغسل يعمد الغاسل الى تنظيف أسنانه مما قد يبقى من الطعام بينهـا وذلك عن طريق التخلل[٢٧٥] • وأكثر ما كان يستعمله الناس للتخلل به السواك • وهو على أنواع : منها السواك الماموني أو المامون وهو عبارة عن زهر قضيب ينبت في الصحراء ، وسمي بالماموني أو المامون لقلة أذاه للاسنان[٢٧٦] • وقد أكثر العامة من استعمال هذا النوع من السواك[٢٧٧] • ومن الانواع الاخرى نوع سمي ب (الخلال السلطاني)

---

(٢٧١) الازدي : ٤١ •
(٢٧٢) الغزولي ٢ : ٦٦ •
(٢٧٣) ن٠م •
(٢٧٤) الغزالي : احياء ٢ : ٧ •
(٢٧٥) مسكويه : تهذيب : ٥٠ •
(٢٧٦ ، ٢٧٧) الازدي : ٤١ ، الغزولي ٢ : ٦٨ •

ويبدو انه أجود نوعا من (الماموني) لذلك ميزوه بهذا الاسم[٢٧٨] •

وكانت العامة لا تتحرج من التخلل في الطرق والاسواق • ولكن المتأنقين كانوا لا يستسيغون ذلك ، ولهذا اقتصروا على استعمال السواك في داخل بيوتهم • كما انهم كانوا يستهجنون استعماله ليس في الاسواق والطرق فحسب ولكن داخـل الحمام أو الخلاء أيضـا • وكذلك كان أحدهم لا يستاك وهو نائم أو متكيء ولا حيث يراه الناس أو يستاك وهو يتكلم مع أحد[٢٧٩] •

ومن آداب المائدة في الشراب ، ان يأخذ الشارب الكوز بيده اليمنى ويشرب ـ بعد البسملة ـ ويكون شربه مصا لا عبا • وعليه الا يتجشأ أو يتنفس في الكوز ، بل عليه ان ينحيه عند حصول ذلك ، عن فمه[٢٨٠] •

فاذا انتهت الوليمـة ـ ان كان الآكلون في وليمـة ـ فعلى صاحب الدعوى ان يبخر المدعوين ، كما جرت العادة عند بعض الناس[٢٨١] • وعلى المدعوين ان يشكروا صـاحب الدعوى ويدعـوا له قبل مغادرتهم الدار[٢٨٢] •

وهكذا يتجلى مقدار رقي الحضارة العباسية ماديا من خلال الكلام عن الطعام وتنوع ألوانه وأشكاله ، وكثرة ما يتخذ له من المشهيات • كما يتجلى رقي المجتمع البغدادي (بما فيه العامة) خلقيا من خلال التزامهم بآداب المائدة عند حضورهم الولائم •

---

(٢٧٨) الازدي : ٤١ ، الغزولي ٢ : ٦٨ •
(٢٧٩) الوشاء : ١٨٤ •
(٢٨٠) الغزالي : احياء ٢ : ٥ •
(٢٨١) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٦ •
(٢٨٢) م•س •

٢ ـ ملابس العامة :

ان البحث في الملابس من اعسر البحوث ، وخاصة تلك الملابس التي لم تصل الينا منها نماذج • وقد عرف هذا الامر كل من بحث في الملابس العربية القديمة[٢٨٣] • فبالرغم مما بذلناه من جهد في توضيح أنواع الملابس التي كانت ترتديها العامة ، بقي البعض منها غامضا لا نعرف عنه سوى اسمه ، أو بعض الشيء عنه • وقد اشرنا الى ذلك في موضعه •

وملابس العامة خاصة بهم ، وهي تختلف عن اللباس الرسمي الذي كان يرتديه الخلفاء[٢٨٤] ، والموظفون كقاضي القضاة[٢٨٥] ، والقضاة ، وأصحاب القضاة[٢٨٦] والشرطة ، والجند ، والكتاب[٢٨٧] ، والمؤذنون ، وخطباء المساجد[٢٨٨] •

ولكن من جهة أخرى فان ملابس العامة لم تكن موحدة ، بل كانت مختلفة باختلاف فئات الناس • فكان لكل من الزهاد والفقراء ، ومتوسطي

---

(٢٨٣) أنظر دوزي في مقدمة كتابه :
(Dozy (R.R.A) : Dict. Vet. Ar.)
صالح أحمد العلي : الانسجة في القرنين الاول والثاني ـ مجلة الابحاث ج ٤ كانون الاول سنة ١٩٦١ ، مصطفى جواد : أزياء العرب ـ مجلة التراث الشعبي ـ العدد ٨ ص ٣ سنة ١٩٦٤ ، محمد عبدالغني : ملامح من المجتمع العربي : ٣٤ ، عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك : ٢١٦ـ٢١٧ •

(٢٨٤) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٦١ ، ابن العبري : ١٨١ •

(٢٨٥) ابن النجار ج ١٠ ورقة ٧ (١) •

(٢٨٦) أظن ان المقصود بأصحاب القضاة هم الشهود ، الذين كانوا ينتخبون انتخابا ممن يتمتعون بثقة الناس لحسن سلوكهم وتقواهم •

(٢٨٧) الجاحظ : البيان ٣ : ١١٤ •

(٢٨٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٤٨ ، مجهول : مناقب بغداد : ٢٢ •

الحال ، والاغنياء ملابسهم الخاصة بهم[٢٨٩] . وتختلف كذلك حسب مواسم السنة[٢٩٠] .

وكانت الملابس على ثلاثة أنواع من حيث الغاية ، فبعضها للرأس وبعضها للبدن ، والبعض الآخر للأرجل . يضاف الى ذلك ما كان يلبسه الناس من الحلي .

اما لباس الرأس فكان العمامة ، وهي اسم لما يعقد على الرأس ويلوى عليه من صوف أو قطن أو كتان أو نحو ذلك . سواء كانت تحته قلنسوة[٢٩١] أو لم تكن[٢٩٢] . وهي ميزة الرجال عن النساء[٢٩٣] . وفي ذلك يقول ابن الجوزي في احدى خطبه « يا رجالا ما بانت رجولتهم الا بالعمائم »[٢٩٤] . اذ لم يجوز الفقهاء لبس النساء للعمائم لان ذلك يعتبر تشبها بالرجال[٢٩٥] .

وقد ورث عامة بغداد لبس العمائم عن اسلافهم عرب الجاهلية الذين عرفوا لها عدة فوائد منها انهم كانوا يربطونها على بطونهم في الاسفار البعيدة[٢٩٦] ، ويتزينون بها ، ويعتبرونها وقاة للرأس من كثير من

---

(٢٨٩) سنتناول هذه الملابس بشيء من التفصيل أثناء الكلام على ملابس البدن .

(٢٩٠) الغزالي : التبر المسبوك في نصيحة الملوك : ٤ .

(٢٩١) سيأتي شرح القلنسوة وكيف انها كانت تلبس تحت العمائم ص ١٤٦ .

(٢٩٢) الكتاني : الدعامة لمعرفة أحكام سنة العمامة : ٣ .

(٢٩٣) لقد لبست النساء العمائم أيضا ، الا انها كانت على نطاق ضيق لا يمكن مقارنته بالرجال أنظر الوشاء : ١١٦ .

(٢٩٤) ابن الجوزي : المدهش : ١٦٩ .

(٢٩٥) الكتاني : الدعامة : ٤٣ .

(٢٩٦) الجاحظ : البيان ٣ : ١٠٥ .

الاذى[٢٩٧] .

وقد استمر العرب على لبس العمامة في الاسلام حيث أصبحت سنة نبوية علاوة على كونها تراثا موروثا[٢٩٨] . وهكذا ورثها المجتمع البغدادي في القرن الخامس الهجري ، فأصبح لا يستسيغ خلع العمامة . وينظر الى الرجل الذي يعري رأسه من العمامة بانه ساقط المروءة وتارك الآداب . وكانوا لا يجوزون خلع العمامة وكشف الرأس الا في المناسك تعبدا لله وذلا له[٢٩٩] . واذا أرادوا عقوبة شخص ما خلعوا عمامته من رأسه[٣٠٠] . وقد تخلع العمامة في عزاء الخلفاء[٣٠١] . ولكن من ناحية أخرى كان من غير المسموح به خلع العمامة في دار الخلافة ، ومن يفعل ذلك كانت العقوبة جزاءه[٣٠٢] .

واذا أراد شخص ان يُضفي على نفسه الهيبة والوقار . وان يتصدر في المجالس فانه يلجأ الى الاعتناء بالعمامة[٣٠٣] . ويلبس الانواع الجيدة

---

(٢٩٧) البيروني : الجماهر : ١٦ وقد سئل أبو الاسود الدؤلي عن فوائد العمامة فقال « هي جنة في الحرب ، ودثار في البرد ، وكنة في الحر ، ووقار في الندى ، وشرف في الاحدوثة ، وزيادة في القامة ، وهي عادة من عادات العرب » الجاحظ : البيان ٣ : ١٠٠ وقد اوردها الحصري القيرواني مع اختلاف بسيط في كتابه زهر الآداب ٤ : ١٠٢٠ وأنظر عن فوائدها أيضا الكتاني : الدعامة : ٤ ، ٥ .

(٢٩٨) وقد ورد عن النبي (ص) انه لبس العمامة ـ الكتاني : الدعامة : ٥٣ ، ٩٢ وانه البسها بعض الصحابة ـ أبو داود : السنن ٢ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٢٩٩) ابن الجوزي : تلبيس : ٢٥١ .

(٣٠٠) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٨٩ .

(٣٠١) الاصفهاني : الاغاني ١٠ : ١٩٠ ط دار الكتب .

(٣٠٢) الصابي : رسوم : ٧٢ ، ٧٧ .

(٣٠٣) ابن بطلان : ٢١ .

منها كالعمامة القصب[٣٠٤] . واذا كان من المتطرفين فانه يميل الى اطالة العمامة[٣٠٥] .

ولما كان الناس مولعين بالعمائم ، وغير قادرين على الاستغناء عنها ، فقد استغل ذلك صانعو العمائم فأخذوا يتغفلون الناس ويغشونهم في صنعها بان يضعوها في النشاء أو الصمغ فتأخذ شكلا جذابا[٣٠٦] ، وقد أصبح ذلك من الامور المألوفة[٣٠٧] .

واذا كان الشخص من الموظفين الكبار ، فانه من الطبيعي ان تكون له عدة أنواع من العمائم ، يرتدي لكل ظرف أو مناسبة ما يناسبها[٣٠٨] . بينما فقراء العامة وبضمنهم الصوفية ، يلبسون الخرق كعمائم[٣٠٩] . وربما اعتبر بعض الزهاد والمتواضعين تشويش العمامة وعدم الاعتناء بها من المروءة[٣١٠] . وكان الفلاحون يلبسون عمائم الفوط الملونة[٣١١] . وهي قطعة من القماش غليظة الصنع[٣١٢] ، يكون قماشها من الصوف ،

---

(٣٠٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٤١ والقصب : ثياب من الكتان رقاق ناعمة ـ ابن منظور ١ : ٦٧٧ .

(٣٠٥) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : ١٢٩ .

(٣٠٦) السقطي : ٦٢ .

(٣٠٧) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ١٠١ .

(٣٠٨) ابن النجار ج ١٠ ورقة ٧ (أ) وأنظر ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٤ : ١٠١ .

(٣٠٩) ابن الجوزي : تلبيس : ١٩٨ .

(٣١٠) الثعالبي : التمثيل : ٢٨٢ .

(٣١١) الشريشي : شرح مقامات الحريري ٣ : ٣٠ ، ابن الطقطقى : الفخري : ٢٢٨ .

(٣١٢) ابن سيدة : المخصص ٤ : ٧٢ ، ابن منظور ٧ : ٣٧٣ ، الزبيدي ٥ : ٢٠٠ .

قيل انها تجلب من بلاد السند[٣١٣] . وقد لبس الصوفية الفوط أيضا الا ان بعضهم اعتم بالرومي[٣١٤] . وهي أقمشة غالية الثمن[٣١٥] . ولا أظن هؤلاء الا قلة من بين الصوفية . فالناس كلهم قد لبسوا العمائم ابتداء من الخليفة ونزولا الى الفقهاء ثم العامة بما فيهم البقالون والاعراب واللصوص . الا انهم اختلفوا في نوعية العمامة[٣١٦] .

اما لون العمائم فلم يكن واحدا ، بل كان على ألوان مختلفة منها الابيض الذي جعله بعضهم من السنة[٣١٧] . حيث اورد عشر سنن في لبس العمامة أولها ان تكون بيضاء خالصة[٣١٨] . ويبدو ان هذا اللون هو الذي كان شائعا بين العامة في القرن الخامس الهجري[٣١٩] . باستثناء بعض فئات العامة كالفلاحين وبعض المتصوفة الذين لبسوا العمائم الملونة[٣٢٠] . وأهل الذمة الذين اجبروا في بعض الاوقات على لبس العمائم الملونة تمييزا لهم عن المسلمين وكانوا يسمون ذلك (بالغيار) كما حدث عام **٤٤٨**هـ/**١٠٥٦**م[٣٢١] وقد تكرر ذلك عام **٤٧٨**هـ/**١٠٨٥**م[٣٢٢]

---

(٣١٣) ابن منظور ٧ : ٣٧٣ ولقد استعملت الفوطة كلباس للبدن كما سيأتي ذكرها ص ١٥٠ .

(٣١٤) ابن الجوزي : تلبيس ١٨١ .

(٣١٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة : ٢١ ، ٢٢ .

(٣١٦) الجاحظ : البيان ٣ : ١١٤ .

(٣١٧) البخاري : رسالة في فضيلة العمامة ـ خط ورقة ١٠١ (أ) .

(٣١٨) ن٠م وأنظر الكتاني : الدعامة : ١٠ : ٨٣ .

(٣١٩) لقد ذكر الصابي ان أولاد الانصار في بغداد كانوا يلبسون العمائم الصفر قبل القرن الخامس ، الا انهم لم يبق منهم « كبير احد » رسوم : ٤١ .

(٣٢٠) ابن الجوزي : تلبيس : ١٨٦ .

(٣٢١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٧١ .

(٣٢٢) ن٠م ٩ : ١٧ .

وعام ٤٨٤هـ/١٠٩١م[٣٢٣] والذي دام حتى سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م أي طيلة أربع عشرة سنة[٣٢٤] ٠

اما العمائم السوداء فكانت من جملة الملابس الرسمية التي تلبس في المناسبات الرسمية كالسير في الموكب ، أو حضور مجالس الخلفاء ٠ علاوة على انها من ملابس الخليفة وبقية موظفي الدولة[٣٢٥] ٠ لذلك كان لبسها محظوراً على العامة[٣٢٦] ٠

ومن ملابس الرأس القَلَنْسوة : وهي لباس مستدير[٣٢٧] ومبطن من الداخل يوضع على الرأس ٠ يصنع من القماش أو الجلد[٣٢٨] ٠ وتختلف القلانس بشكلها ، لذلك قيل عن بعض أنواعها بأنها قلنسوة طاقية[٣٢٩] ، وقلنسوة دَورقية[٣٣٠] وقلنسوة دنية[٣٣١] ٠ وهي تختلف أيضا باختلاف أماكن صنعها كالقلانس السوداء الشاشية[٣٣٢] ، نسبة الى بلاد الشاش ٠ والقلانس الرصافية ، نسبة الى الرصافة ببغداد كما هو واضح ، وكانت تعتبر من ملابس الامراء والخلفاء[٣٣٣] ٠ وتختلف القلانس كذلك حسب المناسبة التي تتخذ لها كالقلانس المجالسية وهي

---

(٣٢٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٥٥ ٠
(٣٢٤) ن٠م : ١٤٣ ٠
(٣٢٥) الصابي : رسوم : ٧٨ ، ٩١ ، ٩٢ ٠
(٣٢٦) ن٠م : ٩٢ ٠
(٣٢٧) الكرملي : الكلمات ذات الاصل اليوناني ـ مجلة المجمع العلمي العربي مج ١٨ ص ٣٠٧ ـ ٣١٠ سنة ١٩٤٣ ٠
(٣٢٨) الكتاني : الدعامة : ٣٣ ٠
(٣٢٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١١٦ ، ١١٧ والطاقية هي ما نسميه اليوم بالعرقجين ٠
(٣٣٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ٦ ٠
(٣٣١) الهمذاني : المقامات : ٤٤ ، ١٩٩ والدنية التي تشبه الدن ٠
(٣٣٢) التنوخي : نشوار ٨ : ١٢ ٠

التي تلبس في مجالس المنادمة • وتكون موشاة ومذهبة[٣٣٤] • والقلانس العادية التي يلبسها الناس في حياتهم اليومية • وهي الاغلب والتي يدور عليها البحث • واما ألوانها فهي اما ان تكون بيضاء أو سوداء[٣٣٥] •

وكان الاعتناء بالقلنسوة كالاعتناء بالعمامة ، وان كانت الاخيرة أكثر شيوعا فيما يبدو[٣٣٦] • فاتخذوا لها الاقمشة الغالية الثمن كالحرير وجملوها بالنقوش[٣٣٧] • وما قيل عن العمائم من كونها لباسا للرجال فقط يصدق قوله بالنسبة للقلانس[٣٣٨] أيضا • والقلانس كالعمائم كذلك من حيث كونها لباسا مشتركا بين العامة ورجال الحكومة[٣٣٩] وعلى رأسهم الخليفة[٣٤٠] • ومن الجدير بالذكر هنا ان الخلفاء العباسيين قبل القرن الخامس وبصورة خاصة في عهدهم الاول كانوا قد اهتموا بالملابس التي ترتديها الرعية بما فيها العمائم والقلانس ، فأمروا باطالتها أو بتقصيرها كما عمل أبو جعفر المنصور[٣٤١] ، والرشيد[٣٤٢] ، والمستعين[٣٤٣] • اما خلفاء القرن الخامس الهجري فيبدو انهم كانوا منشغلين بمشاكل عصرهم ، لخضوعهم للسلطتين البويهية والسلجوقية لذلك لم يعيروا اهتماما للملابس • وربما كان ذلك بسبب اهمال المؤرخين لتسجيل أمثال تلك

---

(٣٣٣) اليعقوبي : مشاكلة : ٢٦ ، الصابي : رسوم : ٨١ •

(٣٣٤) الصابي : رسوم : ٩١ •

(٣٣٥) الكتاني : الدعامة : ٣٣ •

(٣٣٦) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦٥ سنة ٤٤٧هـ ، ١٨٩ سنة ٤٥٠هـ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات ٤ : ١٣ •

(٣٣٧) م•س : ٣٨ •

(٣٣٨) م•س : ٤٣ •

(٣٣٩) التنوخي : نشوار ١ : ٢٧ ، ٥٠ •

(٣٤٠) الجاحظ : البيان ٣ : ١١٧ •

(٣٤١) المقدسي : البدء والتاريخ ٦ : ٩١ •

(٣٤٢) اليعقوبي : مشاكلة : ٢٦ •

(٣٤٣) ن•م ، ٣٤ •

الامور لانشغالهم بتسجيل أحداث ذلك العصر .

وكان الناس لا يلبسون القلانس لوحدها ، بل يجعلون فوقها العمائم[٣٤٤] ، وقد اعتبروا ذلك من السنة فقد أورد أبو داود عن النبي (ص) انه قال « فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس »[٣٤٥] . وان لبس القلنسوة لوحدها من زي المشركين[٣٤٦] .

اما ملابس البدن فكانت تختلف باختلاف فئات الناس ، فالزهاد لبسوا الملابس الخشنة ذات الاشكال البسيطة . وكذلك الرث الممزق منها[٣٤٧] . أو انهم اتخذوها من القماش الرخيص الثمن كالخام[٣٤٨] . ومنهم من جعل ملابسه جميعها من لون واحد من القماش ، أي ان تكون جبته وسراويله وعمامته وطيلسانه من قطعة قماش واحدة[٣٤٩] .

وكان الطابع الغالب على ملابس الصوفية هو الخشونة والبساطة فكان من اشهرها (الخلقان والمرقعات) التي يكون قماشها من الصوف عادة[٣٥٠] . وكانوا يميلون الى لبس الجبة الملونة (المصبغات)[٣٥١] . ولهذا وضع بعضهم أشرطة من الحرير الملون في مرقعته تسمى بـ (الشوازك) وتكون هذه الاشرطة من جنس يغاير جنس المرقعة[٣٥٢] . وقد بالغ الصوفية في تكثيف وتثقيل المرقعة فقد جاء عن احدهم انه قد

---

(٣٤٤) الهمذاني : المقامات : ١٩٩ .

(٣٤٥) سنن ابي داود ٢ : ٣٧٦ .

(٣٤٦) الكتاني : الدعامة : ١٥ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٣٤٧) الماوردي : آداب : ٨٩ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٨ : ١٥ .

(٣٤٨) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٣ .

(٣٤٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٣٧٤ ، ٧ : ٢٦٩ .

(٣٥٠) ابن الجوزي : تلبيس : ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ .

(٣٥١) ن.م : ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦ .

(٣٥٢) ن.م : ١٨٣ ، ١٨٤ .

وزنت فردة من اكمام مرقعته ، فبلغت احد عشر رطلا ، لذلك اطلقوا على الرقعة اسم (الكيل)[٣٥٣] .

والى جانب هؤلاء الصوفية البسطاء في ملبسهم ظهرت جماعة من مدعي التصوف ، اتخذت الملابس الغالية الثمن ، فكان سعر القميص والعمامة على احدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير[٣٥٤] . ولبس بعضهم البز ، وهي ثياب تصنع من الكتان أو القطن ، والدبيقي[٣٥٥] . وعمد الى اطالة الثياب[٣٥٦] . وما قلناه في أثناء الكلام على العمامة وكيف ان بعض الصوفية لبس العمائم الغالية الثمن وان هؤلاء كانوا قلة يصدق قوله هنا أيضا .

وكان الفقراء من العامة يلبسون المدْرعة وهي نوع من أنواع الجبب تكون من الصوف بصورة خاصة[٣٥٧] . وقد يلبسون الخلقان[٣٥٨] أو الاسمال[٣٥٩] . وكان عمال الحمامات يلبسون التبان ، وهي سراويل صغيرة تستر العورة[٣٦٠] وكان لبس السراويلات شائعا بين العامة جميعها نساء ورجالا وخاصة السراويلات البيض المذيلة[٣٦١] . وأظن

---

(٣٥٣) ابن الجوزي : تلبيس : ١٨٦ .

(٣٥٤) ن٠م : ١٨١ .

(٣٥٥) دبيق : بليدة كانت من أعمال مصر تنسب اليها الثياب الدبيقية ـ الحموي معجم البلدان ٢ : ٥٤٨ وأنظر عن الدبيقي فهرس كتاب Serjeant (R.B.) : M. I. T. حيث نجد فيه ذكراً لمواضع كثيرة ورد فيها اسمه في هذا الكتاب .

(٣٥٦) ابن الجوزي : تلبيس : ١٩٦ .

(٣٥٧) ابن سيدة : المخصص ٤ : ٣٦ ، ابن منظور ٨ : ٨٢ .

(٣٥٨) ابن الجوزي : المدهش : ٢٣٣ .

(٣٥٩) ابن الهبارية : الصادح والباغم : ٢٩ .

(٣٦٠) ابن منظور ١٣ : ٧٢ ، اللبابيدي : لطائف اللغة : ١٠٠ .

(٣٦١) ابن منظور ١١ : ٣٣٤ ابن عبدون وآخرون : ثلاث رسائل اندلسية : ٤٨ والسراويلات تشبه ما يسمى في أيامنا هذه بالبنطلون ـ مصطفى جواد : التراث الشعبي العدد ٨ ص ٦ سنة ١٩٦٤ .

ان ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد كان صحيحا في اعتبار ان السبب الذي أدى الى انتشار لبس السراويلات بين عامة الشعب مذهب الفتوة واعتبار السراويل من جملة طقوسهم المتبعة[٣٦٢] •

وكان الفلاحون يلبسون الثياب الغليظة من القطن[٣٦٣] • كما ان الجند قد لبسوا الاقبية[٣٦٤] • التي شاركهم في لبسها كثير من الناس[٣٦٥] ، لذلك اختلفوا في نوعية القماش المصنوعة منه[٣٦٦] • ولم ترد معلومات توضح مدى اختلاف أقبية الجند من حيث شكلها ولونها عن أقبية بقية الناس • اما الجمالون والخدم فقد اتزروا بالفوط[٣٦٧] وذلك اما بجعلها مسبلة على أوساطهم بعد عقدها من الاعلى أو يلوونها على افخاذهم ثم يخرجونها من بينها ويشدونها عند أوساطهم[٣٦٨] •

---

(٣٦٢) مصطفى جواد : أزياء العرب ــ التراث الشعبي ــ العدد ٨ ص ٦ سنة ١٩٦٤ •

(٣٦٣) ابن الطقطقى : ٢٢٨ •

(٣٦٤) التنوخي : نشوار ١ : ٧٩ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٨ : ١١٢ •

(٣٦٥) الصابي : رسوم : ٩٢ •

(٣٦٦) ن•م : ٩٣ •

(٣٦٧) ابن منظور ٧ : ٣٧٣ ، الزبيدي ٥ : ٢٠٠ •

(٣٦٨) الشريشي ٣ : ٣٠ وأنظر عن الاستعمالات الاخرى للفوطة في بعض البلاد العربية
Dozy (R.P.A.) : Dict. Vet. Ar. PP. 339—343

وأرى من المفيد ان نذكر ان الطريقة المشروحة في المتن عن استعمال الفوطة لا تزال تستعمل من قبل عمال الحمامات ، وكذلك من قبل العوام عند ذهابهم للسباحة في دجلة صيفا •

اما غير الفقراء والزهاد من الناس فكانوا يميلون الى لبس الجيد من الملابس كالحرير(٣٦٩) ، والابريسمية(٣٧٠) ، وهي نوع من الخز ، وقيل هي ثياب الحرير(٣٧١) . وكان ذلك مطمح الناس جميعهم عدا من ذكرنا(٣٧٢) . اذ لم تكن هناك قيود اجتماعية تحول دون لبس الملابس الجيدة أو الغالية الثمن ، بل كان الامر متروكا للفرد نفسه . يوجهه في ذلك التقدم الاجتماعي ونوع عمله الذي يزاوله وخير مثال على ذلك ما اورده ابن بطلان حيث قال « انني اعجب اذا قالوا ان فلانا قد صار طبيبا . وكنت اعهده يتيما ، فلما ترعرع ماشى كسيّر وعوّير وشهدوا له الجندية والركوب والفروسية ، الى ان مضى على ذلك برهة فما أحسست بشيء حتى تصدر بعمامة وصقل اطرافه وقص أظافره ووسع اردانه والتحق بالرؤساء ، وانتحى الى خدمة الاولياء وبدأ يتعلم يكتب ويقرأ »(٣٧٣) .

ولقد ورث عامة بغداد في هذا القرن عن اسلافهم لبس ثوبين معا(٣٧٤) . سواء كان الفرد من محبي مجالس المنادمة(٣٧٥) ، أو من رجال الصوفية(٣٧٦) ، أو من غيرهم(٣٧٧) . وكان من الطبيعي ان يختلف الناس في نوعية هذين الثوبين من حيث الجودة والرداءة ، أو من

---

(٣٦٩) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٤ .
(٣٧٠) الغزالي : الرد : ٣١ .
(٣٧١) الثعالبي : فقه اللغة : ١٧ ، ٢٥٢ ابن سيدة : المخصص ٤ : ٦٩ .
(٣٧٢) الغزالي : ميزان : ١٤٢ .
(٣٧٣) دعوة الاطباء : ٢١ .
(٣٧٤) كان العرب في الجاهلية اذا اجتمعوا في المحافل لبسوا ثوبين حسنين ـ ابن منظور ١ : ٢٤٦ .
(٣٧٥) الغزولي ١ : ٢٤١ وأنظر الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ٢٥١ .
(٣٧٦) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ١٢ .
(٣٧٧) ابن الجوزي : اخبار الظراف : ١٠١ .

حيث الرخص والغلاء وفي ذلك يقول ابن الجوزي واعظاً العامة في احدى خطبه « واستر نفسك بثوبين جميلين لا يشهرانك بين أهل الدنيا برفعتهما ولا بين المتزهدين بضعتهما »[٣٧٨] •

ومن ملابس العامة الازار (أو المئزر)[٣٧٩] وهو قطعة قماش كانت تلف أو تعقد على وسط الانسان[٣٨٠] • لما تحت السرة[٣٨١] وقد اقتضت السنة النبوية ان لا يزيد طول الازار عن الكعبين بل ان يكون محصورا ما بين الكعبين ومنتصف الساق[٣٨٢] • ولذلك استعمل الازار في الحمامات الرجالية والنسوية لستر العورة[٣٨٣] • ولم يكن الناس يستعملون الازار لستر أجسامهم من الاسفل فقط ، بل كانوا يتلفعون به أيضا • لذلك فقد تجد على أحدهم أزارين أولهما لاسفل بدنه والآخر لاعلاه[٣٨٤] • واستعمال الازار لهذه الاغراض هو كاستعمال الفوطة المار ذكرها ، الا انه كان يختلف عنها في نوعية القماش[٣٨٥] من جهة ، وفي تطور استعماله من جهة أخرى • حيث لم يقتصر لبس الازار كستار للعورة فقط بل أصبح يرتدى فوق الملابس أيضا سواء كان ذلك على أسفل البدن

---

(٣٧٨) ابن الجوزي : لفتة الكبد : ٨٨ •

(٣٧٩) اذ هما شيء واحد ـ ابن سيدة : المخصص ٤ : ٧٦ ، ٧٧ وأنظر الفيروزابادي ١ : ٣٦٣ ، والزبيدي ٣ : ١١ كقولهم ملحف ولحاف ومقرم وقرام ـ الرازي : ١٥ •

(٣٨٠) أنظر مصطفى جواد : أزياء العرب ـ مجلة التراث الشعبي ص ٥ العدد ٨ سنة ١٩٦٤ •

(٣٨١) الثعالبي : فقه اللغة : ٢٤٩ •

(٣٨٢) الخطيب البغدادي : تاريخ ٩ : ٣٨٥ ابن منظور ٤ : ١٧ ، وأنظر الامام مالك : الموطأ ٢ : ٩١٤ •

(٣٨٣) سيأتي الكلام عن الحمامات وأنظر ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٦ ، ابن الاخوة : ١٥٧ •

(٣٨٤) التنوخي : الفرج : ٣٣٩ ، ابن الجوزي : روح الارواح : ٢٠ •

(٣٨٥) سيأتي بيانه عن قريب •

أو على أعلاه • فقد أورد ابن الجوزي عن « رجل دخل الى المستراح فأراد ان يحل لباسه فحل ازاره ، و ••• في لباسه »[٣٨٦] فالازار هنا قد استعمل فوق (اللباس)[٣٨٧] على القسم الاسفل من البدن ومما يؤكد ارتداء الازار فوق الملابس ما أورده الخطيب البغدادي عن محمد بن أحمد السدوسي (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) حيث قال « ••• ورأيناه فقيرا يجيئنا بلا أزار ، ونقرأ عليه الحديث ونبره بالشيء »[٣٨٨] • فليس من المعقول ان يأتي محدث وعورته مكشوفة أو ان يأتي وقد اقتصر على لبس (التبان أو اللباس) ، ولكن من الجائز ان يأتي بملابسه الاعتيادية دون ان يضع عليها أزارا سواء كان ذلك على أسفل بدنه أو على أعلاه • ومما يزيد الامر وضوحا استعراض رواية جاءت في حكاية ابي القاسم عن شخص كان « اذا حضر القى ازاره ، وقال لاهل المجلس اقترحوا واستفتحوا ••• » ثم بعد انتهاء المجلس يعود الى ارتداء ازاره[٣٨٩] • فيبدو أن الازار كان قد تطور بشكل أصبح الاتزار أو التلفع به يضفي على صاحبه رونقا ويكسبه شكلا جميلا • اما عدم ارتداء الازار فوق الملابس فقد أصبح مما يعاب الفرد عليه وهذا هو الذي يفسر لنا شتم احدهم لرجل حيث قال له « يا قميصا بلا مئزر »[٣٩٠] •

اما أقمشة الازار فكانت تختلف حسب امكانات الاشخاص المالية فالزهاد مثلا كانوا يتزرون بالفوط[٣٩١] ، وكان غيرهم من الناس يتزرون

---

(٣٨٦) أخبار الحمقى : ١٤٤ •

(٣٨٧) ان هذه الكلمة هي الشائعة الآن في المجتمع البغدادي •

(٣٨٨) تاريخ ١ : ٣٧٤ ، وأنظر ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١١٦ ، ١١٧ •

(٣٨٩) الازدي : ٨٥ •

(٣٩٠) التوحيدي : الامتاع ٢ : ٥٩ ، والازدي : ٥ •

(٣٩١) التنوخي : نشوار ٢ : ١٥٣ مجلة المجمع العلمي العربي مج ١٨ •

بأزر من الصوف[٣٩٢] ، وآخرون يتزرون بأزر القصب[٣٩٣] ، وبعضهم بأزر الخز[٣٩٤] . اما ألوانه فقد اختلفت أيضا فمنها الابيض ومنها الازرق[٣٩٥] .

ولم يكن لبس الازار مقصورا على الرجال وحدهم ، اذ قد شاركتهم النساء أيضا ، حيث طورنه واعتنين به منذ عهد مبكر[٣٩٦] . وكن يضعنه على رؤوسهن أويلقينه على وجوههن[٣٩٧] .

ومن ملابس العامة التي ورثوها عن أسلافهم أيضا الطيلسان[٣٩٨] . وكان قد شاركهم في لبسه كثير من الناس كالعلماء والقضاة[٣٩٩] ، والخطباء[٤٠٠] ، والكتاب[٤٠١] ، والمدرسين والاشراف[٤٠٢] ، وكبار رجال الحكم[٤٠٣] .

---

(٣٩٢) ابن الجوزي : روح الارواح : ٢٠ .

(٣٩٣) الازدي : ٥٤ ، الصابي : رسوم : ٩٨ .

(٣٩٤) الثعالبي : فقه اللغة : ٢٥٤

(٣٩٥) الازدي : ٥٤ وأنظر الوشاء : ١٦٠ .

(٣٩٦) الاصفهاني : الاغاني ٧ : ٣٠٢ ، ١٥ : ١٣١ ط دار الكتب .

(٣٩٧) الازدي : ٥٤ ، وأنظر الوشاء : ١١٦ .

(٣٩٨) لقد كان الطيلسان من ملابس العرب في الجاهلية ، حيث كان فرسانهم يلبسونه في المناسبات مثل مواسم الحج ، وعند انعقاد الاسواق كسوق عكاظ وذي المجاز ـ السيوطي : الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان ـ خط ورقة ٣٧ (ب) وأنظر أيضا بدري محمد فهد : الطيلسان .

(٣٩٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٧ : ٢٦٩ ، ابن النجار ١٠ ورقة ٧ (أ) .

(٤٠٠) السيوطي : الاحاديث ـ خط ورقة ١٤١ (ب) .

(٤٠١) الخالديان : التحف والهدايا : ١١٨ ، الحموي : معجم الادباء ١ : ٢٣٤ .

(٤٠٢) م.س : ورقة ١٣٧ (ب) ، ١٣٨ (أ) .

(٤٠٣) م.س : ورقة ١٤١ (ب) .

والطيلسان عبارة عن ثوب خال من التفصيل والخياطة[٤٠٤] ، مربع الشكل يجعل على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة ، ويغطى به أكثر الوجه ثم يدار طرفان منه من تحت الحنك الى ان يحيطا بالرقبة جميعها ثم يلقيان على الكتفين • اما طرفاه الآخران فانهما يدليان على الظهر[٤٠٥] • وألوان مختلفة منها البيضاء[٤٠٦] والسوداء والخضراء[٤٠٧] •

فكان الطيلسان يلبس فوق الملابس للتجمل به[٤٠٨] ، ولاهميته هذه كان الناس يتهادون به[٤٠٩] ، وقد يعطى كخلعة من دار الخلافة[٤١٠] ، كما ان القضاة كانوا يلبسونه عند حضور مجالس الخلفاء أو مواكبهم[٤١١] • ومن جهة أخرى فان لبس الطيلسان فوق الملابس لم يكن فرضا لابد منه[٤١٢] والارجح انه لم يكن شائعا بين فقراء العامة • وان ارتداه بعض رجال الصوفية[٤١٣] • لانه لم يكن من الملابس الضرورية ، بل كان يلبس للتجمل به فقط •

وقد أجاز أبو يعلى الحنبلي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) لاهل الذمة لبس الطيلسان المقوّر[٤١٤] • ويختلف هذا الطيلسان عن سابقه في كونه

---

(٤٠٤) أنظر حاشية كتاب البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ٣٤٢ •

(٤٠٥) السيوطي : الاحاديث ـ خط ورقة ١٣٦ (أ) ، الكتاني : الدعامة : ١٠٦ ، ١٠٧ •

(٤٠٦) الجاحظ : البيان ٢ : ٣٤٢ •

(٤٠٧) السيوطي : الاحاديث ـ خط ورقة ١٣٦ (ب) •

(٤٠٨) الازدي : ٥ •

(٤٠٩) الخالديان : التحف : ١٣٤ ، ٣١٥ ، المقدسي : أحسن التقاسيم : ١٢٩ ، الثعالبي : ثمار القلوب : ٤٨٠ ـ ٤٨٣ •

(٤١٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤٨ •

(٤١١) الصابي : رسوم : ٩١ •

(٤١٢) الاصفهاني : الاغاني ١٠ : ١٠٣ ط دار الكتب •

(٤١٣) السيوطي : الاحاديث ـ خط ـ ورقة ١٣٨ (أ) •

(٤١٤) ن٠م : ورقة ١٣١ (أ) •

يوضع على الرأس ويرسل طرفاه على الصدر من دون ان يدارا من تحت الحنك ويلفا حول الرقبة ، كما ان طرفيه المكفوفين يرسلان من وراء الظهر[٤١٥] . وربما وضع على الاكتاف ولهذا سمي بالطرحة أيضا[٤١٦] .

ومن ملابس العامة الجبة ، وهي تختلف عن الطيلسان في كونها ثوباً مفصلا ومخيطاً يحيط بالبدن وله كمان[٤١٧] . وكانت تلبس فوق القميص[٤١٨] . وقد اختلفت فئات العامة في لبس الجبة من حيث نوعية قماشها وشكلها فكانت جبة الملاحين البسيطة[٤١٩] تختلف عن جبة الاغنياء العريضة والطويلة الذيل[٤٢٠] . كما ان كلتا الجبتين كانتا تختلفان عن جبة الصوفية ، الذين كانوا يملئونها رقعا فيعطونها بذلك شكلا يستلفت الانظار وفي هذا المعنى وصف شاعر جبة احدهم بقوله[٤٢١] :

دب فيها البلى فدقت ورقت　　　وهي تقرأ اذا السماء انشقت

وذكر ابن الجوزي نوعا من الجبب المشهورة والتي اعتاد الناس على ارتدائها منذ زمن بعيد فسماها بـ « الجبّة المكفوفة الجيب والكمين »[٤٢٢] .

وكان بعض الفقراء لا يملكون ثمن جبة يرتدونها ، لذلك فقد

---

(٤١٥) السيوطي : الاحاديث ـ خط ـ : ورقة ١٣٦ (أ) ولقد أورد الكتاني أنواعا أخرى من الطيلسان المقور وهي المدور والمثلث والمربع والمسدول ـ الدعامة : ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤١٦) (Dozy (R.P.A.) : Dict. Vet. Ar. P. 254, 257, 278.

(٤١٧) ابن الجوزي : تلبيس : ١٨٤ وأنظر :
(Dozy: Dict. Vet. Ar. P. 109)

(٤١٨) التنوخي : نشوار ١ : ٩٥ ، الفرج له : ٢٢٣ .

(٤١٩) القارىء : مصارع ٢ : ٢٣١ .

(٤٢٠) الجاحظ : ثلاث رسائل : ٤٢ باعتناء فنكل .

(٤٢١) الثعالبي : خاص : ٥١ .

(٤٢٢) تلبيس : ١٨٤ .

يبقى احدهم طيلة الشتاء لا يرتدي سوى غلالة ؛ وهي ثوب رقيق يلبس عادة تحت الثياب[٤٢٣] . سواء كان ذلك بالنسبة للعامة[٤٢٤] ، أو غيرها كما حدث للفقيه أحمد بن محمد الابيوردي (ت ٤٢٥هـ/١٠٣٣م) اذ بقي طيلة شتاء في بيته لا يخرج منه ، لانه لم يكن يملك جبه[٤٢٥] .

والكلام على الجبب يستدعي الكلام على الاكمال[٤٢٦] التي كانت موضع اهتمام الناس . حيث بالغوا في توسيعها ، وقد قيل ان أول من أمر بتوسيع الاكمام الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ/٨٦٢ - ٨٦٦م) فأصبح عرضها ثلاثة أشبار[٤٢٧] . ومنذ ذلك الوقت لم تعد الاكمام مجرد جزء من الجبة بل أصبحت أداة لحمل كثير من الاشياء فيها كالدنانير وكان ذلك بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء[٤٢٨] ، علاوة على استعمال النساء لها كأداة لحمل الطيب والزهر[٤٢٩] . كما ان المشعبذين قد استفادوا من الاكمام لاخفاء حيلهم عن عيون الناس[٤٣٠] . ويبدو ان اكمام الفلاحين كانت أوسع من غيرها بحيث انهم كانوا يحملون فيها بعضا من حاصلاتهم كالحنطة والبندق والبلوط والتين[٤٣١] .

ومن جملة ما حمل في الاكمام الرقاع - وذلك عند ذهاب الناس

---

(٤٢٣) الزاوي : ترتيب القاموس المحيط ٣ : ٣٦٣ .

(٤٢٤) الازدي : ٧٢ .

(٤٢٥) الخطيب البغدادي : تاريخ ٥ : ٥١ .

(٤٢٦) الكم من القميص أو من الجبة : مدخل اليد ومخرجها - الصعيدي : ١٦٨ .

(٤٢٧) اليعقوبي : مشاكلة : ٣٤ .

(٤٢٨) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٧٥ ، وأنظر ابن العبري : ١٦٢ .

(٤٢٩) الاصفهاني : الاغاني ٧ : ٣٠٦ ط دار الكتب .

(٤٣٠) ابن الجوزي : الاذكياء : ١٤٦ .

(٤٣١) التنوخي : نشوار ٨ : ٧٠ .

المتظلمين لمراجعة دواوين الحكومة[٤٣٢] . وقد جاء في سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م في عهد الخليفة القائم بامر الله ، انه قدمت اليه الرقاع وفيها شكاوي الناس ، وكانت من الكثرة ان ملأت اكمام (صاحب المخزن) فضجر منها ورماها في حوض قريب منه ، الا ان الخليفة رآه ، فأمر بجمعها وقراءَتها بعد تجفيفها ، ومن ثم اجابة الناس على شكاواهم[٤٣٣] .

ولم يبلغنا عن ضيق الاكمام من القرن الخامس الهجري الا نادرا[٤٣٤] ، والظاهر ان اتجاه الناس العام هو توسيع الاكمام ، وخاصة اولئك الذين ارادوا الظهور بمظهر الاناقة ، ومجالسة كبار الناس[٤٣٥] .

اما ملابس الارجل فهي الجوارب والاحذية ، وكانت العامة في هذا القرن قد ورثت عن اسلافها لبس الجوارب[٤٣٦] . الا انهم اختلفوا في الاعتناء بها كاختلافهم ببقية الملابس ؛ فبعضهم كان يلبس جواربه نظيفة بينما كان البعض الاخر يلبسها قذرة نتنة الرائحة[٤٣٧] . واختلفوا ايضا في نوعية القماش المصنوعة منه[٣٤٨] فبعضهم لبسها من الخز والمرعزى[٤٣٩] ، وبعضهم من القز[٤٤٠] ولعل ذلك كان بالنسبة للاغنياء

---

(٤٣٢) التنوخي : نشوار ١ : ٤٦ ، ٨ : ٧٠ .

(٤٣٣) السقطي : ٦٣ .

(٤٣٥) ابن بطلان : دعوة : ٢١ .

(٤٣٦) ابن قتيبة : عيون الاخبار ١ : ٢٩٩ ، الثعالبي : التمثيل : ٢٨٢ ـ ٢٨٤ وقد جاء عن هارون الرشيد انه بعد وفاته كان قد خلف في جملة ما خلف ٤٠٠٠ زوج من الجوارب ـ ابن الزبير : الذخائر : ٢١٨ .

(٤٣٧) الثعالبي : ثمار القلوب : ٤٨٦ .

(٤٣٨) الوشاء : ١٦١ .

(٤٣٩) المرعزي : هو الزغب الذي تحت شعر العنز ، وقيل اللين من الصوف ـ الجواليقي : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٤٤٠) القز : ثياب صوف كالمرعزي ، وربما خالطها حرير ـ ابن سيدة : المخصص ٤ : ٦٨ .

فقط ، اما فقراء العامة فالارجح انهم لبسوها من القماش الرخيص كالصوف او الكتان •

وكانوا ينتعلون فوق الجوارب النعال[٤٤١] • سواء كانوا صغارا او كبارا الا ان نعال الصغار والنساء امتازت بانها « صَرارة »[٤٤٢] اي انها تصر عند المشي • وقد انتعلوا اللالكة (أو اللالجة) وهي نوع من الاحذية كان الناس يلبسونها بارجلهم نساء ورجالا[٤٤٣] • وقد اختلفت الوانها فمنها الحمراء ومنها السوداء ، والاخيرة هي التي استعملها الموظفون في المناسبات الرسمية[٤٤٤] • ولبسوا كذلك الخفاف[٤٤٥] ، التي كانت كاللالكة من حيث تنوع الوانها فمنها السوداء والحمراء[٤٤٦] • ولقد ذهب آدم متز الى ان لبس الخفاف الحمر كان معيبا ، وانه كان لباس اهل الخيلاء من المتطرفين المتخنثين الجهال[٤٤٧] • ولكننا لم نجد ما يؤيد ذلك بل بالعكس فقد ورد عن الكتاب في العصر العباسي الاول بانهم كانوا يلبسون الخفاف الحمر[٤٤٨] • وانها اصبحت من ملابس الخلفاء في القرن الرابع الهجري ، ولذلك منع الداخل الى دار الخلافة من لبس الخفاف الحمر[٤٤٩] • ومن الجدير بالملاحظة انه لم يرد عن احذية العامة شيء يوضح شكلها فيما تيسر لنا من المصادر ، سواء كانت رجالية أم نسائية •

---

(٤٤١) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٥٤ ، ابن الجوزي : ذم الهوى : ١٨٦ •

(٤٤٢) ابن الجوزي : تلبيس : ٢٦٥ ، الشيزري : ٧٣ •

(٤٤٣) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٨٩ •

(٤٤٤) الصابي : رسوم : ٧٥ ، ٩٢ •

(٤٤٥) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٤٨ •

(٤٤٦) م•س •

(٤٤٧) الحضارة ٢ : ٢٢٤ •

(٤٤٨) التنوخي : نشوار ٨ : ٢٧ •

(٤٤٩) الصابي : رسوم : ٧٥ •

اما الاعتناء بالمظهر فقد كان يختلف باختلاف اذواق الناس من جهة وامكاناتهم المالية من جهة اخرى . ففي الوقت الذي يخرج الزهاد بالملابس الرثة حتى في ايام العيد[٤٥٠] ، نرى الظرفاء المترفين قد جعلوا لكل مناسبة ما يناسبها من الملابس[٤٥١] . فكانوا يلبسون في المرض الثياب المشمعة الالوان او المصبوغة بالزعفران مثل الملحم[٤٥٢] الاصفر وفي مجالسهم الخاصة عند المنادمة ، الغلائل الممسكة[٤٥٣] والقمص[٤٥٤] والاردية الملونة ، والازر المعصفرة .

واختلفوا كذلك في اهتمامهم بنظافة ملابسهم فكان بعضهم يكتفي بغسلها بالماء وحده دون استعمال الصابون[٤٥٥] . الا ان آخرين كانوا يعمدون الى غسل ثيابهم مرارا ، وربما بلغ الامر باحدهم ان يغسل ملابسه لمجرد لمس شخص لها . وكان منهم من يغسل ثيابه في دجلة تدينا في اعتقاده وخوفا من ان يكون في البيت نجاسة ومنهم من يدليها في البئر لنفس السبب[٤٥٦] .

كما ان الناس لم يتفقوا في مراعاتهم للانسجام فيما يلبسونه فبعضهم كان لا يلبس الثياب الوسخة مع المغسولة، ولا المغسولة مع الجديدة وكذلك لا يلبسون الملابس المختلفة الالوان سوية ، بل كان احسن الزي عندهم « ما تشاكل وانطبق وتقارب واتفق »[٤٥٧] . كما ان بعضهم كان يفضل

---

(٤٥٠) الماوردي : آداب : ٨٩ .
(٤٥١) الوشاء : ١٦٠ .
(٤٥٢) انه نوع من الثياب اشتهرت بها نيسابور ـ
Dozy: Dict. Vet. Ar. P. 113
(٤٥٣) أي المصبوغة بالمسك ـ ابن منظور ١٠ : ٤٨٧ .
(٤٥٤) العنبر نوع من الطيب ـ الرازي : ٤٥٦ .
(٤٥٥) الخطيب البغدادي : تاريخ ٨ : ١٥ .
(٤٥٦) ابن الجوزي : تلبيس : ١٣٣ .
(٤٥٧) الوشاء : ١٦٠ .

الملابس ذات اللون الابيض[٤٥٨] . التي ارجعها الى السنة[٤٥٩] . لذلك اعتبرها البيروني محمودة[٤٦٠] ، وجعلها ابن الجوزي فضيلة[٤٦١] . وقد شذ عن هؤلاء الصوفية والفلاحون في لبسهم الملابس الملونة[٤٦٢] ويبدو ان هذه العادة عند الفلاحين ـ بصورة خاصة ـ لم تتغير في بلادنا عبر العصور المختلفة .

وكان الناس بصورة عامة يميلون الى الاعتناء بمظهرهم وخاصة اذا اراد احدهم الخروج من البيت ، لذلك كان يعمد الى دهن شعره وتسريحه ، ثم النظر بعدها في المرآة[٤٦٣] ، ليسوى عمامته . ويلبس ثيابه بعناية بحيث يجعل منظرها الخارجي حسنا مقبولا في اعين الناس[٤٦٤] . وقد يتطيب بنوع من انواع الطيب المتيسرة لديه[٤٦٥] .

اما ملابس النساء[٤٦٦] ، فكان اهم ما يميزها عن ملابس الرجال هو كثرة الالوان والنقوش[٤٦٧] . الا انهن اختلفن من حيث أذواقهن واوضاعهن النفسية والمالية فكانت النساء المهجورات يلبسن الملابس البيضاء .

---

(٤٥٨) الوشاء : ١٦٣ .

(٤٥٩) ابن الجوزي : تلبيس : ١٨٦ ، ١٨٧ ، البخاري : رسالة ـ خط ـ ورقة ١٠١ (أ) ولقد اختلفت ألفاظ هذه الاحاديث أنظر صحيح البخاري ٧ : ٤٣ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١١٨١ .

(٤٦٠) الجماهر : ٢٠ .

(٤٦١) تلبيس : ١٨٦ .

(٤٦٢) ابن الجوزي : تلبيس : ١٨٣ ، ١٨٦ ، ابن الطقطقى : ٢٢٨ .

(٤٦٣) الغزالي : احياء ١ : ١٤٢ ، ١٤٥ .

(٤٦٤) ابن الجوزي : تلبيس : ١٩٤ .

(٤٦٥) ابن جبير : ٣٣٣ .

(٤٦٦) أنظر عن ملابس النساء ـ ابن سيدة : المخصص ٤ : ٣٤ ـ ٤٠ .

(٤٦٧) مسكويه : تهذيب : ٤٩ .

بينما الارامل والمقرعـات ـ وهن اللاتي نـزلت بهن قـوارع الدهـر ومصائبه ـ[٤٦٨] كن يلبسن الملابس ذات اللون الازرق والاسود • واما الفلاحات فقد كن يلبسن الملابس المصبوغة بالاحمر والاخضر او الموردة منها • وبذلك اختلفن عن النساء المثريات اللاتي كن لا يلبسن المصبوغة اذا لم تكن اصباغها اصلية[٤٦٩] •

وملابس النساء تختلف فيما بينها كملابس الرجال من حيث الغاية المرجوة منهـا كملابس الرأس والبـدن والارجل • اما ملابس الرأس فكانت الـمقـنَعة التي تغطي بها المرأة رأسها[٤٧٠] • ويبدو انها كانت ذات لون اسود[٤٧١] • والعصابة التي تعصب بها رأسها[٤٧٢] وكانت النساء يعتنين بها ويرصعنها أحيانا[٤٧٣] • والنقاب الذي يضعنه على وجوههن وله الوان مختلفة[٤٧٤] • وكن يلبسنه عند حضور مجالس الوعظ • وكـان هذا النقاب خفيفا شفافا او مخرما يُرى الوجه من خلاله ، وهذا ما يفسر لنا وقوع بعض الشباب بحب هاتيك النسوة اللاتي يحضرن مجالس الوعظ ، بعد ان يشاهدوا جمالهن ويعجبوا به[٤٧٥] •

اما ملابس البدن فكان منها الداخلية وهي التي تلبس على الجسـم مباشرة كالاتب والصدار والقرقر والقرقل والمجول والشوذر وهذه كلها عبارة عن قمص متقاربة في الشكل من حيـث الطول والعرض وعدم وجود الاكمام فيها • وعلاوة على كونها من الملابس الداخلية فقد كن يقتصـرن

---

(٤٦٨) ابن منظور ٨ : ٢٦٥ •
(٤٦٩) الوشاء : ١٦٣ •
(٤٧٠) ابن سيدة : المخصص ٤ : ٣٨ •
(٤٧١) الازدي : ٥٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٣١٩ •
(٤٧٢) الثعالبي : فقه اللغة : ٢٤٩ •
(٤٧٣) الوشاء : ١١٦ •
(٤٧٤) ابن جبير : ٣٣٣ •
(٤٧٥) الخطيب البغدادي : تاريخ ٨ : ٦٤ •

عليها في اوقات الخلوة وعند التبذل[٤٧٦] • ويرى دوزي بان الصدار – من بين هذه الملابس – كان يلبس من قبل النساء من دون استثناء[٤٧٧] • ولكننا لا نستطيع ان نبت بشيء عن هذه الملابس لندرة المعلومات عنها • ولذلك نرى بانه لا يمكن الاخذ برأى دوزي حتى نجد مصادر قديمة تؤيده • ومن الملابس الداخلية أيضا الغلالة وهي ثوب رقيق يلبس تحت ثوب سميك[٤٧٨] • ومن الغلائل التي اشتهرت عند النساء الظريفات ، الغلائل الرخانية[٤٧٩] • واذا لم تكن الغلالة قطعة واحدة ، بل كانت من لفقين سميت عند ذلك ريطة[٤٨٠] •

واما ملابس النساء الخارجية فقد ذكر منها الرداء ، والازار[٤٨١] ، والسروال[٤٨٢] ، والوشاح[٤٨٣] الذي كانت تضعه المرأة على صدرها[٤٨٤] •

والنساء كالرجال من حيث التفاوت في نوعية الملابس التي كن يلبسنها ، ففي الوقت الذي كانت فيه الظريفات المترفات يلبسن اللاذ[٤٨٥]،

---

(٤٧٦) الثعالبي : فقه : ٢٥٣ وأظن ان الاتب هو ما نسميه الآن بـ (الاتك) والصدار هو ما نسميه بـ (الزخمة أو الستيان) •

(٤٧٧) Dozy : Dict. Vet. Ar. P. 246.

(٤٧٨) م٠س : ٢٥٢ •

(٤٧٩) الوشاء : ١٦٣ لعل هذه النسبة الى قرية رخان احدى قرى مرو – الحموي : معجم البلدان ٢ : ٧٦٩ •

(٤٨٠) الثعالبي : فقه اللغة : ٢٥٢ •

(٤٨١) الوشاء : ١٦٣ ، الازدي : ٥٣ ، ٥٤ •

(٤٨٢) الازدي : ٥٣ •

(٤٨٣) ابن الهبارية : الصادح والباغم : ٥٤ •

(٤٨٤) الثعالبي : فقه اللغة : ٢٤٩ •

(٤٨٥) وهو ثوب حرير أحمر اللون – أدى شير : ١٤٢ •

والحرير ، والقـز ، والديـاج[٤٨٦] ، والوشـي ، والخز[٤٨٧] كانت المتصوفات يلبسن الخشن الغليظ من الملابس[٤٨٨] • اما بقية النساء فهن لا شك يتفاوتن في لبسهن ما بين ترف الظريفات وبساطة المتصوفات •

اما ملابس الاطفـال فقد كانت القمص ، وخاصـة الملونة[٤٨٩] • والجبب ، والدراريع[٤٩٠] • وقد كانت العادة بين الناس ان يلبس الصغار الملابس الجديدة في الاعياد[٤٩١] •

---

(٤٨٦) الديباج : من الدبج ـ وهو النقش والتزيين ، وهو نوع من الثياب الخضر ـ ابن سيدة : المخصص ٤ : ٧٦ ٠ .

(٤٨٧) وهو نوع من الثياب قيل فيه أقوال مختلفة منها انه ينسج من الصوف والحرير وقيل من الحرير فقط ٠ وقيل من الوبر ٠ والارجح انه اما ان يكون من الكتاب المنسوج باتقان أو من الحرير ـ أدي شير : ٥٤ ٠

(٤٨٨) الازدي : ٥٣ ٠

(٤٨٩) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٣٩ ٠

(٤٩٠)ن٠م : ١٤٠ ٠

(٤٩١) أنظر الطاهر : الشعر ٢ : ١١١ ٠

٣ ـ دور العامة :

لم تنل دور العامة عناية الادباء والمؤرخين مثل عنايتهم بذكر دور الخلفاء والامراء والسلاطين • لذلك قل ان يعثر المتتبع للتاريخ العربي الاسلامي على وصف يشفي النفس للبيوت التي يسكنها عامة الناس • وما جاء عنها مبعثراً في بطون الكتب بشكل عرضي •

وكانت هذه الدور اما ان يسكنها مالكها[٤٩٢] ، او ان يؤجرها لغيره[٤٩٣] • ولم يكن ايجار البيوت امرا ميسورا بالنسبة لفقراء العامة ، بل كان يثقل كواهلهم[٤٩٤] • ولهذا كان بعض الفقراء يؤجرون غرفة واحدة في احدى الدور ويسكنون فيها ، مع اهلها او مع مؤجرين آخرين يسكنون في غرف اخرى في نفس الدار[٤٩٥] • وقد يشترك عدة افراد من العزاب في ايجار دار وسكناها[٤٩٦] •

والى جانب هؤلاء الناس كان هناك من لا يستطيع شراء دار أو ايجارها كالمعدمين او الزهاد من الصوفية • لذلك كانوا يبنون لهم اكواخا يلجأون اليها[٤٩٧] • ويبدو ان عدد الاكواخ ببغداد كان يزداد كلما حدث فيضان يؤدي الى تهديم الدور فيها • كما حدث سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م حيث بنى كثير من اهل بغداد اكواخا لهم[٤٩٨] • وقد حاولت الحكومة في بعض الاوقات بناء دور لاهل الاكواخ وتهديم اكواخهم كما حدث سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م اذ عوضتهم عن اكواخهم واعطتهم دورا في محلة

---

(٤٩٢) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ٥١ •
(٤٩٣) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٥٣ •
(٤٩٤) الهمذاني : مقاماته : ٢١١ •
(٤٩٥) الشيباني : المخارج في الحيل : ٦٨ ـ ٧٢ •
(٤٩٦) الغزولي ١ : ١٩٣ •
(٤٩٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٨٩ •
(٤٩٨) ن٠م ٨ : ٢٨٦ •

المقتدية والمسعودة والمختارة[٤٩٩] • ولكن وجود الاكواخ لم يختف نهائيا من بغداد ، فقد ورد خبر عن وجودها سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م[٥٠٠] •

اما الحجاج والمسافرون فكانوا ينزلون في الخانات ليسكنوا فيها بعض الوقت[٥٠١] • وقد ينزل المسافرون في احد الاديرة النصرانية ليقضوا فيها ليلتهم[٥٠٢] • وكان يبني بعض هذه الخانات الموسرون ويوقفونها على السابلة[٥٠٣] • كما ان بعض الناس اشتهروا ببناء الربط للصوفية كأبي سعيد الصوفي[٥٠٤] الذي اشترى الضياع والخانات والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية[٥٠٥] ، ومن الربط المعروفة ببغداد التي اوقفت على الصوفية رباط شيخ الشيوخ[٥٠٦] •

اما المشردون الذين لم تكن لهم دور أو أكواخ يسكنون فيها فكانوا يلتجئون الى المساجد[٥٠٧] • وكانوا لا يجدون في المساجد شيئا ينامون عليه سوى الحصر[٥٠٨] • وقد يلتجئون الى الخرائب ، ويشارك المشردين في ذلك بعض الزهاد الذين لا يجدون مأوى[٥٠٩] كما ان المشردين قد

---

(٤٩٩) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٣٠ •
(٥٠٠) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٨٩ •
(٥٠١) التنوخي : نشوار ٨ : ١٣٥ ، ابن رستة : الاعلاق النفيسة : ١٦٣ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٩ •
(٥٠٢) بابو اسحاق : احوال : ٨٩٩ •
(٥٠٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٩ •
(٥٠٤) وهو الذي وقف على بناء المدرسة النظامية ببغداد بناء على امر الوزير نظام الملك في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م •
(٥٠٥) الطرطوشي : سراج الملوك : ٢٤٠ •
(٥٠٦) ابن النجار : ذيل ح ١٠ ورقة ٤٥ (ب) •
(٥٠٧) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٣٥٩ ، ابن الهبارية : الصادح والباغم : ٥٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٣٠ •
(٥٠٨) الثعالبي : التمثيل : ١٩٩ •
(٥٠٩) ابن النجار : خط ج ١٠ ورقة ٢٤ (ب) •

يجدون خانا فينحشرون في غرفة[٥١٠] ، ولسان حالهم يقول[٥١١] :

الحمدُ لله ليس لي مالُ ولا لخلقٍ علي افضالُ
الخانُ بيتي ومشجبي بدني وخازني والوكيل بقالُ

واذا لم يجد المتسولون مكانا ينامون فيه فقد ينامون في الطرقات والاسواق[٥١٢] .

اما الفقراء والمعوزون فكانوا يطمحون باستمرار الى امتلاك دور خاصة بهم وهذا ما يفسر لنا الامثال التي قيلت في الدور مثل قولهم « جنة المرء داره » و « دار المرء عشه وفيها عيشه » . ولاهمية امتلاك الدار فقد جعلوها اول شيء يجب على الفرد ان يشتريه بقولهم « ولتكن الدور اول ما يشترى وآخر ما يباع » . وانهم حبذوا امتلاك الدار مهما كان نوعها بقولهم « وحائط خير من الف شفيع »[٥١٣] .

وكانت بيوت العامة تبنى في الغالب من طابق واحد[٥١٤] . ولكن قد توجد بعض الدور من طابقين[٥١٥] .

اما مواد البناء المعروفة آنذاك فهي : الجص[٥١٦] ، والآجر ، والكلس ، والنورة[٥١٧] ، والاسفيذاج[٥١٨] . اضافة الى الاخشاب

---

(٥١٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ٢٥٤ .
(٥١١) الثعالبي : التمثيل : ١٩٩ .
(٥١٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ٣ : ٣٢٥ .
(٥١٣) الثعالبي : التمثيل : ٢٩٧ .
(٥١٤) Duri (A.A.) : Baghdad - E. I. 2ed. Vol I. P0 899.
(٥١٥) ابن الجوزي : الاذكياء : ٦٠ .
(٥١٦) البنداري : ٢٠٢ .
(٥١٧) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ١٠٧ .
(٥١٨)ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣١ والاسفيذاج : رماد الرصاص والانك : الفيروزاباذي : ١ : ١٩٤ .

المستعملة في التسقيف[٥١٩] • وهـذه الاخشاب كانت تختلف في نوعيتها فبعضها من جذوع النخل[٥٢٠] ، وبعضها من اشجار اخرى[٥٢١] ، وكان الاغنياء يستعملون الاخشاب الغالية الثمن • فقد يغلفون السقوف بالساج ، ويزينـون تعاريجهـا بالابنوس والعـاج[٥٢٢] • ويطلونهـا بالاصـباغ لتزويقها[٥٢٣] • وقد يغلفون الجدران بأخشاب الساج أيضا[٥٢٤] •

اما شكل البيوت من الخارج فلا اظنه يختلف عما عليه بيوت العامة في احيائنا الشعبية في الوقت الحاضر • فالدور متلاصقة عالية الجدران ، وهي توحي بان هناك فكرة اساسية حرص عليها الناس في هندسة بيوتهم وهي عدم تمكين اي فرد من رؤية شيء من داخل الدار • ويظهر في جبهة الدار باب خشبي يرتقي اليـه الداخـل بدكة (أو مصـطبة) مرتفعـة بعض الشيء عن الطريق ، وتكون ملاصقة للباب[٥٢٥] • ويوجد في الباب حلقة من النحاس تدور على لولب ليطرق بها الباب عند الاستفتاح ويجذب منها عند الاقفال[٥٢٦] • ويكون للبيت شباك (يسمى روزنة او طاقـة) يطل على الطريق[٥٢٧] • يكون منفذا يدخل منه النور والهواء ، علاوة على انه يستخدم للتفرج على الطريق أو المارة • واضافة الى الشباك فقد يكون للدار روشن ـ وهو ما نسميه اليوم بالبالكون ـ يطل على الطريق

---

(٥١٩) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٤٢ •
(٥٢٠) الماوردي : الاحكام : ٢٥٥ •
(٥٢١) م٠س •
(٥٢٢) الازدي : ٣٣ ، ٣٤ •
(٥٢٣) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٣١٨ •
(٥٢٤) التنوخي : نشوار ١ : ٨٥ •
(٥٢٥) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٥ ، وأنظر ابن الاخوة : ٧٨ •
(٥٢٦) الهمذاني : مقاماته : ١٠٨ •
(٥٢٧) التنوخي : نشوار ١ : ٢٩١ ، سبط ابن الجوزي : مرآة ج ٨ ق ١ ص ٢٧٤ •

ايضا[٥٢٨] • او يطل على نهر دجلة ان كانت الدار قريبة منـه[٥٢٩] • ولقد جاء في حوادث سنة ٤٤٣هـ انه هبت ريح شديدة صاحبها مطر غزير ، ادت الى اقتلاع رواشن كثيرة من الـدور المطلة على دجلة بمـا فيهـا دار الخلافة ودار المملكة[٥٣٠] •

اما شكل الدار من الداخل ، فاول ما يبدو منه بعد الباب الخارجي دهليز يوصله الى داخل الدار • وهو عبارة عن رواق يوصل باب الدار بصحنه (اي وسطه) • وكان بعض الناس يتأنقون في بناء الدهليز ويعتبرونه « وجه الدار ، ومنزل الضيف ، وتجليس المسـتأذن • »[٥٣١] • ولكن اناسا آخرين يهملون أمر الدهليز ولا يعطونه هذه الاهمية ، فقد يجعلون فيه كنيفا (مستراحاً)[٥٣٢] • وفي نهاية الدهليز يكون في بعض البيوت باب آخر يسمى باب الصحن[٥٣٣] • وبعد عبور هذا الباب يكون الداخل في صحن الدار • وهناك يجد غرف الدار مشرفة على هذا الصحن[٥٣٤] وعدد هذه الغرف لم يكن ثابتا[٥٣٥] •

ولقد كانت بيوت الفقراء بسيطة • اذ لم يرد عنها ما ورد عن بيوت الاغنياء ، التي كانت مقسمة في الغالب الى ثلاثة اقسام ، وكل قسم مخصص لشيء معين ؛ فقسم للاستقبال وقسم للحُـرَم ، وقسم للخدم[٥٣٦] •

---

(٥٢٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١١٧ ، القفطي : ٣٩٨ •
(٥٢٩) التنوخي : نشوار ١ : ٣٩ •
(٥٣٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٤٩ •
(٥٣١) الغزولي : مطالع ١ : ٣٥ •
(٥٣٢) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٣٦٩ •
(٥٣٣) التنوخي : نشوار ٨ : ١٣٤ •
(٥٣٤) ابن الجوزي : الاذكياء : ٨٢ •
(٥٣٥) ابن الجوزي : صفة ٢ : ٢٨٢ •
(٥٣٦) الغزالي : احياء ٢ : ١٦ وأنظر
Duri (A.A.) : Baghdad - E. I. 2ed. Vol P. 898

وكانت الدور تحوي على مرافق صحية كالكنيف والحمام ، علاوة على البئر[٥٣٧] . ولقد حرص الاغنياء وكبار رجال الدولة على ان يجعلوا في دورهم مستراحات خاصة يفتحونها متى ارادوا الدخول فيها ، ويقفلونها عند الخروج منها . لكي لا يستعملها احد غيرهم من خدمهم او اتباعهم[٥٣٨] . ومن المرافق الاخرى التي توجد في الدار السرداب الذي استعمل وسيلة للتبريد في الصيف حيث ينام الناس فيه . وعمق السرداب يختلف من بيت لاخر . فقد يصل في بعضها الى عشر درجات[٥٣٩] اسفل الدار[٥٤٠] . وكان النوم في السرداب واستعمال الخيش صيفا من الامور المألوفة ببغداد[٥٤١] . لذلك رأينا مسكويه يعتبر ذلك من الترف فينصح الناس بتركه[٥٤٢] . وقد يستخدم السرداب لاغراض اخرى غير التي بني من اجلها كأن يختبيء به بعض الفارين من وجه الحكومة[٥٤٣] . وهذا ما جعل آدم متز يتوهم في فائدة السرداب أو الغاية منه فيقرر بانه « لا نجد فيما بين أيدينا من أخبار القرن الرابع بالعراق ما يدل على استعمال السراديب للسكنى في فصل الصيف لا تشير لذلك اية حكاية من الحكايات الكثيرة التي ترجع الى ذلك العصر »[٥٤٤] .

وقد يحتوي البيت على تنور أو رحى . وربما زرعت فيه شجرة[٥٤٥]

---

(٥٣٧) أبو يعلى : الاحكام : ٢٨٦ .
(٥٣٨) التنوخي : نشوار ١ : ١٥ .
(٥٣٩) المقصود بالدرجات هنا درجات السلم .
(٥٤٠) الحريري : درة الغواص : ٢٩ .
(٥٤١) الاصفهاني : الخريدة : ١٨٤ ، ٢٨٥ .
(٥٤٢) تهذيب الاخلاق : ٥١ والخيش قماش غليظ الخيوط يتخذ من الكتان أو من العصب . ابن سيده : المخصص ٤ : ٧٢ .
(٥٤٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٠ .
(٥٤٤) آدم متز : ٢ : ٢٠٤ .
(٥٤٥) الماوري : الاحكام : ٢٥٥ .

أو كانت فيه حديقة(٥٤٦) . وقد يربي صاحب الدار كلبا في داره(٥٤٧) .

وكانت البيوت مزودة بميازيب لاخراج الماء منها ـ وخاصة ماء المطر ـ وتكون هذه الميازيب موجهة الى الطريق ، ومنها تخرج المياه المتجمعة فوق السطح(٥٤٨) . وقد تسبب هذه الميازيب اذى للناس حيث تلوث ملابسهم اثناء سقوط المياه منها(٥٤٩) . وهناك نوع آخر من الميازيب هي الميازيب الارضية التي تخرج من البيت لتقذف بالمياه الناتجة عن الاستعمال اليومي في البيت ا لىالطريق . وفي هذه الميازيب يقول الغزالي انه لا بأس من وجودها وخاصة اذا كان الطريق امام البيت واسعا . اما اذا كان ضيقا فانه لا يجيز وجود مثل هذه الميازيب لان المياه التي تخرج الى الطريق تزيد من ضيقه وتعيق مرور الناس(٥٥٠) .

والسطح بالنسبة لسكان بغداد من الامور المهمة ، وخاصة في الصيف حيث اعتاد البغداديون النوم فوقه ليلا . وكلما كان السطح اكثر ارتفاعا كان ذلك احسن ، لانه يكون اكثر عرضة للهواء الطلق ، وبذلك يكون ابرد(٥٥١) . ويستمر الناس في النوم على السطوح طالما كان الطقس حارا. فاذا ما اعتدل وشعر الناس ببرودة الجو تركوا السطوح ورجعوا للنوم في الغرف(٥٥٢) .

اما تزيين الدور بالاثاث والمفروشات فكان أمراً يتوقف تحقيقه على

---

(٥٤٦) التنوخي : نشوار ١ : ٨ ، ٩٢ .
(٥٤٧) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ .
(٥٤٨) الصابي : الوزراء : ٨٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٨ : ٢٤١ .
(٥٤٩) التنوخي : الفرج : ٣٨ .
(٥٥٠) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ .
(٥٥١) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ١٤٨ ، ٤ : ٧٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٥٧ .

الذوق وحالة الفرد المالية . اذ أباح الشرع ذلك[٥٥٣] . ولهذا رأينا رب البيت من الفقراء او الزهاد يكتفي بوضع بارية يفرشها على الارض[٥٥٤] ، او حصير . ولقد كان استعمال الحصر مشهورا عند البغداديين ، وذلك لان صناعة الحصر ببغداد كانت رائجة آنذاك[٥٥٥] . وكان لسان حال الزهاد في تأثيثهم هذا انه « لو كانت الدنيا دار مقام لاتخذنا لها اثاثا »[٥٥٦] .

اما الاغنياء فكانت بيوتهم أكثر زينة واثاثا ؛ لذلك فرشت بالبسط المختلفة الانواع والوسائد ، وارخيت فيها أنواع الستور[٥٥٧] . وكذلك الامر بالنسبة لبيوت كبار رجال الدولة ؛ اذ فرشت فيها الزلالي المغربية[٥٥٨] ، والطنافس الخرشنية[٥٥٩] ، والنخاخ الاندلسية والقرطبية[٥٦٠] ، والمطارح الارمنية[٥٦١] ، والقطف الرومية[٥٦٢] ، والمقاعد التسترية ، والانطاع المذهبة المغربية[٥٦٣] ، والمخاد المذهبة

---

(٥٥٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٦٢ .

(٥٥٣) الغزالي : ميزان العمل : ١٤٠ .

(٥٥٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ٦٧ .

(٥٥٥) النويري : نهاية الارب ١ : ٣٥٦ .

(٥٥٦) الماوردي : أدب الدنيا : ٩٦ .

(٥٥٧) الف ليلة وليلة مج ١ : ١٤٦ .

(٥٥٨) وهو البساط (جمع الزلالي ـ زلية) ـ الزبيدي ٧ : ٣٥٩ .

(٥٥٩) وهي المرافق الكثيرة الحشو ـ الصعيدي : ٢٧٩ .

(٥٦٠) وهي بسط طول الواحد منها أكثر من عرضه ـ ابن منظور ٣ : ٦١ .

(٥٦١) المفارش ـ الزبيدي ٢ : ١٨٩ .

(٥٦٢) القطف جمع قطيفة وهي دثار مخمل ـ الرازي : ٥٥٠ .

(٥٦٢) وهو يتخذ من الأدم ـ ابن سيدة : المخصص ٤ : ١٠٢ .

[..]يقية ، والطرحات القبرسية ، والوسنجرد[٥٦٤] ، وابو قلمون[٥٦٥] ، والنمارق[٥٦٦] وحصر سامان ، وعباداني ، والدسوت الشقيرية المفصلة بالذهب • ودسوت ممزوج بذهب عراقي • وديباج مثقل[٥٦٧] ، ومحيل[٥٦٨] • ومطارح محشوة بريش الصعو الهندي[٥٦٩] • والديباج التستر المقصب بالذهب[٥٧٠] •

وكانوا يستعملون الستائر لتزيين الجدران لما بها من نقوش وتصاوير[٥٧١] • ولقد ذكرنا استعمال الخيش في الصيف كوسيلة من وسائل التبريد التي اعتاد اهل بغداد على استعمالها وخاصة الموسرين منهم • ولما كان الخيش يعمل بشكل مراوح في البيوت لذلك يمكن ذكرها ضمن الاثاث[٥٧٢] •

ومن جملة اثاث البيت ايضا الادوات المستعملة في المطبخ كالقدور

---

(٥٦٤) لم نعثر على شرح لها فيما تيسر لنا من المعاجم •

(٥٦٥) نوع من ثياب الروم يتلون للعيون ألوانا مختلفة ـ الرازي : ٥٥٠ •

(٥٦٦) الوسائد الصغيرة ـ الرازي : ٦٨٠ •

(٥٦٧) الثوب من الديباج الحسن الصنعة الرقيق • ويكون أخضر اللون • ابن سيدة : المخصص ٤ : ٧٦ •

(٥٦٨) المحال : ضرب من الحلي يصاغ مفقرا أي مخرزا • ابن منظور : ١١ : ٦٢٠ وربما كان المقصود بالمحيل هو الموشى بهذا النوع من الحلي •

(٥٦٩) الصعوة : صائر صغير الحجم أحمر الرأس ويعتبر من صغار العصافير ـ الدميري : حياة الحيوان ١ : ٥٥٢ •

(٥٧٠) الازدي : ٣٣ ، ٣٤ •

(٥٧١) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٢٨ ، ابن الاخوة : ٥٦ •

(٥٧٢) التنوخي : نشوار ٨ : ١٣٥ ، مسكويه : تهذيب : ٥١ ، ابن الجوزي : ذم الهوى : ٥٤٥ • الاصفهاني : الخريدة : ١٨٤ ، ٢٨٥ •

والصواني[٥٧٣] ، والغضائر[٥٧٤] • والادوات المستعملة في غسل الايدي كالطست والابريق ، علاوة على المناديل لتنشيف الايدي بعد غسلها[٥٧٥] • وادوات الشراب كالاقداح[٥٧٦] ، او الطاسات[٥٧٧] • وهناك ادوات اخرى تستعمل لدق الحبوب او الابازير (اي البهارات) وغيرها من الاشياء التي يحتاجها المطبخ[٥٧٨] • وكذلك آلة التبخير والبخور[٥٧٩] • والحباب التي يوضع فيها الماء ، والتي لم يكن يستغني عنها احد من الناس[٥٨٠] • وكذلك الكيزان (جمع كوز)[٥٨١] • اضافة الى ذلك المكنسة والمقدحة[٥٨٢] • وقد اورد لنا التنوخي رواية عن رجل وصف بانه متوسط الحال وانه اراد ان يؤثث داره بما فيها من فرش وآلة ومركوب وجوار وغلمان فكلفه ذلك خمسة الاف دينار[٨٥٣] • ومن الطبيعي ان يكلف تأثيث دار لرجل من فقراء العامة اقل من هذا المبلغ بكثير ، ولقد مر معنا ذكر بعض اثاث الفقراء •

وهناك ادوات اخرى تستعمل للزينة اكثر منها للضرورة • ووجودها لا شك مقصور على دور الاغنياء من العامة مثل قماقم الذهب والفضة

---

(٥٧٣) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ٦٧ •

(٥٧٤) ابن الفقيه : البلدان : ٢٥٣ •

(٥٧٥) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٥٤٥ •

(٥٧٦) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٥٥٤ •

(٥٧٧) الشيزري : ٧٩ •

(٥٧٨) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢١ : ٨٩ ، الشيزري : ٧٩ •

(٥٧٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ٦٧ •

(٥٨٠) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٥٧ •

(٥٨١) ن٠م ١٠ : ٧ •

(٥٨٢) الهمداني : تكملة : ٣٨ •

(٥٨٣) التنوخي : نشوار ١ : ٩٣ •

المستعملة في حفظ ماء الورد[٨٥٤] . واواني الفضة والذهب[٥٨٥] والاحجار الكريمة والجواهر النفيسة[٥٨٦] .

ولقد نشأ حول الاثاث عرف خاص لدى عامة بغداد ، كان من الصعب تخطيه . فمن ذلك ان الشخص لا يستطيع ان يبيع اثاث بيته حتى وان كان في حاجة الى المال، اذ يعتبر ذلك «اسقاط لجاهه عند الناس»[٥٨٧] . وكذلك لا يستطيع ابدال اوانيه النحاسية باخرى خزفية ، ليستفيد من الفرق بين سعريهما ليسد به حاجته اذ ان ذلك سيجعله مضغة في الافواه[٨٥٨] .

وقد اعتاد ارباب العوائل تجهيز دورهم بما يحتاجون اليه من مواد غذائية ضرورية . كأن يشتروا الحنطة والشعير في موسمهما ، وكذلك العسل والسمسم والشحم ، والحطب[٥٨٩] ، والملح[٥٩٠] ، والسويق والزيت والنبيذ[٥٩١] .

اما اضاء البيت فكانت تتم بواسطة السرج[٥٩٢] ، أو القناديل[٥٩٣] ، او الشموع[٥٩٤] . ولهذا يمكننا ان تصور حياة الناس في بغداد آنذاك وقد انعدمت عندهم الاضاءة الكهربائية كيف انهم يغادرون اسواقهم

---

(٥٨٤) ابن الاخوة : ٧٧ .
(٥٨٥ ، ٥٨٦) الغزالي : احياء ٢ : ١٦ .
(٥٨٧) مسكويه : تهذيب : ١٦٥ .
(٥٨٨) ابن الجوزي : تلبيس : ٢٧٦ .
(٥٨٩) الدمشقي : الاشارة : ٦٠ .
(٥٩٠) الهمذاني : مقاماته : ١٠٨ .
(٥٩١) الجاحظ : ثلاث رسائل : ٧٤ .
(٥٩٢) المكي ١ : ١٠٦ ، الهمداني : تكملة : ٤٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٧١ ، القفطي : ١١٣ .
(٥٩٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٤ .
(٥٩٤) الهمداني : تكملة : ٢١٣ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٥٨ .

ومحلات عملهم عندما تغيب الشمس وتنقطع حركتهم من الشوارع ، ويدخلون بيوتهم ، ولا يخرج احدهم ليلا الا حاملا بيده احدى وسائل الانارة المذكورة •

ولقد تعرضت دور العامة للهدم في بعض الاوقات نتيجة لحدوث الزلازل كما حدث سنة **٤٥٠**هـ/**١٠٥٨**م[(٥٩٥)] ولكن الذي يبدو من ندرة الاخبار عنها انها كانت قليلة الحدوث • ونتيجة لحدوث المنازعات المذهبية بين سكان بغداد[(٥٩٦)] • وكذلك نتيجة لتهديم الحكومة لها عندما كانت تريد توسيع احدى البنايات التابعة لها كما حدث سنة **٤٤٨**هـ/**١٠٥٦**م عندما اراد السلطان طغرلبك تجديد بناية دار المملكة فعمد الى تهديم الدور والاسواق المجاورة لها[(٥٩٧)] • وفي سنة **٤٥٥**هـ/**١٠٦٣**م اريد توسيع دار الخلافة فعمدت الحكومة الى تهديم الدور الواقعة بمشرعة الزوايا والفرضة وبعض الدور الواقعة على شاطيء دجلة • وقيل ان هذه الدور كانت في سنة **٤٤٧**هـ/**١٠٥٥**م تبلغ ما يزيد على **١٧٠** دارا[(٥٩٨)] • وفي سنة **٤٥٧**هـ/**١٠٦٤**م اريد بناء المدرسة النظامية ومن اجل ذلك هدمت بقية الدور الشاطية بمشرعة الزوايا والفرضة وباب الشعير ودرب الزعفراني[(٥٩٩)] ولم ترد معلومات توضح فيما اذا كانت الحكومة قد عوضت هؤلاء الناس الذين هدمت دورهم ام لا • وكل الذي ورد عن ذلك ان احد العلماء المسمى بابي اسحاق الشيرازي قد هرب من التدريس في النظامية بعد بنائها ، عندما اخبر بان ارضها مغصوبة[(٦٠٠)] • ولكن من جهة اخرى فقد ورد فيسنة **٤٥٩**هـ انه عندما اريد بناء مشهد ابي حنيفة اشتريت

---

(٥٩٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٩٠ •
(٥٩٦) أنظر الفصل الرابع (٢ ــ العلاقات السكنية) •
(٥٩٧) م•س : ١٦٩ •
(٥٩٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٣٥ •
(٥٩٩) ن•م : ٢٣٨ •
(٦٠٠) ن•م : ٢٤٦ •

الدور المجاورة للمشهد المذكور[٦٠١] .

ثم ان الحكومة قد ساهمت - في بعض الاوقات - في اعمار بعض المحال كما سيأتي تفصيله في الفصل الرابع[٦٠٢] .

---

(٦٠١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤٥ .

(٦٠٢) نظر العلاقات السكنية في الفصل الرابع .

٤ ـ الحمامات العامة :

بلغ الاعتناء بالحمامات والاكثار منها مبلغا كبيرا في الدولة العباسية ، حتى اصبح عددها ببغداد مضرب الامثال • وكانت هذه الحمامات على نوعين من حيث الملكية ، حمامات خاصة واخرى عامة •

اما الخاصة فهي التي يمتلكها التجار والوزراء والقادة والقضاة والاشراف في دورهم[٦٠٣] • وقد يمتلك احدهم اكثر من حمام في داره[٦٠٤] • وتحتوي هذه الحمامات على كثير من وسائل الراحة ، علاوة على حسن تنظيمها • فمن ذلك ما ذكر عن الكاتب علي بن افلح المكنى بابي القاسم انه بنى حماما في داره ، كان فيه « بيت مستراح وفيه بيشون ، اذا فركه الانسان يمينا خرج الماء حارا ، واذا فركه شمالا خرج الماء باردا »[٦٠٥] •

واما الحمامات العامة فكانت كثيرة ببغداد ، وقد اختلفت الاقوال في كثرتها ابتداء من تأسيس بغداد حتى اواخر القرن الرابع واوائل الخامس الهجريين[٦٠٦] • حيث وردت الاخبار عن قلتها قياسا على ما كانت عليه

---

(٦٠٣) الصابي : رسوم : ٢١ ، سبط ابن التعاويذي : الديوان :
(٦٠٤) الصابي : رسوم : ٢١ •
(٦٠٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٨١ سنة ٥٣٣هـ •
(٦٠٦) فنرى اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) قد جعلها بعد تأسيس بغداد بقليل ١٠٫٠٠٠ حماما (البلدان : ١٧) وجعلها ابن مهمندار (من أهل القرن الثالث) ٦٠٫٠٠٠ حماما بعد ان فند المبالغات التي كانت رائجة في عصره عن عدد الحمامات (فضائل بغداد العراق : ١٤ ـ ١٨ وقد ذكر هذا الفصل الصابي ضمن كتابه رسوم دار الخلافة في الصفحات من ١٩ ـ ٢٠) ثم أصبحت في أيام المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ/٩٠٧ ـ ٩٣٢م) ٢٧٫٠٠٠ (الصابي : رسوم : ٢٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ١١٨ ، مجهول : مناقب بغداد : ٢٤) وفي أيام معزالدولة (٣٣٤ ـ ٣٥٦هـ/٩٤٥ ـ ٩٦٦م) ١٧٫٠٠٠ ، وفي أيام عضدالدولة (٣٦٧ ـ ٣٧٢هـ/٩٧٧ ـ ٩٨٢م) =

قبل ذلك ؛ فقد اورد الصابي (هلال بن المحسن ٣٥٩ـ٤٤٨هـ/٩٦٩ـ١٠٥٦م) بانها الان ـ ويقصد في عصره الذي عاش فيه ـ قد بلغت ١٥٠ حماما ونيفا[٦٠٧] • واورد صاحب مناقب بغداد بانها في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م قد بلغت ١٧٠ حماما[٦٠٨] • وربما يعود سبب قلة الحمامات في هذا القرن الى خراب الكثير منها وعدم اقدام الناس على بناء حمامات جديدة ؛ نتيجة لحدوث الحرائق المستمرة[٦٠٩] وعبث الجند البويهي والسلجوقي[٦١٠] • فلما زالت هذه الاسباب كثرت الحمامات ببغداد مرة اخرى ، ومما يؤكد ذلك ذكر ابن جبير لها اثناء زيارته لبغداد عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م حيث وجد فيها ما لا يحصى عدا من الحمامات ، وانه سأل احد شيوخ بغداد عنها فاخبره بان عدد الحمامات بين الجانب الشرقي والغربي الفا حمام[٦١١] •

وكانت الحمامات العامة على صنفين من حيث النوعية ، حمامات للرجال ، واخرى للنساء • اما قول بعض المحدثين من ان النساء كن يغسلن في نفس حمامات الرجال في ايام معينة ، بعد ان توضع ستارة على

٥٠٠٠ وكسر ، وفي عهد بهاءالدولة (٣٧٩ ـ ٤٠٣/٩٨٩ ـ ١٠١٢م) وخاصة في سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م فقد بلغت ١٥٠٠ ونيفا (الصابي : رسوم : ٢٠ ، والخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ١١٩ مجهول : مناقب : ٢٤) • وأورد الخطيب البغدادي انه في سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م بلغت الحمامات ٣٠٠٠ حماما (تاريخ ١ : ١١٨) •

(٦٠٧) رسوم : ٢٠ •

(٦٠٨) مجهول : مناقب بغداد : ٢٤ •

(٦٠٩) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٨ : ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٨ ، ٩ : ١٦ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٧٧ ، ١١٣ ، ١٣١ •

(٦١٠) أنظر الجند في الفصل الاول ٤٢ ـ ٥٢ •

(٦١١) الرحلة : ٢٢٨ •

الباب الخارجي[٦١٢] ، فقول لا يتفق والاخبار الواردة عنها . فقد جاء في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م على اثر دخول الجيش السلجوقي بغداد ـ كما مر في الفصل الاول ـ ان الجند صعدوا الى شباك حمام نسوى لتطلع عليهن[٦١٣] . وانهم كرروا ذلك بالنسبة لحمامين آخرين احدهما بمحلة نهر القراطيس والآخر بمحلة نهر طابق[٦١٤] . وذكر الشيزري ان من مجالات الالتقاء بين الرجال والنساء هي « ابواب حمامات النساء »[٦١٥] فلو لم تكن للنساء حمامات خاصة لما ذكرها بهذا التحديد ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره الغزالي في معرض كلامه عن الحمامات من انه يحق للذميات من النساء دخول الحمامات النسوية الملية (الاسلامية) العامة[٦١٦] .

والحمام يتكون من رحبة واسعة تكون محلا لحفظ الملابس (اي مخلعا) قبل الدخول مباشرة للاغتسال . وفي هذه الرحبة توجد دكاك توضع عليها الملابس[٦١٧] . ويكون صاحب الحمام (القيم) جالسا في هذه الرحبة ليراقب الناس اثناء خلعهم الملابس ، واثناء لبسهم لها ، خوفا من السرقة[٦١٨] . ولكي يقبض الاجر من الخارجين بعد انتهاء الاستحمام[٦١٩] .

وبعد ان يخلع الشخص ملابسه في (المخلع) وهو البيت الاول من الحمام يمر ببيتين آخرين غير المخلع ، يكون الثاني منها اكثر حرارة من

---

(٦١٢) هوار : الحمامات ـ دائرة المعارف الاسلامية مج ٨ ص ٦٨
فيليب حتي وجماعة : تاريخ العرب مطول ٢ : ٤١٥ .
(٦١٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٢٨ .
(٦١٤) مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسي : ١٢٤ .
(٦١٥) نهاية الرتبة : ١٠٩ .
(٦١٦) احياء ٢ : ٣٣٤ .
(٦١٧) الدمشقي : ٣٥ .
(٦١٨) الشيزري : ٨٧ .
(٦١٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٦ : ٣٨٧ .

الاول (المخلع) واقل حرارة من الثالث[٦٢٠] • وعليه ان يضع على وسطه مئزرا قبل الدخول الى البيت الثالث ، وهو محل الاغتسال • فان كان فقيرا او غريبا زوده القيم اعارة او ايجارا[٦٢١] •

والبيت الثالث هو محل الاغتسال ، ويكون عادة على شكل ردهة واسعة ، عليها قبة فيها نوافذ زجاجية صغيرة مستديرة للنور ، وحول هذه الردهة مخادع كثيرة مفروشة بالفسيفساء ـ ولكن الغالب ان تكون مفروشة بالقار [٦٢٢] ـ وقد طلي نصف حائطها مما يلي الارض بالقار وطلي النصف الاخر الاعلى بالجص الابيض الناصع • وفي كل مخدع حوض من الرخام فيه انبوبان للماء الحار والبارد[٦٢٣] • والى جانب هذه الاحواض الصغيرة الموجودة في كل مخدع فان هناك حوضا كبيرا في داخل هذا البيت ، وهو الذي ينزل فيه المستحم فيغطس جسمه كله فيه • وماء هذه الاحواض يأتي من خزانة تكون في موضع مرتفع ، ومنها تأخذ انابيب خاصة الى هذه الاحواض[٦٢٤] • ومياه الخزانة اما ان يأتيها عن طريق دولاب خاص بالحمام يسحب الماء من بئر مجاور للحمام ، او تأتيها المياه من النهر[٦٢٥] •

وتحمى مياه الحمام عن طريق موقد خاص يكون في احدى جهات الحمام[٦٢٦] •

---

(٦٢٠) ابن سينا : حفظ الصحة ـ نقلا عن الغزولي ٢ : ٦ ، الغزالي : احياء ٢ : ١٤٤ ، ١٤٥ ، الشيزري : ٨٦ •

(٦٢١) الشيزري : ٨٧ •

(٦٢٢) ابن جبير : الرحلة : ٢٢٨ •

(٦٢٣) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ ، وأنظر حتي وجماعة : تاريخ ٢ : ٤١٥ •

(٦٢٤) الشيزري : ٨٧ •

(٦٢٥) الدمشقي : ٣٥ •

(٦٢٦) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٧٤ •

وقد تزين جدران الحمامات برسوم مختلفة منها المناظر الطبيعية ومنها تصاوير الحيوانات كالعنقاء[٦٢٧] • او رسوم العشاق ومعشوقاتهم • وكذلك مناظر مطاردة الحيوانات كالفيلة او غيرها من الوحوش[٦٢٨] •

ويرى الغزالي ضرورة ازالة هذه التصاوير من جدران الحمامات وخاصة تصاوير الادميين • وينصح الداخلين الى هـذه الحمامات المزينـة بالتصاوير تشويه هذه التصاوير ان لم يقدروا على ازالتها ، والا فليذهبوا الى حمامات خالية من التصاوير ، ولكنه لا يرى بأسا بابقاء صور الاشجار وسائر النقوش ما عدا صور الحيوان[٦٢٩] •

وقد تزين الحمامات اضافة الى التصاوير ببنـاء **فوارات المياه** في وسطها ، وتصميمها بشكل يجعل الماء يخرج منها باشكال مختلفة[٦٣٠] •

وبعد ان يدخل الشخص هذه الردهة (البيت الثالث) يختار لـه موضعا يجلس فيه ، في احدى هذه المخادع المحيطة بالردهة • واثناء جلوسه يبقى متزرا بازاره ، أو أن يخلعه بعد جلوسه مباشرة ويضعه على عورته من الامام[٦٣١] • وقد ألف العامة هذه الحالة فلم يعد أحد ينكر على أحد ذلك ، حتى وان رأى شيئا من عورته[٦٣٢] • ما عـدا العلمـاء الذين لم يرضهم كشف الناس لعوراتهم في الحمامات العـامة • فذهب بعضـهم الى القول بانه « لا يحل دخول الحمام الا بمئزرين ، مئزر لوجهه ، ومئزر

---

(٦٢٧) طائر اسطوري ليس له شكل ثابت معروف ، وأهم ما شاع عنه انه كبير الحجم ـ القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : ٢٥٣ ، الزبيدي ١ : ١١٠ ، ٣ : ٢٦١ •

(٦٢٨) ابن سينا : حفظ الصحة ـ نقلا عن الغزولي ٢ : ٧ •

(٦٢٩) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ •

(٦٣٠) الخوارزمي : مفاتيح : ١٤٥ •

(٦٣١) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٥ •

(٦٣٢) ن٠م •

لعورته » ويستدرك فيقول « لا بل الافضل في وقتنا هذا ترك دخول الحمام لكثرة العراة فيه والعجز عن القيام باحكامه ، الا ان دخوله مباح »(٦٣٣) ٠

ولم تكن الحكومة غافلة عن امر الحمامات ومراقبتها(٦٣٤) ، لذلك رأينا القاضي ابا حفص محمد بن مبارك ، ما ان تولى الحسبة سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م حتى بادر لمعالجة هذه الحالة في الحمامات فاصدر امره الى قوام الحمامات بعدم السماح لأي شخص من الدخول الى الحمام بدون مئزر ، وتهديد من يفعل ذلك بالاشهار(٦٣٥) ٠

وكان المستحم اما ان يجلس الى جانب الحوض ـ في احدى المخادع ـ ليغسل مباشرة واما ان يستلقي على قفاه بعض الوقت ، وقبل الشروع بالغسل من أجل ان يعرق جسده(٦٣٦) ٠

وقد يغسل المستحم جسمه بيده ، وقد يطلب (مدلكا) يغسل له جسمه ٠ ولم يجز بعض العلماء ان يستدعي المستحم مدلكا ويسلم له نفسه ، وذلك لان المدلك سيطلع على عورة المستحم ، وسيمسها بيده ، اثناء تدليكه جسم المستحم(٦٣٧) ٠

وعند الانتهاء من الاستحمام وقبل الخروج من الغسل (البيت الثالث) كان الناس يستحسنون غسل أرجلهم بالماء البارد اذ يعتقدون ان في ذلك أمانا من النقرس والتورد(٦٣٨) ٠ وعلى العكس من ذلك كانوا يكرهون

---

(٦٣٣) المكي ٤ : ١٧٨ ٠

(٦٣٤) سيأتي الكلام بعد قليل عن دور الحكومة في مراقبة الحمامات ٠

(٦٣٥) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٢٩ ٠

(٦٣٦) القارىء ٢ : ٦ ٠

(٢٣٧) المكي ٤ : ١٧٨ ، الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ ٠

(٦٣٨) المكي ٤ : ١٨٠ والنقرس : ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين ـ الصعيدي : ٢٥١ والتورد من الورد : وهو من أسماء الحمى ـ الزبيدي ٢ : ٥٣٢ ٠

صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذلك شربه[٦٣٩] .

وكان الناس لا يدخلون الحمام من اجل الاستحمام فقط ، بل من اجل تنظيف اجسامهم من الشعر ايضا ، لذلك كانوا يحلقون رؤوسهم عند الحلاق (او الحجام) الذي يكون وجوده دائميا في الحمام[٦٤٠] . واضافة الى ذلك فانهم يستعملون النورة لازالة الشعر من بقية اجسامهم ، وكانت العادة لدى الناس ان يعمدوا الى ازالة الشعر من اجسامهم باستعمال النورة كل شهر . لان الاينار في رأيهم يطفيء الحرارة وينقي اللون ، ويزيد في شهوة الجماع[٦٤١] . وارجع بعضهم ذلك الى السنة وان تكون المدة بين مرة واخرى لا تتجاوز الاربعين يوما[٦٤٢] .

اما الادوات التي كان الناس يستعملونها في الحمام ، فكانت المحاك وهي التي يحك بها الناس ارجلهم[٦٤٣] . وورق السدر وورق الخطمي لغسل أجسامهم بها[٦٤٤] كما انهم استعملوا الصابون أيضا[٦٤٥] . ومن الادوات الاخرى التي استعملوها في الحمام الطاس الذي يغرف به الماء من الاحواض[٦٤٦] .

ويتولى خدمة الناس في الحمامات جملة من الاشخاص وعلى رأسهم القيم وهو رئيس الحمام ، والذي يتولى اخذ الاجرة من الناس عند

---

(٦٣٩) المكي ٤ : ١٨٠ ، الغزالي : احياء ١ : ١٤٥ .
(٦٤٠) ابن مهمندار : فضائل بغداد : ١٧ ، الهمذاني : المقامات : ١٧١ .
(٦٤١) المكي ٤ : ١٨٠ .
(٦٤٢) ن٠م .
(٦٤٣) السقطي : ٦٧ .
(٦٤٤) الشيزري : ٨٧ والخطمي : هو الغاسول وهو صنف من الملوخية البرية ـ ابن البيطار : الجامع ٢ : ٦٣ ، ٦٤ .
(٦٤٥) مجهول : مناقب بغداد : ٢٤ .
(٦٤٦) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ .

خروجهم من الحمام • كالوقاد الذي يقوم باشعال الوقود تحت الحمام ، والزبال الذي يتولى تنظيف الحمام واخراج الاوساخ منه • والمزين او الحلاق الذي يكون وجوده دائميا ـ كما مر ـ • والحجام الذي تكـون مهمته الرئيسة حجم المرضى[٦٤٧] ، الا انه كـان يقوم باعمـال الحلاق ايضـا[٦٤٨] •

وكانت الخدمة التي يقوم بها كل من المزين والحجام والمدلك ، غير مقصورة على احد من الناس • بل هي خدمة نظير اجرة معينة يقوم بها كل من هؤلاء ، لأي فرد من المستحمين[٦٤٩] •

وكانت الحمامات تفتح ابوابها في الصباح الباكر[٦٥٠] ، وتستمر مفتوحة حتى وقت الغروب • اما بعد الغروب فلم يكن الاستحمام مستحبا لدى الناس لانهم يعتقدون ان الشياطين تكون منتشرة آنذاك[٦٥١] • وكان احسن وقت للاستحمام في نظر بعض الناس هو الضحى ، حتى ان بعضهم فسر قوله تعالى «ونعمة كانوا فيها فاكهين» بانها الحمام وقت الضحى[٦٥٢] • وذهب الشيزري الى القول بان خير وقت للاستحمام هو بعد الشبع بفترة من الزمن قدرها بـ(الهضـم الاول) ، وذلك لانه حسـب رأيه يرطب البدن ، ويسمنه ويحسن بشرته[٦٥٣] •

---

(٦٤٧) ابن مهمندار : ١٧ ، الصابي : رسوم : ١٩ •

(٦٤٨) الهمذاني : المقامات : ١٧١ ، الشريشي : شرح مقامات الحريري ٤ : ٢٢٣ •

(٦٤٩) ابن النجار ج ١٠ ورقة ٤٨ (أ) ، وأنظر الشيزري : ٨٨ •

(٦٥٠) الشيزري : ٨٧ البغدادي : تاريخ ٦ : ١٢٢ ، ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٧٤ •

(٦٥١) الغزالي : احياء ١ : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن الاخوة : ١٥٥ •

(٦٥٢) الغزولي ٢ : ٣ •

(٦٥٣) الشيزري : ٨٦ •

ولم تكن للحمامات عطلة ، بل كانت ابوابها مفتوحة دائما ، الا في حالات شاذة كوفاة احد العلماء المشهورين حيث تغلق ابوابها كما حدث عام ٤٢٢هـ/١٠٥٠م عند وفاة ابي الحسن علي بن عمر الحربي المعروف بالقزويني[٦٥٤] . لذلك كان الناس يذهبون اليها متى شاءوا خلال أيام الاسبوع طلبا للنظافة. ولكن هناك حالات كان الاستحمام فيها ، سنة[٦٥٥] ، وهي الجمعة ، والاعياد والاحرام ، والوقوف بعرفة ، ومزدلفة ، ودخول مكة ، وثلاثة اغسال ايام التشريق[٦٥٦] ، وبطواف الوداع . والى جانب هذه الحالات هناك حالات اخرى يكون الاستحمام فيها فرضا دينيا وهي خروج المني ، والتقاء الختانين[٦٥٧] . والحيض ، والنفاس .

ولم يقتصر دخول الحمامات على فئة من الناس او طبقة محدودة وانما كانت مفتوحة لجميع الناس[٦٥٨] . سواء كانوا غرباء او بغداديين[٦٥٩] الا انه يمنع من دخول الحمامات المجذوم والابرص ، وبعض الناس الذين يحاولون غسل اللبد او الاديم من الاساكفة ، واصحاب اللبد في داخل الحمامات وذلك لكي لا يتضرر الناس المستحمون برائحة اللبد والاديم[٦٦٠] .

وعدوا للاستحمام فوائد جلى هي : توسيع المسام ، واستفراغ

---

(٦٥٤) ابن الجوزي : صفة ٢ : ٢٧٦ .

(٦٥٥) الغزالي : احياء ١ : ١٤١ .

(٦٥٦) وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، سميت بذلك لان لحوم الاضاحي تشرق فيها أي تشرر في الشمس ــ ابن رشد ١ : ٢١٢ ، ٢١٣ ، الرازي : ٣٣٦ .

(٦٥٧) أي الوطء ــ ابن رشد ١ : ٤٥ .

(٦٥٨) اخوان الصفا ١ : ٢٨٨ ، القاريء : ٢ : ٦ .

(٦٥٩) أخوان الصفا ١ : ٢٨٨ .

(٦٦٠) ابن الاخوة : ١٥٠ واللبد البسط ، وما تحت السرج ــ الفيروزاباذي ١ : ٣٣٤ .

الفضلات وتحلل الريـاح ، وتنظيف الوسـخ والعرق ، وذهـاب الحكة والجرب ، والاعياء ، وترطيب البدن ، وتجويد الهضم ، وتنضيج النزلات والزكام ، ويفيد في معالجة حمى الملاريا بجميع حالاتها(٦٦١) • علاوة على كونه محلا للتجميل والتزيين سواء كان ذلك للرجال او للنساء(٦٦٢) •

والحمام الجيـد في نظر بعض الناس هـو الحمام الحـار المضيء والذي تكون يد المدلك فيه خشـنة تزيل الاوسـاخ(٦٦٣) ، ووجه قيمه ضاحكا ، وعلى العكس من ذلك يكون الحمام الردىء(٦٦٤) • والحمام الجيـد بنظـر البعض الآخـر هو الذي يكون معتـدلا في حره وبرده الطيب الرائحة ، العذب الماء ، المتميز باضوائه الكثيرة المشرقة ، وفـنائه الواسع ، وتصاويره البديعة الصنعة(٦٦٥) •

ومما قيل في الحمام ان نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء(٦٦٦) وان بولة في الشتاء في الحمام ـ انفع من شربة دواء(٦٦٧) • وان من اراد الهزال فعليه بالاستحمام على الريق ، ومن اراد السمن فعليه بالاستحمام على قرب عهد بالشبع(٦٦٨) • وهذه الاقوال تمثل تجربـة الناس العملية للحمامات من جهة ، وتعكس مدى اهتمام الناس بالنظافـة ومراعاة صحة اجسامهم من جهة اخرى •

---

(٦٦١) الشيزري : ٨٦ •

(٦٦٢) أحمد ممدوح : معدات التجميل : ٢٦ •

(٦٦٣) ان المدلكين في الحمامات العامة في أيامنا يستعملون أكياسا صغيرة بأيديهم لتدليك أجسام المستحمين •

(٦٦٤) سبط ابن التعاويذي : الديوان : ٣٢١ ، ٤٥٠ •

(٦٦٥) الهمذاني : المقامات : ١٧١ ، ابن سينا : حفظ الصحة ـ نقلا عن الغزولي ٢ : ٧ •

(٦٦٦) الغزالي : احياء ١ : ١٤٥ •

(٦٦٧) المكي ٤ : ١٨٠ •

(٦٦٨) الشيزري : ٨٦ •

لقد كانت الحكومة تراقب الشروط الصحية في الحمامات ، وتمنع كل ما يؤدي الى الضرر بالصحة العامة • كمنع غسل الاواني او الازر او الطاس في الحوض • وتمنع ان تكون ارض الحمام مبلطة بحجارة ملساء مزلقة ، لكي لا يؤدي ذلك الى زلق الغافلين من المستحمين(٦٦٩) وكان من واجب المحتسب مراقبة الحمامات ، واصداره الامر بغسلها وكنسها وتنظيفها بالماء الطاهر ، وازالة اثر اوراق السدر والخطمي والصابون من ارض الحمام(٦٧٠) • وكان على القيم غسل الخزانة التي تمد الحمام بالماء ، من الاوساخ المتجمعة في مجاريها ، والعكر الراكدة في اسفلها ، مرة كل شهر حتى لا يتغير طعم الماء او رائحته • وكان عليه اذا اراد الصعود الى الخزانة لفتح الماء الى الاحواض ، ان يغسل رجليه بالماء لئلا يكون قد خاض في المياه القذرة • وان لا يسد الانابيب بشعر المشاطة ، بل يسدها بالليف والخرق النظيفة • وان يشعل البخور في كل يوم مرتين لا سيما اذا شرع في غسله وكنسه • ومتى برد الحمام فينبغي عليه ان يبخرها ايضا • وان لا يحبس الماء القذر في مسيل الحمام لئلا تفوح رائحته(٦٧١) • وعلى القيم ان يبيت المحاك التي يحك المستحمون بها ارجلهم ، في الماء والملح كل ليلة لئلا تكتسب الروائح ، وان يغسل ميازره كل عشية بالصابون(٦٧٢) •

وقد يأمر المحتسب المدلك ، ان يدلك يده بقشور الرمان ، لتصير خشنة فتخرج الوسخ ، علاوة على انها تُلذ المستحم • ويراقب المزين من حيث جودة حلاقته ، كما انه يفحص الآته(٦٧٣) •

---

(٦٦٩) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ •
(٦٧٠) م٠س : ٨٧ •
(٦٧١) م٠س : ٨٧ •
(٦٧٢) السقطي : ٦٧ •
(٦٧٣) الشيزري : ٨٨ •

وكان المحتسب يأمر بعدم السماح للمستحم الدخول بغير مئزر[٦٧٤] ، كما حدث عام **٤٨٧هـ/١٠٩٤** و **٤٩٤هـ/١١٠٠م**[٦٧٥] وكذلك كان يأمر بعدم اجراء ماء الحمامات الى دجلة ، بل يلزم اربابها بحفر آبار لها[٦٧٦] .

---

(٧٦٤) ابن الاثير ١٠ : ٨٥ .

(٦٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٢٩ .

(٦٧٦) م.س .

الفصل الثالث

صور من حياة العامة

١ ـ الاعياد الدينية والمناسبات المفرحة :

لقد احتفلت عامة بغداد باعياد دينية ، وفرحت بمناسبات شارك فيها المسلمون والمسيحيون طيلة القرن الخامس الهجري • وكانت هذه الاعياد على نوعين اسلامية ومسيحية •

أ ـ اما الاعياد الاسلامية فكانت متنوعة منها العامة ، ومنها العرفية المستحدثة • وكان الاحتفال بها يجري حسب مواعيد معينة من السنة • تبدأ بالاحتفال بحلول شهر رمضان، الذي كان الاهتمام به يجرى على الصعيدين الرسمي والشعبي ، فكانت الحكومة تبادر عند حلوله الى توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين ، وتعنى بالمساجد فتضيئها ليلا بالمصابيح • ويحيي العامة لياليه اما بالذهاب الى المساجد لصلاة التراويح ، او بالانس وسماع الغناء • ثم اذا قارب الانتهاء اخرجت الانعام من دار الخلافة الى فقراء العامة ، واستعد الناس بعدها لاستقبال عيد الفطر[١] •

ويكون عيد الفطر في اليوم الاول من شوال[٢] ويستمر الى اليوم الثالث منه • اما مراسيم اعلان يوم العيد فكانت تبدأ بمشاهدة الناس لهلال شوال ، ثم الشهادة لدى القضاة بذلك ، الذين يتولون امر ايصال هذه الشهادة الى قاضي القضاة ، ومنه الى الخليفة حيث يصدر امره بأذان العيد• اما اذا لم يتحقق للناس رؤية هلال شوال فانهم ينوون نية الصيام ويكملون عدة رمضان • وبعدها يكون اعلان العيد[٣] •

وفي صبيحة اليوم الاول للعيد يخرج الناس بملابسهم الجديدة الى

---

(١) الكازروني : مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية : ٢٥ •

(٢) أنظر عن تاريخ اتخاذ عيد الفطر القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ٢ : ٤٠٦ •

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٧١ •

المساجد لاداء فريضة صلاة العيد • ولاعطاء الفطرة[٤] ، الى الفقراء والمحتاجين[٥] وقد حرص الخلفاء على الاحتفال بهذا العيد فكان الخليفة يخرج مبكرا في موكب مهيب وقد ارتدى اجمل ملابسه وبمعيته كبار رجال الدولة[٦] • وكان الناس يقفون على جانبي الطريق عند مرور موكب الخليفة وهم ينادون « السلام على امير المؤمنين ونور الاسلام » والخليفة يرد عليهم التحية • حتى اذا دخل الجامع وصلى صلاة العيد ارتقى المنبر والقى في الناس خطبة العيد • وبعد انتهاء الخطبة ينهض المصلون وهم يرتلون الدعاء للخليفة • ثم يخرج الخليفة في موكبه ليعود الى دار الخلافة[٧] •

وكانت العادة ان يجرى استعراض عسكري في بغداد في اليوم الاول من العيد وقد يبقى الاستعراض مستمرا طيلة ايام العيد[٨] • وفي هذا الاستعراض يظهر الجند بملابسهم الفاخرة وقد ركبوا اجود الخيل[٩] • ويكون العامة عند مرور الجيش واقفين على جانبي الطرق أو جالسين الى شرفات منازلهم يطلون على سير الجيش بينما يكون الخليفة وكبار رجال الدولة جالسين في مكان يعد بصورة خاصة لهذه المناسبة وفي هذا المكان يستعرضون الجيش[١٠] • ولكي يحافظ على سير الاستعراض بانتظام

---

(٤) المكي ١ : ١٠٦ ، الكازروني : ٢٦ ، الا ان هناك من يرى وجوب اعطاء الفطرة ليلة العيد وليس في صبيحته ـ أنظر ابن رشد : بداية ١ : ٢٧٣ •

(٥) الحريري : المقامات : ٦٨ •

(٦) التنوخي : نشوار ٨ : ١٢ ، ٩١ •

(٧) بنيامين : الرحلة : ١٣٣ •

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٣٥ ، ٥٨ ، ١٥٧ ، ابن الاثير ٩ : ٢١٦ الكازروني : ٢٦ •

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٣٥ ، ابن الاثير ٩ : ٢١٦ •

(١٠) نفس المصادر •

كانت الحكومة تمنع العامة من ركوب البغال او الحمير لكي لا يختلط احد منهم بالجيش المستعرض[١١] .

وتزين بغداد بالاقمشة الحريرية ذات الالوان الزاهية[١٢] . وبالاعلام ويضرب فيها بالابواق والطبول[١٣] .

ويبدو ان الاحتفال بعيد الفطر واستعراض الجيش كان مستمرا طيلة القرن الخامس الهجري . اذا كانت الاحوال هادئة دونما اضطرابات او رواج اشاعات[١٤] .

واذا ما اهل شهر ذي القعدة بدأت احتفالات جديدة بحلول (موسم الحج) وذلك ان الحجاج يتوافدون في هذا الشهر[١٥] من واسط والبصرة والكوفة ومن المناطق التي تقع شرق العراق كفارس وخراسان وغيرها فيجتمعون في الجانب الغربي من بغداد ويضربون الخيم هناك . وتقيم لهم الحكومة مواضع خاصة لشرب الماء كما انها تقدم لهم الاطعمة وقد يبلغ عدد الحجاج المجتمعين ببغداد عدة آلاف قبل سفرهم الى الديار المقدسة وقد قدر عددهم ابن الجوزي في سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م بعشرين الف حاج[١٦] .

وفي خلال هذه الفترة وإلى ان يحين موعد رحيلهم ترى الشوارع زاخرة بالعامة على اختلاف اعمارهم واجناسهم خارجين من دورهم للتفرج على مواكب الحجاج القادمة من بقاع مختلفة . وقد لبسوا ازياء مختلفة الالوان والاشكال . فيكون في هذا الموسم منظر يدعو الى الانشراح

---

(١١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٣٥ .
(١٢) بنيامين : ١٣٣ .
(١٣) م.س ٨ : ٥٧ ، ١٠ : ٥٨ .
(١٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٤ .
(٥١) ن.م ٧ : ٢٧٦ .
(١٦) ن.م .

والبهجة[١٧] .

وكانت الحكومة تنظم مسيرة الحجاج من بغداد الى الحجاز ثم الرجوع الى بغداد ثانية . وذلك بان تولي على الحجاج اميرا تختاره من الاشراف الطالبيين في احتفال رسمي يجري في دار الخلافة يحضره السلطان والاشراف وقاضي القضاة والقضاة والفقهاء[١٨] ويخلع على امير الحجاج في هذا الاحتفال بالخلع ويكلل بالانعام[١٩] . ويتم تعيين امير الحج منذ فترة مبكرة فقد عين الشريف ابو الحسن بن موسى الموسوي اميرا للحج في شهر جمادي الآخرة من سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م[٢٠] وعين الشريف المرتضى اميرا للحج في شهر صفر في سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م[٢١] . وكان هذا التقليد في تعيين امير الحج قديما يرجع الى عهد الراشدين[٢٢]. اما اهم واجباته فهي قيادة الحجاج في ذهابهم وايابهم والاشراف عليهم وصيانة الامن بينهم خلال سفرهم وحمايتهم من هجمات البدو عبر الجزيرة العربية وتصدرهم عند القيام بشعائر الحج في مكة وعرفات وغيرها من الاماكن المقدسة[٢٣] .

---

(١٧) الكازروني : ٢٤ .
(١٨) م.س .
(١٩) الكازروني : ٢٤ .
(٢٠) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٣ .
(٢١) ن.م : ٢٧٦ .
(٢٢) أنظر :ـ
Jomier (J) : Amir al-Hadjaj. E. I. Vil I, P. 443
(٢٣) الصابي : الرسائل ١ : ١٥٥ وأنظر أيضا :
Jomier (J) : Amir al-Hadjaj. E. I. Vil I, P. 443

وقد وردتنا نسخة من تقليد أمير الحج وذلك في سنة ٣٥٤هـ حيث عين أبو أحمد الحسين بن موسى نقيب الطالبيين أميرا للحج من قبل الخليفة المطيع (٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ) . أنظر الصابي : الرسائل : ١٥٤ ـ ١٥٦ .

وقد تقلد امارة الحج في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م ، ٤٠٥هـ/١٠١٤م ابو الحسن بن محمد بن الحسن بن الاقساسي العلوي[٢٤] • وفي سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م نقيب الطالبين الشريف المرتضى[٢٥] • وتقلد الاقساسي مرة اخرى في سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[٢٦] وكذلك في سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م[٢٧] • وفي سنين اخرى لم يذكرها ابن الجوزي وانما اكتفى بالاشارة اليها فقط • وانه في كل ذلك كان يحج بالناس نيابة عن الشريف المرتضى[٢٨] •

ولما كان الاشراف الطالبيون هم الذين يتولون امارة الحج اضافة الى نقابة الطالبين لذلك فلابد ان يكون نقيب الطالبين عدنان بن الرضي الموسوي قد تولى امارة الحج عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٢٩] • وكذلك نقيب الطالبين ابي عبدالله بن ابي طالب عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[٣٠] •

ومن جملة تنظيمات موكب الحج ـ اضافة الى تعين الامير ـ ان يتقدم الموكب حامل العلم وبعده ضارب الطبل ثم جند السفر • وعندما يخرج الموكب من بغداد يكون في توديعه كبار رجال الدولة ومن خلفهم عامة بغداد[٣١] •

---

(٢٤) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٦٧ وكان نقيبا للطالبيين في الكوفة أنظر الاميني : الغدير في الكتاب والسنة والادب ٥ : ٧ •
(٢٥) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٧٦ •
(٢٩) ن٠م ٨ : ١٨٩ •
(٢٧) ن٠م : ١٦ •
(٢٨) ن٠م : ١٩ •
(٢٩) ن٠م : ١٨٩ •
(٣٠) ن٠م : ١٩٧ •
(٣١) الشريف الرضي : الديوان : ٥٠٠ ، ٥٤١ ، ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٦٣ حوادث ٤٠٣هـ ، ٢٧٦ حوادث ٤٠٦هـ ، ٨ : ٢ حوادث ٤١٢هـ ٨ : ٦٩ حوادث ٤٢٣هـ ، الكازروني : ٢٤ •

وكان الاحتفال بموسم الحج مألوفا طيلة القرن الخامس وما بعده . فقد وصف لنا بنيامين الاندلسي الاحتفال الذي شهده في بغداد اثناء زيارته لها في سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م ورأى كيف اجتمع الحاج ببغداد ودخلوا دار الخلافة هاتفين « يا سيدنا نور الاسلام وفخر المسلمين اطل علينا بطلعتك الميمونة » ثم كيف اطل عليهم الخليفة . وبلغهم حاجبه نيابة عنه تحيته لهم[٣٢] .

ولكن الطريق من بغداد الى الحرمين لم يكن دائما سهلا ميسورا فقد يتصدى الاعراب للحجاج اثناء رجوعهم مما يضطرهم الى العودة عن طريق الشام الى بغداد . كما حدث في عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م[٣٣] وعام ٤١٥هـ/١٠٢٤م[٣٤] اما اذا كانت تحركات الاعراب قد حدثت قبل ذهاب الحجاج من بغداد ولم تطمئن الحكومة الى جانبهم فان موسم الحج يبطل ويعود الحجاج الى اوطانهم كما حدث في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[٣٥] و ٤١٠هـ / ١٠١٩م و ٤١١هـ / ١٠٢٠م[٣٦] و ٤١٦هـ / ١٠٢٥م[٣٧] و ٤١٧هـ/١٠٢٦م[٣٨] و ٤١٨هـ/١٠٢٧م[٣٩] و ٤١٩هـ/١٠٢٨م[٤٠] و ٤٢١هـ/١٠٣٠[٤١] و ٤٢٢هـ/١٠٣٠م[٤٢] و ٤٢٦هـ/١٠٣٤م[٤٣]

---

(٣٢) الرحلة : ١٣٢ .
(٣٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٣ .
(٣٤) نم. : ١٦ .
(٣٥) ن.م ٧ : ٢٥٢ .
(٣٦) ن.م ٨ : ٢ .
(٣٧) ن.م : ٢٢ .
(٣٨) ن.م : ٢٥ .
(٣٩) ن.م : ٣١ .
(٤٠) ن.م : ٣٦ .
(٤١) ن.م : ٥١ .
(٤٢) ن.م : ٦٠ .
(٤٣) ن.م : ٨٣ .

و ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[٤٤] و ٤٨٦هـ/١٠٣٩م[٤٥] لذلك كانت الحكومة تعقد مع الاعراب اتفاقات خاصة بهذا الشأن وتعطيهم الاموال لقاء التزامهم جانب الهدوء وعدم التعرض للحجاج وعندما تطمئن الحكومة الى هدوئهم تعلن عند ذلك عن فتح طريق الحج وترسل الرسل الى الاقطار الاسلامية البعيدة كخراسان[٤٦] .

اما اذا رجع الحجاج من الحرمين فيكون ذلك موسما آخر للعامة كي تفرح وتحتفل وهي تستقبل مسيرة الحجاج[٤٧] .

واذا حل شهر ذي الحجة احتفلوا في اليوم العاشر منه بعيد الاضحى[٤٨] . وخرج الناس مبكرين الى المساجد لأداء فريضة صلاة العيد[٤٩] . ثم يخرجون بعدها لينشغلوا بنحر الاضاحي ـ وهي اهم ما يميز هذا العيد ـ وتوزيع لحومها على الفقراء والمحتاجين ، ولم يكن ذبح الاضاحي مقصورا على العامة وحدها فقد كان الخليفة نفسه يأمر بذبح الاضاحي على ابواب دار الخلافة وتوزيع لحومها على الفقراء[٥٠] . وكان الصناع ينتهزون فرصة حلول العيد ليصنعوا تماثيل حيوانية لبيعها على الاطفال[٥١] .

وفي ثامن عشر ذي الحجة يحتفل العوام (من الشيعة) بعيد الغدير

---

(٤٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٠٠ .
(٤٥) ابن القلانسي : ١٢٤ .
(٤٦) م.س : ١٢ .
(٤٧) الكازروني : ٢٤ .
(٤٨) البيروني : الاثار الباقية عن القرون الخالية : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، النويري ١ : ١٧٧ ، القلقشندي ٢ : ٤٠٦ .
(٤٩) المكي ١ : ١٠٦ ، الكازروني : ٢٦ .
(٥٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٤١ .
(٥١) الغزالي : احياء ٢ : ٦٧ ، وأنظر ابن الاخوة : ٥٦ .

وكـان اول من اوجد هـذا العيد معز الدولـة البويهي في سـنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م[٥٢] وهذا العيد عندهم بمثابة احيـاء لذكرى الخطبة التي القاهـا النبي (ص) في الموضع المسمى بـ (غدير خم)[٥٣] بين مكة والمدينة أثناء عودته من حجة الوداع والتي قال فيها بعد ان أخذ بيد علي بن أبي طالب « ألستم تعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قالوا بلى • قال : ألستم تعلمون اني اولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا بلى • فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » • لذلك كانوا يحيون ليلته بالصلاة ويشعلون النيران ويلبسون الملابس الجديدة وينصبون القباب وينحرون في صـبيحته الذبائح ويعتقون الرقـاب[٥٤] ويزورون مقـابر الاولياء ببغداد والكوفة[٥٥] •

وفي مقابل ذلك عمل عوام السنة عيدا آخر منافسـة لعوام الشـيعة سموه بعيد الغار • ويكون الاحتفال به في السـادس والعشـرين من ذي الحجة اي بعد عيد الغدير بثمانية ايام[٥٦] • وكانوا قد احدثوا هـذا العيد في سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م احياء لذكرى دخول النبي (ص) وصاحبه أبي بكر الصديق (ر) غار حراء اثناء الهجرة الى المدينة • وكانوا يظهرون السرور فيه وينصبون القباب ويوقدون النيران ويعلقون الزينة تماما كما كان عوام

---

(٥٢) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٠٥ ، الذهبي : العبر ٣ : ٤٢ ، النويري ١ : ١٧٧ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ١ : ٣٨٨ •

(٥٣) ابن الجوزي : المنتظم : ٨ : ١٦ ، ١٤٦ •

(٥٤) المصادر السابقة •

(٥٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦ ، ١٤٦ •

(٥٦) يرى الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ان هذا التاريخ غير صحيح لان النبي (ص) دخل الغار في أواخر صفر وأوائل ربيع الاول • العبر ٣ : ٤٢ •

الشيعة يعملون في عيد الغدير(٥٧) وكان الاحتفال بعيد الغدير وعيد الغار مستمراً طيلة القرن الخامس الهجري(٥٨) ولم يكن يحول دون الاحتفال بهما سوى وقوع الفتن المذهبية(٥٩) .

ولما كان العيارون والشطار جزءا من عامة بغداد يعيشون نفس الظروف التي تعيشها لذلك رأيناهم يساهمون في الاحتفال بهذين العيدين كما حدث عام ٤٢٢هـ/١٠٣٠م(٦٠) .

والى جانب هذه الاعياد التي جرى الاحتفال بها في اوقات معينة من السنة فان هناك اعيادا احتفلت بها عامة بغداد في هذا القرن ايضا الا ان مواعيد هذه الاعياد كانت لا تتفق دائما مع الشهور القمرية . وان كانت مواعيدها ثابتة ومعروفة . وهي اعياد عرفية ترجع الى اصول فارسية قديمة كعيد المهرجان والنيروز(٦١) والسذق (او الصدق) .

اما المهرجان فكان حلوله ايذانا ببدء الانقلاب الشتوي وكان يحتفل به في السادس والعشرين من تشرين الاول من شهور السريان وفي السادس عشر من مدماه من شهور الفرس وبينه وبين النيروز ١٦٧ يوما وكانت مدته عند الفرس ستة ايام يسمى اليوم السادس منه بالمهرجان

---

(٥٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٩ ، النويري ١ : ١٧٧ ، الذهبي : العبر ٣ : ٤٢ ، ٧٨ ، المقريزي : الخطط ١ : ٣٨٨ .

(٥٨) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٥٧ ، الذهبي : العبر ٣ : ٧٨ .

(٥٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٠ وقد ورد عن الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله انه منع الاحتفال بعيد الغدير في مصر بعد ان كانوا يحتفلون به ـ المقريزي : الخطط ١ : ٣٨٩ .

(٦٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٩ .

(٦١) لقد خص الاصفهاني (النياريز) بفصل عين فيه أوقاتها بحسب أيام الشهور القمرية من نيروز سنة احدى من الهجرة حتى نيروز سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م في كتابه تأريخ سني ملوك الارض والانبياء : ١٣٠ ـ ١٤٣ .

الاكبر[٦٢] . الا اننا لا نعلم عدد الايام التي يحتفل بها عند حلوله لدى عامة بغداد فالذي وردنا عنه انهم كانوا يحتفلون به من دون ذكر لعدد الايام . وقد اختلفت الروايات في سبب تسميته بالمهرجان[٦٣] . وعند حلوله يبدأ الناس بتغيير فرشهم وملابسهم استعدادا لاستقبال الشتاء[٦٤] . وتراهم يفرحون به فرحهم ببقية الاعياد . فيضربون بالبوقات والطبول ويعلقون الزينة[٦٥] . ويبادر الشعراء الى تهنئة الخليفة كما فعل الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م) عند حلول المهرجان في عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م[٦٦] وتهنئة كبار رجال الدولة كما فعل هو ايضا عند حلوله في عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م[٦٧] والى تهنئة الاصدقاء والاخوة[٦٨] وكذلك كان يفعل أخوه الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م)[٦٩] .

وكان النيروز ومعناه اليوم الجديد[٧٠] يحل عند الانقلاب الصيفي وذلك في ابتداء كل ربع من السنة الجديدة[٧١] . وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار[٧٢] . وكانت مدته عند الفرس ستة أيام يسمى

---

(٦٢) النويري ١ : ١٧٨ ، القلقشندي ٢ : ٤٠٨ .

(٦٣) النويري ١ : ١٧٨ ، القلقشندي ٢ : ٤١١ .

(٦٤) نفس المصادر .

(٦٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٧ .

(٦٦) الديوان : ٣٧ .

(٦٧) ن٠م ٤٢ .

(٦٨) ن٠م : ٨٠ .

(٦٩) الديوان ١ : ٣٤ .

(٧٠) النويري ١ : ١٧٨ ، القلقشندي ٢ : ٤٠٨ .

(٧١) البيروني : الآثار : ٢١٦ .

(٧٢) محفوظ : النوروز في الادب العربي ـ مجلة التراث الشعبي ص ١١ العدد ٨ نيسان ١٩٦٤ ويسميه البغداديون في الوقت الحاضر ب (النوروز) و (دورة السنة) .

اليوم السادس منها بالنيروز الاكبر[٧٣] . وما قلناه عن مدة المهرجان يصدق قوله هنا ايضا من حيث عدم معرفتنا بمقدار الايام التي احتفل العامة فيها عند حلوله في القرن الخامس الهجري[٧٤] اما الاحتفال بعيد النيروز فكان منذ أيام العباسيين الاولى . كما انه لم يكن مقتصراً على بغداد وحدها بل كان يحتفل به في اقطار اسلامية اخرى[٧٥] . فكانوا يوقدون في ليلته النيران ويشعلون الشموع[٧٦] . ويتبادلون الهدايا[٧٧] . والتهاني[٧٨] . ولم يكن احتفاء العامة به وحدهم فقد شاركهم فيه الشعراء والادباء ايضا . اذ كانوا يعتبرونه زمن الورد وفصل الجمال وموسم الفتنة ووقت الحسن[٧٩] .

والسَّذَق[٨٠] او السَّدق (ويسمى الصدق ايضا) كان عيدا آخر من اعياد الفرس القديمة[٨١] اخذته عامة بغداد واحتفلت به ويسمى بليلة الوقود حيث تشعل في تلك الليلة النيران بانواع مختلفة من الدهان[٨٢] .

---

(٧٣) النويري ١ : ١٧٨ ، القلقشندي ٢ : ٤٠٨ .
(٧٤) آدم متز ٢ : ٢٨٧ ـ ٢٩١ .
(٧٥) ن.م .
(٧٦) البيروني : الآثار : ٢١٦ .
(٧٧) م.س .
(٧٨) الشريف الرضي : الديوان : ٢٠٨ ، ٣١٦ ، ٤٦٥ ، ٥٤٤ ، ٦٢٣ مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ) . الديوان : مواضع كثيرة في أجزائه الثلاثة ، سبط ابن التعاويذي (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) : الديوان : ٧٦ ، ٩٩ .
(٧٩) محفوظ : النوروز في الادب العربي ـ مجلة التراث الشعبي ص ١٤ العدد ٨ نيسان ١٩٦٤ .
(٨٠) أنظر ابن منظور ١٠ : ١٥٥ .
(٨١) الهمذاني : الرسائل وقد نشرت باسم (كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان) : ٢٨١ . وأنظر النويري ١ : ١٨١ ، القلقشندي ٢ : ٤١٢ ، ٤١٣ .
(٨٢) النويري ١ : ١٨١ ، ١٨٢ ، القلقشندي ٢ : ٤١٢ ، ٤١٣ .

وكانت بحسب ما ذكره مسكويه[٨٣] وابن الاثير[٨٤] وابو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)[٨٥] اثناء كلامهم على حوادث سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م تقع في ليلة الميلاد . وقد أكد ذلك ابن الجوزي اثناء كلامه على حوادث سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م عندما قال بأن جماعة من اهل عكبرا[٨٦] نزلوا لاشعال النار ليلة الميلاد كعادتهم[٨٧] واستعمال ابن الجوزي لتعبير (كعادتهم) يوضح استمرار الاحتفال بهذا العيد . ولعل فكرة الاحتفال بالمولد النبوي التي حدثت بعد هذا التأريخ قد اخذت عن هذه الليلة[٨٨] . ولقد اورد ابن الجوزي نفسه كيفية الاحتفال بهذا العيد وذلك في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[٨٩] حيث اشعلت النيران العظيمة والشموع في السميريات[٩٠] والزوارق الكبار ونصبت القباب على بعض هذه الزوارق . وخرج عامة بغداد الى شواطىء دجلة للفرجة وكيف انهم باتوا ليلتهم تلك على شواطىء دجلة يتفرجون على الزوارق وهي تحمل ارباب الدولة بينهم السلطان والوزير ومن اليهم . علاوة على ما تحمله من انواع الملاهي . ولم تكن العامة مكتفية بالفرجة فقط بل كانوا يحملون هم ايضا الشموع بايديهم

---

(٨٣) تجارب الامم ٥ : ٣١٠ .

(٨٤) الكامل ٨ : ١٠٣ .

(٨٥) المختصر في أخبار البشر ٣ : ١٣٠ .

(٨٦) وهي بلدة صغيرة قريبة من بغداد ـ ابن حوقل : صورة الارض : ٢١٩ .

(٨٧) المنتظم ٨ : ٩٦ .

(٨٨) لقد اشتهر أبو سعيد كوكبورى الملقب بالملك المعظم مظفرالدين صاحب اربل (٥٤٩ ـ ٦٣٠هـ/١١٥٤ ـ ١١٣٢م) على انه أول من احتفل بالمولد النبوي وكان احتفاله به احتفالا رسميا يشارك فيه العلماء والفقهاء والصوفية . ابن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ٣ : ٢٧٠ ـ ٢٧٧ .

(٨٩) م.س ٩ : ٥٧ .

(٩٠) وهي نوع من السفن .

مشاركين في احياء تلك الليلة • ولقد كان لسحر تلك الليلة تأثير على ابي القاسم المطرز[٩١] فوصفها بقصيدة منها هذه الابيات :

وكل نـار على العشـاق مضـرمة ... من نـار قلبي او من ليلة الصدق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت ... بسـدفة الليل فيهـا غـرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا ... على الكواكب بعد الغيظ والحنق

ومنهـا :

وللشـموع عيـون كلمـا نظرت ... تظلمت من يديهـا انجم الغسـق

ب ـ اما الاعياد النصرانية فكانت كالاسلامية اعياد موروثة منذ عهد قديم يرجع بعضها ـ كما يرى آدم متز ـ الى عادات كانت لسكان العراق القدماء[٩٢] • ولها أوقات معلومة يحتفل بها في العراق • والنصارى يتفقون في الاعياد العامة ، الا انهم يختلفون في الفرعية منهـا ، حسب طوائفهم وفرقهم المعروفة[٩٣] • ثم ان هناك اعيـادا خاصـة بكل دير من الاديرة يحتفل بها في أوقـات معلومة من السنة[٩٤] • والذي يهمنا من أعيـاد النصارى هو ما كان يحتفل بها في الاديرة داخل بغداد او قريبا منها والتي يمكن لعامة بغداد مشاهدتها والتفرج عليها • لذلك فسوف لا يتناول هذا البحث الاعياد في الاديرة البعيدة عن بغداد •

وكانت هذه الاعياد التي تقام في الاديرة في اوقاتها المعلومة مناسبة مفرحة يستعد لها النصارى فيلبسون ابهى حليهم ويتزينون بفاخر ثيابهم •

---

(٩١) هو أبو القاسم عبدالواحد بن يحيى بن أيوب المطرز البغدادي الشاعر ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م • السمعاني : الانساب : ٥٣٣ (ب) •

(٩٢) الحضارة الاسلامية ٢ : ٢٧٦ •

(٩٣) البيروني : الآثار : ٢٨٨ ، ٣٠٩ •

(٩٤) الشابشتي : الديارات : ٣ والبيروني : الآثار : ٣١٠ وأنظر بابو اسحاق : أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية : ٩٧ •

ويخرج الرهبان والكهنة في موكب ديني وعلى ألسنتهم الكنسية شارات الصليب وبين صفوفهم الاعلام وبايديهم المجامر • يرتلون الاناشيد البيعة على نغم واحد متفق الالحان(٩٥) • فكانت اعياد الصوم الكبير(٩٦) تقسم حسب آحاده • ففي الاحد الاول يكون الاحتفال بدير العاصية • ويقع هذا الدير في شرق بغداد بباب الشماسية على بعد ميل من دير سمالوا(٩٧) • والاحد الثاني بدير الزريقية(٩٨) • والاحد الثالث بدير الزندورد ويقع هذا الدير بالجانب الشرقي من بغداد • في منطقة كنفها فواكه واعناب وقيل عن اعنابه بانها اجود الاعناب التي تعصر ببغداد • لذلك كان حلول العيد به يجذب اليه عشاق الطرب ومحبو التنزه ولهذا السبب ايضا تغنى بحسنه الشعراء(٩٩) وقد استمر وجود هذا الدير حتى العهود المتأخرة(١٠٠) • والاحد الرابع بدير درمالس ويقع بباب الشماسية(١٠١) •

---

(٩٥) بابو اسحاق : أحوال : ٩٧ •

(٩٦) ان الصوم الكبير هذا يقع في ثمانية وأربعين يوما اولها يوم الاثنين وفطرهم يوم الاحد التاسع والاربعين من أول صومهم • يسمونه السعانين (أو الشعانين) ومن الشرائط التي اشترطوها وقوع الفصح بين الشعانين والفطر وهو الاسبوع الاخير من الصوم ـ البيروني : الآثار : ٣٠٣ وعند انتهاء الصوم الكبير يكون قد هل عيد القيامة أو العيد الكبير ـ بابو اسحاق : أحوال : ١٠٢ •

(٩٧) الشابشتي : الديارات : ٣ والحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٧٠ ولم يذكر شيء عن سير الاحتفال به • ولقد نبه كوركيس عواد محقق كتاب الديارات على انه لم يعرف أي شيء عن هذا الدير هامش ص ٣ •

(٩٨) الشابشتي : ٣ وقد أشار كوركيس عواد محقق الكتاب الى ان أمر هذا الدير مجهول لديه : هامش ص ٣ •

(٩٩) الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٥٢ ، ٦٦٠ ، ٦٦٥ ، العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار ١ : ٢٧٤ •

(١٠٠) بابو اسحاق : أحوال : ١٣٣ •

(١٠١) الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٦٠ ، العمري ١ : ٢٧٥ •

وعيده احسن الاعياد اذ يجتمع فيه نصارى بغداد ، ومن يضاف اليهم من أهل اللهو ومحبي التنزه فيقيمون فيه أياما يقضونها بالتنزه في بساتينه ومزارعه ويتسلون بمنظر النصارى المجتمعين وبطريقة تعييدهم[١٠٢] . وقد ضل هذا الدير عامرا في عهد الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)[١٠٣] الا انه اندثر في عهد ابن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)[١٠٤] .

وكان يحتفل بصوم العذارى بدير العذارى ويقع بقطيعة النصارى على نهر الدجاج في الجانب الغربي من بغداد[١٠٥] . وكان ديرا للرواهب السريانيات[١٠٦] . واما الاحتفال به فكان قبل حلول الصوم الكبير . ويكون الصوم فيه لمدة ثلاثة ايام فاذا انتهت اجتمعوا فيه واقاموا شعائرهم الدينية[١٠٧] . وقد بقي هذا الدير الى ما بعد القرن الخامس الهجري[١٠٨]

ويحتفل بدير اشموني عند حلول عيد القديسة اشموني وقد اختلف في تأريخ الاحتفال به فجعله الشابشتي في اليوم الثالث من تشرين الاول[١٠٩] ، وجعله البيروني في الخامس عشر منه[١١٠] . وكان موضع هذا الدير في منطقة قطربل في الجانب الغربي من بغداد . اما الاحتفال بهذا الدير فمن الاشياء البهيجة المعروفة عند أهل بغداد . اذ كانوا يجتمعون

---

(١٠٢) الشابشتي : ٣ .
(١٠٣) معجم البلدان ٢ : ٦٦٠ .
(١٠٤) مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ١ : ٤٢٩ .
(١٠٥) الشابشتي : ٧٠ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٧٩ .
(١٠٦) الشابشتي : ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
(١٠٧) ن٠م : ٧٠ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٧٩ واما عن السبب الذي من أجله اتخذ هذا الصوم فلتراجع البيروني : الآثار : ٣١٤ والحموي في معجم البلدان ٢ : ٦٧٩ .
(١٠٨) بابو اسحاق : أحوال : ١١٥ .
(١٠٩) الشابشتي : ٣٠ .
(١١٠) الآثار : ٣٠٠ .

فيه عند حلول العيد كاجتماعهم في الاعياد الاسلامية . وكانوا يذهبون اليه اما عن طريق البر أو عن طريق نهر دجلة لذلك تراهم يركبون السفن المختلفة كالطيارات والزبازب والسميريات . وهم لابسين ملابسهم الجميلة . فاذا وصلوا الى الدير انتشروا هناك فبعضهم يعكف على الشرب داخل حاناته وبعضهم الآخر ينتشر في الحقول المحيطة به . وكان الموسرون من الناس يجلبون معهم الخيم ليقيموها هناك . فكل منهم كان مشغولا بأمره[١١١] . فاذا كثر الزحام وضاق بالناس الموضع مالوا الى دير قريب منه اسمه دير الجرجوت . وكان هذا الدير محاطاً بالحقول والبساتين أيضا[١١٢] . وقد زال دير اشموني على أثر مجيء المغول الى بغداد[١١٣] .

ويقام عيد الفصح بدير سمالو ويقع بالجانب الشرقي من بغداد بباب الشماسية على نهر المهدي . وكانت تحيط به البساتين والمزارع . وهناك ارحية للماء ، ولهذا كان يعد من منتزهات بغداد المشهورة فاذا ما حل العيد فيه ازدحم بالناس سواء كانوا من النصارى أو من المسلمين[١١٤] . ويبدو انه قد تهدم في القرن الثامن الهجري[١١٥] .

اما عيد الصليب فكان يقام بدير قنّى ويقع هذا الدير على بعد ستة عشر فرسخا[١١٦] من بغداد في الجانب الشرقي منها ، بينه وبين دجلة

---

(١١١) الشابشتي : ٣٠ البيروني : الآثار : ٣١٠ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٤٣ .

(١١٢) العمري ١ : ٢٧٨ .

(١١٣) بابو اسحاق : أحوال : ١١٨ .

(١١٤) الشابشتي : ٩ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٧٠ .

(١١٥) ابن عبدالحق ١ : ٤٣٢ .

(١١٦) الفرسخ : ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع ، فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع . الحموي : معجم البلدان ١ : ٣٨ .

ميل ونصف وكان يخترقه نهر جار ولهذا أصبحت تحيط بـه البساتين الحاوية على أنواع الثمار والمزدانة بالنخل والزيتون • وقد امتاز هـذا الدير بكثرة صوامعه (قلاياته) التي كانت تفصل الواحدة عن الاخرى المزارع والبساتين ولهذا فما ان يحل عيده في اليوم الرابع عشر من ايلول في كل سنة حتى يذهب اليه النصارى وعامة بغداد من المسلمين للتنزه والفرجة[١١٧] •

وعلاوة على هذه الاعياد التي كانت تقام في الاديرة والتي يقصدها طلاب التنزه والراحة فقد وصفت لنا كثير من الاديرة ببغداد التي اتخذتها العامة وغيرهم من الناس ـ اماكن للتنزه ـ مثل دير مار جرجيس[١١٨] ، ودير سابر[١١٩] ، ودير الجاثليق[١٢٠] ، ودير العلث[١٢١] ، ودير قوطا[١٢٢] ، ودير الثعالب[١٢٣] ، ودير الروم[١٢٤] ، ودير مديان[١٢٥] ،

---

(١١٧) الشابشتي : ١٧١ ، الحموي : معجم البلدان ١ : ٧٣٩ ، ٢ : ٦٧٦ ، ٦٨٧ ، ٧٠٠ ، ٣ : ٦٣٢ ، ٤ : ١٧٨ ، ٨٤٦ ، العمـري ١ : ٢٥٦ •

(١١٨) الشابشتي : ٤٥ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٦٧ ، العمري ١ : ٢٨١ •

(١١٩) الشابشتي : ٣٥ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٦٦ •

(١٢٠) الشابشتي : ١٨ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٥٠ ، ٤ : ٥٢٩ •

(١٢١) الشابشتي : ٦٢ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٨١ •

(١٢٢) الشابشتي : ٤١ ، الحموي : معجم البلدان : ٢ : ٦٨٩ ، العمري ١ : ٢٨٠ •

(١٢٣) الشابشتي : ١٦ ، البيروني : الآثـار : ٣١٠ سـبط ابن التعاويذي : الديوان : ٥٢ الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٥٠ ، العمري ١ : ٢٧٧ •

(١٢٤) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٦٢ حوادث ٤٠٣هـ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦١٦ ، ٦٦٢ ، العمري ١ : ٢٧٢ •

(١٢٥) الشابشتي : ٢١ ، الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٩٥ • العمري ١ : ٢٧٧ •

ودير العاقول[١٢٦] •

ان هذه الاعياد النصرانية وان كانت خاصة بالنصارى ، الا ان عامة بغداد كانت تحضرها للفرجة والمشاركة • وهذا ما دعا آدم متز الى ان يقول مبالغا بان « أعياد أهل بغداد تكاد تكون نصرانية من كل وجه »[١٢٧] •

ج ـ اما المناسبات التي كانت تفرح بها العامة بغض النظر عن الاعياد فكانت مختلفة النوعية كثيرة العدد • منها حدوث أمور سياسية تتعلق بالخليفة كعودة القائم من حديثة سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م الى مقر حكمه ببغداد بعد ان ابعده البساسيري عنها سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨[١٢٨] ، فلما وصل الى بغداد كان وصوله مناسبة مفرحة لعامة بغداد ، حيث احتفلت الحكومة بذلك اليوم فضربت الطبول والبوقات وخرج النفاطون[١٢٩] وهم يحملون المشاعل • وخرج الناس نساء ورجالا الى الشوارع للفرجة فكان بعضهم يرقص وبعضهم يغني وآخرون يضربون بالدفوف[١٣٠] • وفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٧٥م شفي الامير عدةالدين أبو القاسم ولي العهد من مرض الم به • فكان يوم اعلان شفائه قد اثلج صدور العوام فخرجوا الى دار الخلافة داعين الله شاكرين له • اذ كان خوفهم على الامير شديدا لانه الوارث الوحيد للخلافة[١٣١] • وفي سنة ٥٥٤هـ/١٠٥٩م احتفلت الحكومة

---

(١٢٦) الشابشتي : ١٧١ ، ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٠٣ حوادث ٤٩٠هـ ، ٢٠٢ حوادث ٥١٢هـ الحموي : معجم البلدان ١ : ٧٨٨ ، ٢ : ٢٦٦ ، ٦٧٦ ، ٦٨٧ •

(١٢٧) الحضارة الاسلامية ٢ : ٤٧٦ •

(١٢٨) البساسيري ضابط تركي كان في الجيش العباسي الا انه ثار ضد الخليفة أنظر الفصل الخامس •

(١٢٩) جماعة يشتغلون في دار الخلافة مهمتهم حمل المشاعل •

(١٣٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢١١ •

(١٣١) ن•م : ٢٤٠ •

احتفالا رسميا لشفاء الخليفة المقتفي لأمرالله من مرض اصابه فغلقت الاسواق لمدة أسبوع ، وفرقت الصدقات من الخليفة وكبار رجال الدولة ، فكانت مناسبة طيبة افرحت العامة[١٣٢] .

ومن المناسبات المفرحة الاخرى حدوث الانتصارات العسكرية ضد البيزنطيين كما حدث عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م على اثر انتصار السلطان ألب ارسلان على البيزنطيين في معركة ملا زكرت المشهورة ، فما ان ورد الخبر الى بغداد حتى ضربت الطبول والبوقات وقرئت كتب الفتح[١٣٣] ، ثم في سنة ٤٧٩هـ/١٠٦٨م جاء رسول السلطان ليبشر الخليفة باحتلال حلب وانطاكية والرها وقلعة جعبر وطرف من بلاد الروم فخرج لاستقبال الرسول موكب ضم كبار رجال الدولة ، وكان يرافق هذا الموكب القراء والطبول والبوقات[١٣٤] . والى جانب هذه الانتصارات على البيزنطيين كانت هناك انتصارات للخليفة ضد السلطان ، فرحت بها العامة . اذ كانت بمثابة انتصار وطني ضد سلطة أجنبية كما حدث عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م عندما وصل الخبر الى بغداد يبشر بموت السلطان مسعود ، فعلى اثره جهز الخليفة جيشا فاخضع واسطا والكوفة والحلة وجعلها تابعة مباشرة . فلما عاد الجيش الى بغداد ، احتفلت الحكومة لمدة أسبوع وعلقت لذلك الزينة . ولاشك ان احتفالا رسميا كهذا مما يثير خيال العوام ويبعث فيهم النشوة . لقد صادف في هذا الوقت ان خطب لولي العهد على المنابر ، فاعيد تعليق الزينة بغداد . وساهمت العامة في هذا الاحتفال مساهمة فعالة ، فصنع بعضهم قبا تدور وعليها تصاوير أشخاص وحيوانات وأثمار . وأقام آخرون فوق قبة وهم يغنون ويرقصون . ومن جملة مساهمة العامة ما صنعه أهل محلة باب الازج حيث نصبوا أربعة رحى تدور وتطحن

---

(١٣٢) ابن الاثير ١١ : ١٠٢ .
(١٣٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٦٤ .
(١٣٤) ن٠م ٩ : ٢٨ .

الدقيق ، من دون ان يعرف أحد كيف كانت تدور • وعمل الملاحون سميرية تسير على عجل • وكانت بقية العامة منطلقين بين لاعب ومتفرج[١٣٥] •

وفي سنة **٥٥٢**هـ/**١٠٥٧**م على أثر اندحار السلطان محمد شاه الذي كان محاصرا بغداد ، خرج العامة يلعبون في نهر عيسى وغيره بأنواع اللعب والمضحكات فرحا بالسلامة • وظهر في هذه المناسبة جماعة وصفوا بانهم العضامية علاوة على القرع والصبيان وكانوا قد اتخذوا زرديات من بعر الغنم وسلاحا (من الفارسي)[١٣٦] ، واخرجوا طبلا وبوقا ، ونصبوا خشبا وصلبوا جماعة تحت آباطهم وهم يلعبون ويضحكون[١٣٧] •

ومن جملة هذه المناسبات بناء الاسوار ، وهذه الاسوار اما ان تكون للمحال أو أسوار لبغداد • اما أسوار المحال فكانت تبنى من أجل حماية سكان المحلة من اعتداء المحال الاخرى بدافع التعصب الطائفي أو الاجتماعي أو بدافع التحدي بين أهل المحال •ويكون وقت بنائها مناسبة تتبارى فيها المحال من حيث اعلان فرحتها ، كما حدث عام **٤٤١**هـ/**١٠٤٩**م عندما نقض أهل الكرخ سوق الانماط ودكاكينها وبنوا بآجرها سورا يحصنون به الكرخ ويقطعون ما بينه وبين محلة القلائين • فلما رأى ذلك أهل القلائين وبقية المحال المجاورة شرعوا في بناء سور يحيط بالقلائين • وفي أثناء ذلك جاءوا بسفينة تسير على عجل ليحملوا فيها الآجر ، وكان ملاحوها قد لبسوا الاقبية الديباج والعمائم القصب • فلما رأى أهل محلة الكرخ ذلك عمدوا الى لبس الملابس الغالية أيضا واحضروا الطبول والمزامير والمخانيث ومعهم آلات المحاكات (التمثيل) التي يستخدمونها في ألعابهم •

---

(١٣٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٤٨ ٠
(١٣٦) كذا في الاصل ، ويبدو انه « القصب الفارسي » ٠
(١٣٧) م٠س ٨ : ١٤٠ ٠

وهكذا استمرت مظاهر الزينة والفرح حتى بنوا هذه الاسوار[١٣٨] .

ومن الطريف ان يذكر في هذه المناسبة ما حدث في عام **٤٨١**هـ/**١٠٨٨**م عندما شرع أهل باب البصرة بناء القنطرة الجديدة[١٣٩] في شهر صفر من السنة المذكورة حيث نقلوا الآجر في أطباق من الذهب والفضة . وكانت البوقات والطبول تضرب طيلة الوقت[١٤٠] .

واما الاسوار التي كانت تبنيها الحكومة فكانت الفرحة بها اعم واشمل كما حدث عام **٤٨٨**هـ/**١٠٩٥**م عندما بنت الحكومة سورا على الحريم[١٤١] . اذ خرجت العامة لتساهم في بناء هذا السور وهي تحمل الاعلام والبوقات وتضرب الطبول ، ومعهم أنواع الملاهي (من الحكايات والخيالات)[١٤٢] وفي غمرة هذه المناسبة عمل أهل محلة باب المراتب فيلا من البواري المقيرة وتحته قوم يسيرون به ثم عملوا زرافة أيضا . وصنع أهل محلة قصر عيسى سميرية كبيرة وقد جلس فيها الملاحون يجذفون ، وهي تسير والعوام يشيعونها بالاهازيج الشعبية . وعمل أهل محلة سوق يحيى ناعورا ساروا به خلال الشوارع وهو يدور بشكل يشبه الناعور المستعمل في ارواء المزارع . وعمل أهل محلة سوق المدرسة قلعة من الخشب تسير على عجل وفيها غلمان يضربون بقسي البندق والنشاب . واخرج قوم بئرا على عجل وفيها حائك ينسج . وكذلك عمل

---

(١٣٨) م٠س ٩ : ٤٣ .

(١٣٩) تقع باب البصرة والقنطرة الجديدة في الجانب الغربي من بغداد ـ الحموي : معجم البلدان ٣ : ٦١٤ ، ٤ : ١٨٨ .

(١٤٠) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٨٥ ، مجهول : مناقب بغداد : ١٧ .

(١٤١) وهو حريم دار الخلافة ، ويقع في الجانب الشرقي ـ الحموي : معجم البلدان ٢ : ٢٢٥ .

(١٤٢) هي الادوات المستعملة في التمثيل والاضحاك .

السقلاطونيون[١٤٣] • اما الخبازون فقد جاءوا بتنور يسحبونه وهو يسير خلفهم ، وكانوا خلال سيرهم يخبزون ويرمون خبزهم للناس المتفرجين على جانبي الطرق[١٤٤] •

ثم جدد بناء السور في عهد الخليفة المسترشد سنة **٥١٧هـ/١١٢٣م** وأذن للناس في الخروج للفرجة والمشاركة في البناء فخرجوا على تلك القاعدة • وكان أهل المحال يتناوبون فيما بينهم لبناء السور ، فكل محلة تعمل فيه لمدة أسبوع • وفي خلال ذلك كان الضرب بالبوقات والعزف بالجنك[١٤٥] مستمرا[١٤٦] •

وكان زواج الخليفة أو السلطان من المناسبات المهمة أيضا لدى العامة ففي سنة **٤٥٥هـ/١٠٦٣م** عندما زفت ابنة الخليفة الى السلطان طغرلبك بدار المملكة ، احتفلت الحكومة في ذلك اليوم ففرشت البسط ما بين دجلة ودار المملكة وضربت الطبول • وأخذ الجند والخدم يرقصون فرحا بدار المملكة ، ولاشك ان بقية العامة شاركوا الجند والخدم

---

(١٤٣) وهم صانعو السقلاطون ، وهو نسيج من الحرير موشى بالذهب وقد اشتهرت بغداد بصنعه • الثعالبي : لطائف المعارف : ٢٣٥ ، الجواليقي : المعرب : ١٨٤ ، الدمشقي : ٢٥ •

(١٤٤) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٨٥ ، مجهول : مناقب بغداد : ١٧ •

(١٤٥) آلة من آلات الطرب تشبه العود

(Lane (F.W.) : جنك Arabic English Lexicon. Vol. II. P. 472

ولزيادة المعلومات أنظر

(Putherford (Kenneth) : Gong-Grov's Didionary of Music and Musicians. Vol. III. P. 709.)

(١٤٦) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٤٥ ، مجهول : مناقب بغداد : ١٧ •

أفراحهم بتلك المناسبة[147] .

وفي سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م دخلت بغداد السيدة ارسلان خاتون زوجة الخليفة القائم ، فاهتبل العوام هذه الفرصة وخرجوا للفرجة أيضا[148] .

وعندما عقد للامير عدة الدين ولي العهد على ابنة السلطان في سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م في دار المملكة ، سار موكب فيه فيلة مزينة . وخيل مطهمة . وعندما خرج العوام للفرجة كعادتهم ، نثرت عليهم النقود[149] .

اما زواج الخليفة المقتدي من خاتون بنت السلطان ملك شاه في سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م فكان من المناسبات التي لابد وان أصبحت مادة للحديث والسمر لا ينضب معينها الى أجيال . حيث نقل جهاز العرس على ١٣٠ جملا تسير معهم البوقات والطبول والخدم ونحو ٣٠٠٠ فارس وكان النثار مستمرا ما دام الموكب سائرا[150] .

وعندما زفت ابنة السلطان ملك شاه الى الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧هـ ـ ٥١٢هـ/١٠٩٤ ـ ١١١٨م) في سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م زينت بغداد ونصبت فيها القباب وغلقت الاسواق . وكان جهازها قد حمل على ١٦٢ جملا و٢٧ بغلا ولهذا قيل « تشاغل الناس بالفرح »[151] .

ومن المناسبات الاخرى التي كانت العامة تغتنم فرصة حلولها ، لتفرح وتسر بها ، مجيء مولود جديد للخليفة ، أو أحد الامراء . كما حدث سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م عندما ولد للامير عدة الدين ولد . فعلقت العوام

---

(١٤٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٢٩ .

(١٤٨) ن٠م : ٢٤٤ .

(١٤٩) ن٠م : ٢٧٣ .

(١٥٠) ن٠م ٩ : ٣٦ .

(١٥١) ن٠م : ١٦٥ .

الزينة ونصبوا القباب[١٥٢] . وابتهجت العامة مرة أخرى سنة **٤٧٨**هـ/ **١٠٨٥**م عندما رزق الخليفة المقتدي ولدا ، فضربت الطبول والبوقات ووزعت الصدقات على الفقراء[١٥٣] .

وعندما رزق الخليفة المقتدي ولداً في سنة **٤٨٠**هـ/**١٠٨٧**م احتفلت الحكومة احتفالا رسميا فجلس الوزير للتهنئة بباب الفردوس[١٥٤] ، وساهمت العامة في هذا الاحتفال . فنصبت القباب وأخذ الصناع والباعة يزينون أسواقهم ، ففي سوق الصيارفة علقوا أواني الذهب والفضة والجواهر ، وفي سوق الكافوريين عمل الكافوريون تماثيل من كافور وعلقوها مزينين بذلك أسواقهم . وسير الملاحون سفينة على عجل ، وجاء الطحانون بارحاء تطحن على الارض[١٥٥] .

واحتفل عامة بغداد مدة سبعة أيام عندما رزقت زوجة السلطان مسعود ولداً ذكراً اذ علقت الزينة ببغداد واستمر العامة طيلة سبعة أيام وهم في لعب وفرح[١٥٦] .

وآخر هذه المناسبات التي احتفلت بها عامة بغداد ختان أولاد الخليفة وأولاد اخته في سنة **٥١٧**هـ/**١١٢٣**م وقد كانوا اثنى عشر ولدا فعلقت الزينة ببغداد ونصبت أنواع كثيرة من القباب وعليها الجواهر والثياب والديباج وقد كتب عليها اسم الخليفة . وقد لبس الناس احتفاء بهذه المناسبة أغلى ثيابهم وتجملوا بالحلي والجواهر طيلة أيام الاحتفال التي

---

(١٥٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٥٤ .
(١٥٣) ن.م ٩ : ١٤ .
(١٥٤) وهو أحد دور الخلافة ببغداد . في الجانب الشرقي منها ـ الحموي : معجم البلدان ٣ : ٨٧١ ، ٤ : ٨٤٦ .
(١٥٥) م.س : ٣٨ .
(١٥٦) م.س ١٠ : ١٠٣ .

استمرت سبعة أيام[157] .

ان الذي يتجلى من خلال احتفالات العامة ، ثلاثة دوافع خفية كانت حافزا للعامة لتعلن فرحتها بتلك المناسبات اولها شعور وطني تمثل بالاحتفالات لدى رجوع الخليفة الى بغداد من المحل الذي نفي اليه . وظهر مرة أخرى عند انتصارات الخليفة على السلاطين السلاجقة . وثانيها شعور اسلامي تجلى في الاحتفالات التي اقيمت على أثر انتصار السلاطين السلاجقة على البيزنطيين . وثالثهما شعور بالسعادة ظهر في بقية المناسبات لما يحدث فيها من أمور مفرحة للعامة كنثر الدراهم أو توزيع الاطعمة والملابس .

---

(١٥٧) م٠س ٩ : ٢٤٥ .

٢ ـ وسائل التسلية وملء الفراغ :

أ ـ المجالس

(١) المجالس الخاصة

وهذه المجالس تكون بين الاصدقاء ، أو الاشخاص الذين تربطهم روابط المهنة الواحدة . وتكون مادة حديثهم اما عن أمور عامة ، أو أمور تتعلق بمهنتهم . فكان الحائك يتكلم عن عمله فيكون محور كلامه عن الثياب التي قطعها ، وعن نوعيتها وشكلها وما سيقوم به غدا . والحجام يتكلم عن عدد الذين حجمهم ، ومقدار ما أعطاه كل منهم ، ثم يصف من كان من هؤلاء بخيلا أو كريما . والمكاري يتكلم عن الكراء ومقدار دخله لذلك اليوم . ثم يعرج على ذكر ما يحتاجه حماره من الطعام ، وعن سعر الشعير . والخياط يتحف جلاسه بالكلام عن الذين خاط لهم في ذلك اليوم ، وعن نوعية القماش الذي اشتروه منه . واما الدلال فانه يخبر جلاسه عما قام به من بيع الدور أو الجواري ، ومقدار أسعارهن وذكر أسماء اوليائهن ، وقد يتعرض لوصف هاتيك الجواري التي باعهن[١٥٨] .

وكذلك الامر بالنسبة لذوي المهن الاخرى كالعطارين والصرافين والبزازين والانماطيين والدقاقين في مجالسهم الخاصة[١٥٩] .

وأظن ان للقصص الشعبي مكانا في هذه المجالس أيضا . خاصة وانها كانت منتشرة في المجتمع البغدادي منذ عهد مبكر حيث كان الكتاب العرب قد ترجموا القصص من اللغات الاجنبية ، وخاصة الفارسية .

---

(١٥٨) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٢ .

(١٥٩) ن.م : ٤٢ ، ٤٣ ، ٨٢ .

اضافة الى ان بعض هؤلاء الكتاب قد كتبوا الاسمار والقصص[١٦٠] .
ويذكر آدم متز ان القصص الاجنبية المترجمة الى العربية كانت قد بدأت في الظهور منذ القرن الثالث الهجري ، كحكايات ألف ليلة وليلة (أو هزار افسانة) . اما قبل القرن الثالث فقد كانت قصص الاسرائيليات وقصص البحريين ، وقصص الفروسية ، وقصص النوادر ، والقصص الغرامية التي كانت أكثر شيوعا من غيرها[١٦١] .

ويجب ان لا يغيب عن البال ان مجالس السمر كانت تراثا شعبيا عربيا أصيلا حافظ عليه العرب بعد سكناهم العراق سواء في الكوفة أو البصرة أو بغداد[١٦٢] .

والعامة وان كانت لهم مجالسهم الخاصة بهم الا انه قد يكون لبعضهم علاقة بشكل من الاشكال بأحد الاشخاص البارزين في المجتمع كأن يكون أحد العلماء فيذهب الى داره ويحضر مجالسه الخاصة[١٦٣] . أو ان يكون له صلة بوزير فيحضر مجالسه[١٦٤] ولكن هذه حالات نادرة الوقوع .

ولما كانت المجالس من التراث الموروث لذلك أصبحت لها مراسيم خاصة وان كانت هذه المراسيم يغفل تطبيقها الاصدقاء في مجالسهم الخاصة الا ان معرفتها كانت مهمة للعامة فيما اذا أرادوا مجالسة اناس غرباء عنهم . أو اناس لا تربطهم بهم سوى معرفة بسيطة . ومن هذه المراسيم والآداب ان يستمع الجليس الى محدثه مظهرا التلذذ به والا يصرف بصره بعيدا عنه ، والا يقطع حديثه الا اذا اضطره الوقت وفي هذه الحالة عليه ان

---

(١٦٠) ابن النديم : الفهرست : ٤٣٦ ـ ٤٤٠ .
(١٦١) الحضارة الاسلامية ١ : ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .
(١٦٢) الطبري : س ٢ مج ١ ص ٥٣٣ ، والاصفهاني : الاغاني ط التقدم ٢ : ١٢٠ ، ٧ : ١٧٥ ، ١٢ : ٩٣ ، ١٤ : ٤٩ ، ١٧ : ٥٤ ، ٢٠ : ١٦٩ .

يطلب عذره[١٦٥] • والا يقعد في صدر المجلس ـ اذ القعود في صدر المجلس قعود مغن أو مخرف ـ وعلى الجليس ان يختار موضعا جانبيا حتى يسهل عليه القيام دون خجل اذا ما أراد قضاء حاجة[١٦٦] • واذا جلسوا للشراب فيجب ان يكون عددهم أكثر من اثنين • اذ ان جلوس الاثنين للشراب مكروه عندهم وهو ما يسمونه ب (المنشار) لان المنشار يجلس عليه رجلان وسبب ذلك ان الاثنين اذا جلسا للمنادمة فاضطر احدهما للقيام لبعض حاجته بقي الآخر وحده واجما • لذلك اعتبروا جلوس الثلاثة أتم مجلس[١٦٧] •

(٢) المجالس العامة :

وهذه المجالس على ثلاثة أنواع هي مجالس الغناء ومجالس الوعظ ومجالس القصص •

أ ـ مجالس الغناء :

وهذه المجالس تحضرها العامة وغايتها اللهو وسماع الغناء والموسيقى[١٦٨] ومشاهدة الرقص الذي يجري بها من قبل الجواري أو المخانيث[١٦٩] • وكانت العامة مولعة بهذا اللون من المجالس لذلك كانت تحضرها وتسر بها وتطرب وتصفق استحسانا للمغني أو المغنية[١٧٠] •

---

(١٦٣) ابن الجوزي : تنبيه الغمر على مواسم العمر ـ ضمن كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية : ٦٥ •

(١٦٤) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٩١ •

(١٦٥) السلمي : آداب : ٨٥ •

(١٦٦) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٨٩ •

(١٦٧) كشاجم : آداب النديم : ١٨ •

(١٦٨) ابن الجوزي : تلبيس : ٢١٨ ، ٣٨٢ •

(١٦٩) ابن المعمار : الفتوة : ١٧٦ ، ابن خلدون : المقدمة : ٧٦٦ •

(١٧٠) م•س : ٢٤٩ •

وكانت للغناء أصول استقرت منذ العصر العباسي الاول وأصبح للموسيقى قواعد معروفة ومدارس متبعة[١٧١] • وقد ألف كثير من الناس في الغناء والموسيقى[١٧٢] • لذلك كان اهتمام العامة بمجالس الغناء وحضورها شيئا مألوفا وتراثا موروثا • الا ان الملاحظ في القرن الخامس الهجري انه لم ينجب مغنيات أو مغنين لا معين كما حدث بالنسبة للعهود العباسية السالفة[١٧٣] • ويرجع فارمر سبب ذلك الى عدم ظهور (مؤرخين

---

(١٧١) الاصفهاني : الاغاني ١ : ٤ ، ٥ ، ١٠ : ٦٩ ، ٩٦ ط دار الكتب •

(١٧٢) امثال ابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م) واسم كتابه (الاغاني) ـ ابن النديم : ١٧٤ ، الاصفهاني : الاغاني ٨ : ٣٦٢ • واسحاق الموصلي (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م) وله عدة كتب في الغناء والمغنين ـ ابن النديم : ٢٠٨ والكندي يعقوب بن يوسف (ت حوالي ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ـ القطفي : تاريخ : ٣٧٠ وأبي طالب المفضل بن سلمة النحوي (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م) وقد نشر أحد كتبه المسمى ب (كتاب الملاهي وأسمائها) عباس العزاوي ضمن كتابه الموسيقى العراقية ط شركة التجارة ١٩٥١ • وابن خرداذبة (ت حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م) وقد نشر كتابه المسمى (مختار من كتاب اللهو والملاهي) نشره الاب اغناطيوس عبدة خليفة اليسوعي ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦١ ويحيى بن علي بن يحيى المنجم (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) وقد نشر أحد كتبه المسمى ب (كتاب النغم) محمد بهجة الاثري في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ من السنة الاولى ١٩٥٠ واخوان الصفاء : الرسائل ١ : ١٨٣ ـ ٢٤١ ، وابن سينا (٣٧٥ ـ ٤٢٨هـ/٩٨٥ ـ ١٠٣٦م) القفطي : تاريخ : ٤١٣ •

(١٧٣) كما في عهد الرشيد وابنائه (١٧٠ ـ ٢٢٧هـ/٧٨٦ ـ ٨٤١م) ـ الاصفهاني : الاغاني ٥ : ١٧٣ ، ٢١٥ ، ١٠ : ١١٢ ـ ١١٤ ، ١٣٨ ط دار الكتب وفي عهد المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/٨٤٦ ـ ٨٦١م) ـ الشابشتي : ٩٨ وفي عهد المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/٨٦٦ ـ ٨٦٨م) ـ ابن الزبير : الذخائر : ١١٧ ، وفي عهد المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/٨٦٩ ـ ٨٩٢م) ـ المسعودي : مروج ٨ : ٩٧ ، ١٠٠ كما انه قد احصيت المغنيات في سنة ٣٠٦هـ/٨١٩م فبلغن ٤٦٠ جارية في جانبي بغداد و١٠ حرائر =

موسيقيين) على حد تعبيره في قوة الاصفهاني مؤلف كتاب الاغاني ليسجل لنا أخبار المغنين والمغنيات ويشرح لنا مجالس الطرب وسبب آخر يراه هو ان هجوم الحنابلة المتكرر على دور المغنيات والمغنين ساعد على الاقلال من وجود هذا النوع من الادب (أي التأليف في الموسيقى والغناء) الذي يتناول اناسا جعلوا الملاهي حرفتهم[(١٧٤)] .

ويبدو من الاخبار الواردة ان مجالس الغناء كانت عامرة رغم هجمات الحنابلة المتكررة[(١٧٥)] واقبال العوام عليها شديد[(١٧٦)] . وبالرغم من ان بعض الفقهاء كانوا لا يقبلون شهادة المغني . والرقاص[(١٧٧)] . الا ان بعضهم الآخر كان يحضر مجالس الغناء[(١٧٨)] وكانت العامة تحضر هذه المجالس لسماع الغناء والتفرج على ما يجري فيها من رقص وحركات

و٧٥ من الصبيان ـ الازدي : حكاية : ٨٧ وكانت هذه الاحصائية للمغنيات الظاهرات المعروفات لدى الناس اما اللاتي كن يغنين خفية فانهن لم يتوصل الى معرفة عددهن ـ الازدي : ٨٧ .

(١٧٤) تاريخ الموسيقى العربية ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(١٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦٢ حوادث ٤٤٧هـ ، ١٩٠ حوادث ٤٥٠هـ ، ٣٥٤ حوادث ٤٥٦هـ ، ٢٧٢ حوادث ٤٦٤هـ ، ٣٢٦ حوادث ٤٧٣هـ ، ٩ : ١٧ حوادث ٤٧٨هـ اذ ان الحنابلة في هذه الهجمات كانوا يدخلون دور المغنيات والمغنين (كما اشرنا اليه أعلاه) فيكسرون آلاتهم ويريقون خمورهم ويطاردونهم في الشوارع .

(١٧٦) ابن الجوزي : الياقوتة في الوعظ ـ جاء ملحقا لكتاب رونق المجالس للنيسابوري : ٧٧ .

(١٧٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٢٢٣ .

(١٧٨) لقد اورد الخطيب البغدادي عن أحد رجال الحديث المسمى بأبي بكر المقري ـ (ت ٣٢٤هـ) انه حضر مجلسا وغنى فيه مغن فلم ينكر عليه ذلك ـ تاريخ ٥ : ١٤٧ وأورد ابن النجار عن عفيف بن عبدالله الحبشي المحدث (ت ٤٨٤هـ/١٠٩١م) انه كان يجلس بجانب المغنية المعروفة باسم (باغي) وانه كان يطلب منها ان تغنيه أبياتا يذكرها لها ـ ذيل تاريخ بغداد ـ خط ورقة ١٤١ (ب) .

ـ نسميها في هـذه الايام بالتمثيليات ـ يقوم بهـا (المصور والمحاكي) لاضحاك الناس[١٧٩] • اضافة الى رقص الرقاص أو الرقاصة[١٨٠] •

والرقص كالغناء من حيث اصالته في المجتمع البغدادي فقد وردتنا عن الجواري في عهد الامين انهن كن قد اخترعن آلة خاصـة للرقص وهذه الآلة تسمى بـ (الكرّج) وهي تماثيل خيل مسرجة من الخيش معلقة بأطراف أقبية تلبسها الجواري ، ويحاكين بها امتطاء الخيل من كر واغارة[١٨١] • وذكر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ان امثال هذه الرقصات كانت تقدم في الولائم والاعراس وأيام الاعياد ومجالس الفراغ واللهو وانها انتقلت من بغداد وامصار العراق الى الاقطار الاخرى[١٨٢] •

وفي مجالس الغناء هذه ـ التي يتخللها الرقص أحيانا ـ كان لابد من وجود عازفين يصاحبون المغني أو المغنية أثناء الغناء ويستثيرون همم الرقاصات والرقاصين • ولم يكـن هؤلاء العازفون من الرجـال فقط بل كانوا من النساء أيضا وكانت كل واحدة منهن تشتهر أو تسمى باسـم الآلة التي تعزف عليهـا كالطبـالة والصناجة والعـوادة والزامرة[١٨٣] والطنبورية[١٨٤] •

اما الآلات الموسيقية المعروفة فهي الدف[١٨٥] ، والناي والطبل[١٨٦] ،

---

(١٧٩) ابن المعمار : الفتوة : ١٧٦ •

(١٨٠) الازدي : ١٥ ، ٥٠ •

(١٨١) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ٩٧١ •

(١٨٢) المقدمة : ٧٦٦ •

(١٨٣) الازدي : ٥٠ ، الخوارزمي : ١٣٦ •

(١٨٤) الوشاء : ٧٩ •

(١٨٥) وقد اشتهر من أنواعه سبعة هي : المربع والمستدير والمستدير ذو الاوتار والمستدير ذو الصنوج الرنانة والمستدير ذو الجلاجل الرنانة والمستدير ذو الاجراس الصغيرة والمستدير ذو الاوتار والادوات الرنانة ـ فارمر : الدف ـ دائرة المعارف الاسلامية ٩ : ٢٤٥ ـ ٢٥٠ •

(١٨٦) الازدي : ١٥ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٥ : ٢٠ ابن الجوزي : المدهش : ٢٣٢ وتلبيس له : ٢١٨ ، ٢٣٧ •

والعود[187] ، والطنبور[188] ، وقد اشتهر من أنواعه الطنبور الميزاني والبغدادي [189] والمعزفة[190] والمزمار[191] والشهروذ[192] والبربط[193] والرباب ، والجرافة[194] ، والجنك[195] ، والسرناي[196] ، والقضيب[197] ٠

---

(١٨٧) الوشاء : ٧٩ ، ابن الجوزي : المدهش : ٢٦٢ وأنظر عن صناعة العود اخوان الصفا : الرسائل ١ : ٢٠٢ وما بعدها ٠ وعن أجزاء العود واسم كل منها أنظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مج ٥ : ١٦٧ ، ١٦٨ لسنة ١٩٤٨ ٠

(١٨٨) ابن الجوزي : الاذكياء : ٧٠ وتلبيس : ٢٣٧ ، ان الطنبور يشبه العود من حيث كونه ذا أوتار تشبه أوتار العود الا ان رقبته أطول من رقبة العود ـ من مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجلة المجمع مج ٥ : ٦٤ السنة ١٩٤٨ ٠

(١٨٩) الخوارزمي : ١٣٦ ٠

(١٩٠) الخوارزمي : ١٣٦ ، الشيزري : ١٠٩ ، ابن الجوزي : تلبيس : ٢٣٧ ٠ والمعزفة : آلة من آلات الطرب ـ الوشاء : ١٩١ وقيل المعازف : اسم يجمع العود والطنبور وما أشبهها ـ ابن سيدة : المخصص ١٣ : ١٢ ٠

(١٩١) نفس المصادر ٠ والمزمار يصنع من القصب ويثقب جانبه ـ ابن سيدة : المخصص ١٣ : ١٤ ، وأنظر عن اجزاء المزمار واسم كل جزء منها مجلة اللغة العربية مج ٥ : ١٦٦ ـ ١٦٧ لسنة ١٩٤٨ ٠

(١٩٢) وهي آلة محدثة ابتدعها ابن احوص السغدي البغدادي سنة ٣٠٠هـ ـ الخوارزمي : ١٣٦ ٠

(١٩٣) وهو العود ـ الخوارزمي : ١٣٦ ، الشيزري : ١٠٩ ٠

(١٦٤) لم نعثر على شرح لها فيما تيسر لنا من المعاجم ٠

(١٩٥) لقد مر شرح هذه الكلمة ٠

(١٩٦) وجمعها سرنايات ـ اخوان الصفا ١ : ٢٠٢ وهي الصفارة ـ تيمور باشا : الموسوعة : ٢٠٣ وهي صنف من المزامير غير انها احد تمديدا من سائر أصنافها ـ محفوظ معجم الموسيقى العربية : ٣٦ ٠

(١٩٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٢٣٧ ويرجع تيمور باشا كونها عصا ينقر بها على الارض وقت الغناء الموسوعة : ٢١٢ ٠

ب ـ مجالس الوعظ :

كانت مجالس الوعظ اشبه بمدرسة شعبية اخذت على عاتقها تثقيف العامة خلال العصور الاسلامية . لذلك كان المسجد منذ تأسيسه زمن الرسول (ص) مدرسة شعبية أدت خدمات جلى لابناء الامة العربية ولابناء الشعوب الاخرى التي انضوت تحت لواء الاسلام . واستمر المسجد يؤدي هذه الخدمة خلال القرن الخامس الهجري حيث بدىء بانشاء المدارس الرسمية كالنظامية في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م[١٩٨] ، ومدرسة ابي حنيفة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[١٩٩] .

وكانت مجالس الوعظ تعكس حرية التدريس فقد كان مسموحا لأي فرد ان يحضر مجالس الوعظ وان يسأل عما يجول بخاطره من الاسئلة التي تتعلق بالدين او بالمسائل اليومية التي لها مساس بالشرع[٢٠٠] ، ولكن روح التعصب المذهبي كانت سائدة في هذا القرن مما اثرت في نشاط الوعاظ وجعلت الاستفادة قليلة من مجالس الوعظ . فقد كان الحنابلة وهم الغالبية ببغداد لا يوافقون على وعاظ الشافعية[٢٠١] ، وقد يعتدون على فقهاء الشافعية اذا ما شعروا ان في كلام واعظهم ما يمس معتقداتهم[٢٠٢] ، ولم تكن روح التعصب سائدة في صفوف العامة فقط ، بل كانت تشمل الوعاظ انفسهم ايضا مما ادى الى المنافسة والتحاسد فيما بينهم وان يشنع بعضهم على بعض . لذلك كانت الحكومة تراقب الوعاظ فمتى ما عرفت عن بعضهم انه يسيىء القول او انه يشتط في احكامه مما يؤدي الى حدوث فتنة مذهبية

---

(١٩٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٣٨ .

(١٩٩) ن٠م : ٢٤٥ .

(٢٠٠) أنظر هل : الحضارة العربية : ٩٥ .

(٢٠١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦٣ حوادث ٤٤٧هـ ، ٢٣٥ حوادث ٤٥٦هـ ، ١٠ : ١٤٥ حوادث ٥٤٦هـ .

(٢٠٢) ن٠م ٨ : ٢٣٥ حوادث ٤٥٦هـ ، ٣٠٥ حوادث ٤٦٩هـ ، ١٠ : ٦ حوادث ٥٢١هـ البنداري : ٥٠ .

ارسلت اليه ثم احضرت الفقهاء ليناقشوه في اقواله • ونتيجة لهذه المناقشة قد يحكم الخليفة على ذلك الواعظ بمنعه من الوعظ او طرده من العراق كما حدث لابي المؤيد الغزنوي سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م[٢٠٣] ولابي الفتوح الاسفرائيني سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م[٢٠٤] •

وكانت الحكومة تعمد في أوقات الازمات المذهبية وعندما ينشط ذوو الافكار المختلفة ببث آرائهم بين الناس بصورة سرية او عن طريق الوعظ الى اصدار (الاعتقاد) وهو المرسوم الذي يصدره الخليفة موضحا فيه مجال القول بالنسبة للفقهاء والوعاظ • ويوقع عليه بعد الخليفة القضاة والفقهاء وينشر ويوزع على الوعاظ لتلاوته في حلقاتهم على الناس • وقد صدر الاعتقاد المسمى بـ (الاعتقاد القادري) نسبة الى الخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م) سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٢٠٥] واعيدت تلاوته في سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م[٢٠٦] ، وفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م[٢٠٧] • ثم ظهر الاعتقاد (القائمي) في عهد الخليفة القائم (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) لذلك نسب اليه[٢٠٨] •

وكانت العامة اذا ما اعجبت باحد الوعاظ فانها تتعصب له وتحضر مجالسه وتقف الى جانبه ضد بقية الوعاظ والفقهاء الذين يخالفونه الرأي في وعظه او تفسيره وكانت مستعدة في مثل هذه الحالة ان تدافع عن ذلك بالقوة اذا اقتضت الحال[٢٠٩] •

---

(٢٠٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٣٨ •

(٢٠٤) ن٠م ١٠ : ٦ وأنظر السبكي : طبقات الشافعية الكبري ٤ : ٩٤ •

(٢٠٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤١ ، الذهبي : العبر ٣ : ١٣٤ •

(٢٠٦) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤١ •

(٢٠٧) ن٠م : ٢٤٨ •

(٢٠٨) ن٠م : ٢٤٩ •

(٢٠٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٢ : ٣٨٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٣٥ حوادث ٤٥٦هـ •

ان مجالس الوعظ لابد انها قد افادت كثيرا من حفظ بعض التراث العربي الاسلامي من مثل وقيم خلقية نتيجة لتكرار سردها والتأكيد عليها باشكال مختلفة الا ان هذه المجالس - كما يظهر من حوادث الفتن المذهبية في هذا القرن - لم تستطع ان تغير من تفكير العامة او ترفع من مستواهم الثقافي أو تبث فيهم روح التسامح ، وذلك لان الظروف المحيطة بالناس في هذا القرن كان مفعولها اقوى من مجالس الوعظ لا بل ان هذه الظروف هي التي أدت بمجالس الوعظ ان تنحرف عن مهمتها(٢١٠) • وان يكون الوعاظ انفسهم منساقين في هذا التيار حيث ان هذه الظروف المتمثلة بسيطرة الاجنبي على مقاليد الحكم سواء كان بويهيا شيعيا اراد فرض المذهب الشيعي على البغداديين(٢١١) ، او سلجوقيا سنيا كان بعض وزرائه وسلاطينه حربا على الشافعية ومعتنقيها(٢١٢) ، وبعضهم الآخر نصيرا لها(٢١٣) • وفوق ذلك فان سيطرة الحكم الاجنبي - بويهيا او سلجوقيا - كان قد جعل الحياة الاقتصادية والاجتماعية مضطربة ببغداد وما جاورها من القرى طيلة القرن الخامس الهجري(٢١٤) • واخيرا فان القرن الخامس الهجري كان قد ورث عن القرون السالفة تركة مثقلة بالفساد والتفسخ الخلقي

---

(٢١٠) يشارك مجالس الوعظ في هذه المسؤولية (مجالس القصص) التي كان لها تاثيرها السيىء والمباشر في العامة • كما سيأتي بيانه بعد قليل •

(٢١١) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٧٠ حوادث ٣٥١هـ ، ١٩ حوادث ٣٥٣هـ ، ابن الاثير ٨ : ١٩٧ حوادث ٣٥٢هـ •

(٢١٢) امثال الوزير الكندري - ابن خلكان ٤ : ٢٢٢ والسلطان مسعود وبعض كبار رجال دولته - البنداري : ١٧٦ •

(٢١٣) مثل الوزير نظام الملك (٤٠٨ - ٤٨٥هـ/١٠١٧ - ١٠٩٢م) الذي بنى للشافعية المدارس في جميع أنحاء الامبراطورية السلجوقية - السبكي ، طبقات ٣ : ١٣٥ - ١٤٥ ومكن الوعاظ الشافعية من الوعظ في أي بلد تابع لامبراطوريتهم - ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣٥٠ ، ٩ : ٤ •

(٢١٤) أنظر الفصل الاول (الجند) ص ٤٢ - ٥٢ •

والاجتماعي اسهمت في خلق هذه الظروف التأريخية التي احاطت بالعامة[215] .

كان وعاظ العامة الاوائل يسمون (باهل الاساطين) لانهم كانوا يعظون ويفتون في الناس عند اساطين المسجد . بينما كان وعاظ الخاصة ـ وهم الذين يدرسون نفرا من الطلاب ـ يسمون باهل (الزوايا) لانهم ينتحون زاوية من المسجد[216] . ولكن مجالس الوعظ لم تبق محصورة في المسجد فقط بل اصبحت تقام في المراقد . فقد جاء عن الواعظ رزق‌الله ابن عبدالوهاب (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) انه كان يعقد مجلس وعظه في مقبرة أحمد بن حنبل أربع مرات في السنة ؛ في رجب وشعبان وعرفة وعاشوراء[217] وجعل الواعظ ابو الحسن الزاغوني (ت ٥٢٧هـ/١١٣٢م) مجلس وعظه في مقبرة معروف الكرخي ، وكان يجلس هناك في كل يوم سبت[218] . وكانت تعقد مجالس الوعظ في المحال ايضا . فمما يذكر عن الواعظ ابي الحسن بن الزاغوني انه جلس للوعظ في باب البصرة[219] .

---

(٢١٥) الزهيري : الادب : ٣٩ ، ٢٤٨ .

(٢١٦) المكي ٢ : ١١ .

(٢١٧) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٨٩ .

(٢١٨) ن.م ١٠ : ٣٠ حوادث ٥٢٦هـ .

(٢١٩) ن.م وقد خلفه في الوعظ أبو علي بن الراذاني (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م) فاتخذ اماكنه التي كان يعظ فيها ـ ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١ : ٢٢٠ وقد حاول أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ان يعظ في هذه الاماكن أيضا الا انه منع من ذلك لصغر سنة كما ادعى . ـ المنتظم ١٠ : ٣٠ حوادث ٥٢٦هـ . ولكنه بعد ان برز وأصبحت له شهرة في الوعظ أخذ يعظ العامة في المحال لضيق المساجد بهم . وقد وصفت مجالس وعظه وكثرة من يحضرها من العامة ، وحضور الخليفة نفسه لبعضها ـ المنتظم ١٠ : ٢٦٤ حوادث ٥٧٢هـ (ولقد حضر بعض هذه المجالس ابن جبير اثناء مجيئه الى بغداد سنة ٥٨٠هـ الرحلة : ٢١٧) . فمن وصفه لمجالس وعظه قوله في سنة ٥٦٨هـ ان الناس بعد ان علموا =

وقد يعقد مجلس الوعظ في احدى رباطات الصوفية اذا كان للواعظ ميل صوفي كما كان يحدث بالنسبة لابي الفتوح الغزالي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)[٢٢٠] .

(ج) ـ مجالس القصص :

وهي النوع الثالث من المجالس العامة التي تحضرها عامة بغداد لقضاء الوقت فيها .

والقاص هو الرجل الذي يجلس في الطرقات[٢٢١] وفي المقابر[٢٢٢]، وفي الجوامع[٢٢٣] ، وفي الاسواق[٢٢٤] . يذكر للناس شيئا من الآيات والاحاديث وأخبار السلف[٢٢٥] . ويقص عليهم الحكايات[٢٢٦] ، وكل ما يذكره من حفظه وفي اثناء كلامه اما ان يجلس على كرسي او يبقى

بموعد وعظه اتخذوا أماكن لهم « من وقت الضحى للمجلس بعد الظهر . وكانت ثم دكاك فاكتريت . حتى ان الرجل كان يكتري موضع نفسه بقيراطين وثلاثة . وكنت اتكلم أسبوعا والقزويني أسبوعا [أحمد ابن اسماعيل الفقيه الشافعي ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م أنظر الذهبي : العبر ٤ : ٢٧١ ـ ٢٧٢] الى آخر رمضان » ـ المنتظم ١٠ : ٢٤٠ وفي حوادث ٥٦٩هـ قال « وسألني أهل الحربية [احدى محال بغداد] ان اعقد عندهم مجلسا للوعظ ليلة فوعدتهم ليلة الجمعة ... فانقلبت بغداد وعبر اهلها .. » ـ المنتظم ١٠ : ٢٤٣ .

(٢٢٠) وهو أحمد بن محمد الغزالي . أخو الشيخ أبي حامد الغزالي ـ الذهبي : العبر ٤ : ٤٥ .

(٢٢١) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ١٢٣ ، السبكي : معيد النعم ومبيد النقم : ١١٣ .

(٢٢٢) ابن الجوزي : تلبيس : ١٢٢ .

(٢٢٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٠ حوادث ٤١٣هـ .

(٢٢٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ١٢٣ .

(٢٢٥) السبكي : معيد النعم : ١١٣ .

(٢٢٦) المسعودي : مروج ٨ : ١٦١ .

واقفا • وبذلك يختلف عن الواعظ الذي لا يتكلم من حفظه بل يقرأ في كتاب ، ويكون جالسا على كرسي في مسجد أو جامع أو مدرسة أو خانقاه[٢٢٧] ، وأحيانا في المحال كما رأينا • والقاص يختلف أيضا عن المذكر[٢٢٨] والواعظ والخطيب ؛ في كونه يهتم بسرد القصص الماضية وتقديم الشروح لها • بينما يهتم المذكر بتعريف الناس بنعم الله وحثهم على ذكره وشكره[٢٢٩] • وهم الواعظ والخطيب تخويف الناس من عاقبة الابتعاد عن تعاليم الله لكي يرق قلبهم ويحبب اليهم الايمان[٢٣٠] •

ويرى ابن الجوزي ان الامر التبس على كثير من الناس فاخذوا يطلقون على الواعظ اسم القاص وعلى القاص اسم المذكر[٢٣١] • ولكن من استقراء النصوص الواردة عن القصاص تتجلى شخصية قاص العامة وبصورة خاصة بعد القرن الثالث الهجري[٢٣٢] • واما عن الالتباس الذي حصل فانه لا ريب يتعلق بالفترة التي سبقت القرن الثالث الهجري والتي كان التمييز فيها ما بين القاص والواعظ او المذكر غير واضحة لاتفاقهم في

---

(٢٢٧) م•س والخانقاه : وجمعها الخوانق وهي بيوت استحدثت في الاسلام في حدود الاربعمائة من سني الهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة ـ المقريزي : الخطط ٢ : ٤١٤ وانظر آدم متز ٢ : ٢٣ ـ ٢٥ •

(٢٢٨) أنظر عن المذكر آدم متز : الحضارة ٢ : ١٠٦ ـ ١١٠ •

(٢٢٩) ابن الجوزي : القصاص والمذكرين ـ خط ـ ورقة ١٠ (أ) ، ٣٠ (ب) •

(٢٣٠) السبكي : معيد : ١١٢ ، ١١٣ •

(٢٣١) م•س •

(٢٣٢) أنظر :
Goldziher: Muhammedanische Studien. Vol. II. P. 161—170.
وقد ترجم هذا الفصل من الالمانية الى الانكليزية خدابخش الهندي والحقه بكتاب آدم متز كتعليق على الفصل التاسع عشر المتعلق بالقصاص فلما ترجم أبو ريدة كتاب آدم متز الى العربية ترجم معه هذا الفصل أيضا ٢ : ١٤٢ •

غايتهم واهدافهم واسلوبهم وفي عرض مادتهم على الناس .

ان مجالس القصص كانت تراثا شعبيا عربيا اصيلا ورثه العرب عن جاهليتهم . وكانت مادة قصصهم ايام العرب واخبار الامم المجاورة[٢٣٣] . لذلك رأينا القرآن يستعمل كلمة القصص في مواضع كثيرة[٢٣٤] ، وهذا يدل على شيوع معناها في المجتمع العربي قبل الاسلام . فمن هذه الايات قوله « فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف ... »[٢٣٥] و « **تلك** القرى نقص عليك من انبائها ... »[٢٣٦] و « نحن نقص عليك احسن القصص »[٢٣٧] . فلما جاء الاسلام اصبحت سيرة الرسول (ص) مادة طيبة للقصاص . وكثر هؤلاء القصاص الذين يقصون سيرة الرسول (ص) وقد اختلف في زمن ظهورهم بهذه الكثرة فبعضهم جعله في عهد عمر بن الخطاب[٢٣٨] (رض) وبعضهم في عهد عثمان بن عفان (رض)[٢٣٩] . وقيل ان معاوية منع (قصص العامة) وسمح (لقصص الخاصة) وعرفوا قصّاص العامة بانه « هو الذي يجتمع اليه النفر من الناس يعضهم ويذكرهم » وانه « مكروه لمن فعله ولمن استمعه » وان قصّاص الخاصة هو الذي استحدثه معاوية حيث ولى رجلا على القصص . فاذا سلم في صلاة الصبح

---

(٢٣٣) حسين نصار : نشأة التدوين التأريخي عند العرب : ٦ ، ٧ ، روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين : ٣١ وما بعدها .

(٢٣٤) أنظر فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : ٥٤٦ .

(٢٣٥) سورة القصص ـ الآية ٢٥ .

(٢٣٦) سورة الاعراف ـ الآية ١٠١ .

(٢٣٧) سورة يوسف ـ الآية ٣ .

(٢٣٨) ابن الجوزي : القصاص ـ خط ـ ورقة ٩ (أ) ، المقريزي : الخطط ٢ : ٢٥٣ .

(٢٣٩) زين‌الدين العراقي : الباعث على الخلاص من حوادث القصاص ـ قطعة ملحقة بكتاب السيوطي تحذير الخواص من أكاذيب القصاص : ٥٨ المقريزي : الخطط ٢ : ٢٥٣ .

جلس وذكر الله عز وجل ومجده وصلى على النبي ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة[240] .
ولكن نظرا لحدوث الفتن بعد قتل عثمان واحتدام الصراع السياسي ، زاد عدد القصاص الشعبيين (أو قصاص العامة) وانتشروا في الامصار الاسلامية ولكن كبار المسلمين لم يرتاحوا لذلك فطردهم علي بن أبي طالب (رض) من مسجد البصرة ـ ما خلا الحسن البصري ـ[241] وطردهم ابن عمر من مسجد المدينة بمساعدة صاحب الشرطة فيها[242] .

اما القصاص الدينيون الذين كانت غايتهم ارشاد الناس . فقد نالوا رضى كبار المسلمين . ولهذا كان يحضر مجالسهم امثال عبدالله بن عمر وعمر بن عبدالعزيز[243] . وقد اورد لنا الجاحظ قائمة باسماء القصاص الذين عاش غالبيتهم في القرن الثاني الهجري وفي هذه القائمة يتجلى نوعا القصاص بوضوح[244] .

اما الاسباب التي حدت بكبار المسلمين الى عدم قبول قصاص العامة فيرجعها ابن الجوزي الى ما يلي[245] :

(أولا) ـ ان الناس كانوا قريبو عهد برسول الله (ص) ، فاذا رأوا شيئا لم يأت به الرسول (ص) انكروه . (وثانيا) ـ ان القصص لاخبار

---

(٢٤٠) الخطيب البغدادي : تأريخ ٢ : ١٠١ ، المقريزي : الخطط ٢ : ٢٥٣ .
(٢٤١) المكي ٢ : ٢١ .
(٢٤٢) ن.م .
(٢٤٣) ابن الجوزي : تلبيس : ١٢٠ ، القصاص له ـ خط ورقة ٣٠ (أ) .
(٢٤٤) البيان والتبيين ١ : ٣٦٧ ـ ٣٦٩ .
(٢٤٥) ابن الجوزي : القصاص ـ خط ـ ورقة ٢ (ب) وما بعدها وأنظر ورقة ١٥٠ وما بعدها .

الماضين يندر صحته وخاصة ما ينقل عن بني اسرائيل • و (ثالثا) ـ ان التشاغل بالقصص يشغل عن قراءة القرآن ورواية الحديث ، والتفقه في الدين • و (رابعا) ـ ان في القرآن من القصص وفي السنة من العظه ما يغني عن سواه • و (خامسا) ـ ان بعض القصاص أفسدوا بأقاصيصهم قلوب العوام • و (سادسا) ـ ان اغلب القصاص لا يتحرجون في ذكر الاخطاء ، ولا يتحرون الصواب فيما يقصون •

ولكن قصاص العامة انتشروا واستمروا في مواصلة نشاطهم ، بينما انقطعت اخبار القصاص الدينيين في القرن الثالث وما بعده[٢٤٦] • ولشدة اقبال العامة على القصص وحضور مجالسه دفع ذلك الوراقين في القرن الثالث الى كتابة القصص ، فاشتهر منهم ابن دلان (احمد بن محمد) وآخر عرف بابن العطار[٢٤٧] • بالاضافة الى ما كتبه الادباء والاخباريون من كتب الخرافات والاسمار والاحاديث[٢٤٨] • ولقد ذكرنا قبلا في اثناء الكلام على المجالس الخاصة كيف ان تأليف القصص كان في عهد مبكر في الدولة العباسية ، وان القصص المترجمة عن الفارسية والهندية كانت قد شاعت في القرن الثالث[٢٤٩] • واستمر التأليف في الاسمار والحكايات خلال القرن الرابع ايضا[٢٥٠] • فلما جاء القرن الخامس الهجري كان عدد القصاص كثيرا ، وكانت مجالسهم عامرة بالعامة • ولم يقتصر حضور مجالس القصص على الرجال فقط ، بل كان يحضرها النساء أيضا[٢٥١] •

---

(٢٤٦) الجاحظ : البيان ١ : ٣٦٧ ـ ٣٦٩ •

(٢٤٧) ابن النديم : الفهرست : ٤٤٢ •

(٢٤٨) ن•م : ٤٣٦ ـ ٤٤٢ •

(٢٤٩) أنظر المسعودي : مروج ١ : ١٦٢ ، ٤ : ٨٨ •

(٢٥٠) القفطي : تاريخ : ٣٣١ •

(٢٥١) ابن الجوزي : تلبيس : ١٢٢ ، القصاص له ـ خط ـ ورقة ١٠٤ (أ) ، ١٠٧ (أ) •

وكانوا يقضون الاوقات الطوال في الاستماع اليهم[٢٥٢] • وقد يسألونهم عن أمور يودون فهمها كالاشارات التي ترد في القرآن ، والامور التي يعانونها في اثناء حياتهم اليومية • وكان القصاص يجيبون السائلين عن كل سؤال ، ولا يعتذرون بعدم المعرفة[٢٥٣] • وذلك ليبقوا عند حسن ظن العامة بهم • وهذا ما توضحه الاحاديث التي ترد على السنتهم والتي ليس فيها الا الحمق والسخف في كثير من الاحيان ، فمن ذلك انه سئل احد القصاص المسمى (سيفويه) عن الغِسْلِين[٢٥٤] في كتاب الله تعالى قال « على الخبير سقطت ؛ سألت عنه شيخا فقيها من اهل الحجاز فما كان عنده قليل و لا كثير »[٢٥٥] • وقد سئل عن سبب تسمية العصفور بهذا الاسم فاجاب « لانه عصى وفر » وقيل له « فالطفشيل ؟ » وهو نوع من المرق[٢٥٦] ، اجاب انه « طفا وشال »[٢٥٧] •

اما الطرق التي كانوا يستعملونها لجلب انتباه العوام المستمعين اليهم فكانت كثيرة ومتنوعة منها انشادهم الاشعار الغزلية في العشق او اظهارهم التواجد والتخاشع ، أو اتيانهم بحركات تنسجم وقراءتهم الملحنة التي تشبه الغناء • وقد يصفقون بايديهم او يعملون ايقاعا بارجلهم • وقد ينشدون اشعار النواح على الموتى وما يجرى لهم من البلاء • او يذكرون الغربة ومن مات غريبا • ولما كانت النساء ارق عاطفة من الرجال لذلك

---

(٢٥٢) السيوطي : تحذير : ٥٤ •

(٢٥٣) آدم متز ٢ : ١٤٧ •

(٢٥٤) لقد وردت في القرآن هكذا « فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام الا من غسلين » والغسلين صديد أهل النار أو شجر فيها ، السيوطي : تفسير القرآن العظيم : ٢٣٤ •

(٢٥٥) ابن الجوزي : برواية ابي منصور الثعالبي : اخبار الحمقى : ١٠٠ والقصاص له خط ــ ١٠٧ (ب) •

(٢٥٦) الفيروزاباذي ٤ : ٧ •

(٢٥٧) الحموي : معجم البلدان ١ : ٢٩٣ •

كن اسرع تأثيرا بهذه الطرق البارعة فيشرعن في البكاء والعويل . وعند ذلك يستبشر القصاص خيرا بهذه البادرة لانها تجلب انتباه الناس اليهم وتزيد في عدد مستمعيهم(٢٥٨) .

كانت غاية العامة من حضور مجالس القصص قضاء وقت الفراغ والتلذذ بسماع القصص بينما كانت غاية القصاص الحصول على المال لذلك تلاعبوا بعواطف الجماهير . واستخدموا كأداة بيد الامراء والسلاطين نبث الدعاية لهم لقاء اجر معين(٢٥٩) . وفي سبيل الحصول على المال ابتكروا اساليب خبيثة مثل وقوف قاصين على جانبي السوق يأخذ احدهما بذكر فضائل ابي بكر ويأخذ الآخر بذكر فضائل علي بن ابي طالب فيجمعان الدراهم من الناس . فاذا غادرا المكان تقاسما الدراهم فيما بينهما(٢٦٠) . لذلك كان وجود القصاص خطرا على الدين والخلق والثقافة بصورة عامة طالما كانوا يسلكون في سبيل المال وسائل شتى . ويزداد خطرهم من جهة أخرى اذا ما علمنا بانهم ليسوا على مستوى جيد من الثقافة الدينية فنرى احدهم يقف واعظا فيقول « اذا مات العبد وهو سكران دفن وهو سكران وحشر وهو سكران »(٢٦١) . أو ينسب الاحاديث المكذوبة الى النبي(٢٦٢) . وتبدو خطورتهم بشكل واضح في تضليل العامة من خلال قصصهم ، سواء كانوا يعرفون أو لا يعرفون . فقد ورد عن قاص اسمه ابو احمد التمار انه قال ذات يوم في مجلس قصصه « لقد عظم رسول الله (ص) حق الجار حتى قال فيه قولا استحي والله ان اذكره »(٢٦٣) . وقيل

---

(٢٥٨) ابن الجوزي : تلبيس : ١٢١ .

(٢٥٩) ن٠م .

(٢٦٠) الثعالبي : يتيمة ٣ : ٣٣٠ .

(٢٦١) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٩٠ .

(٢٦٢) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٠٠ وأنظر الجاحظ : البيان ٢ : ٣١٧ .

(٢٦٣) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٠١ .

للقاص سيفويه « ان اشتهى اهل الجنة عصيدة كيف يعملون ؟ قال : يبعث الله لهم انهار دبس ودقيق وارز ويقال اعملوا وكلوا واعذرونا »[٢٦٤]. وبلغ الامر باحد القصاص المدعو ابو سالم ان قال وهو في موقف الواعظ « يا ابن آدم يا ابن الزانية ، اما تستحي من الملك الجليل حتى تقدم على العمل القبيح »[٢٦٥] وذكر عنه ايضا انه سرقت باب داره فذهب الى باب المسجد وقلعه فلما سئل عن عمله هذا قال « اقلع هذا الباب فان صاحبه يعلم من قلع بابي »[٢٦٦].

ولما كان مستوى القصاص الثقافي بهذا الانحطاط علاوة على تلاعبهم بعواطف الجماهير لذلك كانت الحكومة والعلماء ينظرون اليهم نظرة تغاير نظرة العامة . وهذه النظرة ترجع الى عهود سالفة حيث بدأ خطرهم . ففي سنة ٢٨٤هـ اصدر الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) امره بمنع القصاص من الجلوس في الجامع او الطرقات[٢٦٧] . وفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م امر عضد الدولة البويهي بمنع القصاص من الجلوس ايضا اذ اعتبرهم مثيرين للفتن المذهبية[٢٦٨] . اما وسائل الحكومة في القرن الخامس فقد عرفناها اثناء الكلام على مجالس الوعظ حيث كانت الحكومة تراقب مثيري الفتن وتراقب الوعاظ والقصاص وتأمر بتلاوة الاعتقاد في امثال تلك المناسبات .

اما موقف العلماء من القصاص فقد كان فيه انكار لاقوالهم واعمالهم، وادى ذلك الى الاحتكاك بهم . وكانت العامة تقف الى جانب القصاص في امثال تلك المواقف ، وذلك لان العوام جهال يرون في كلام القاص

---

(٢٦٤) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٠١ .
(٢٦٥) ن٠م : ١٠٣ .
(٢٦٦) ن٠م .
(٢٦٧) ابن الجوزي : المنتظم ح ٥ ق ٢ : ١٧١ .
(٢٦٨) ن٠م ٧ : ٨٧ .

وضوحا يجري على حسب ميولهم • ويرضي طموحهم باسلوب بسيط يكون هزله اكثر من جده • على الضد من كلام الوعاظ او الفقهاء المعقد في كثير من الاحيان ، والذي يكون ارفع من مستوى ادراكهم • وهذا الاحتكاك ما بين العلماء والقصاص يعود الى قرون سبقت القرن الخامس الهجري • وان ما جرى في القرن الخامس الهجري ما هو الا استمرار لذلك • فمن امثلة مواقف العلماء من القصاص ما وقع للامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ/٨٤٧م) عندما دخلا مسجد الرصافة ببغداد ليصليا فسمعا قاصا يروي عنهما حديثا مكذوبا لفظه « قال حدثنا احمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال رسول الله (ص) من قال لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان » فنظر احمد الى يحيى بن معين وسأله ان كان قد حدثه بهذا الحديث حقا ؟ فانكر يحيى انه سمع هذا الحديث من قبل فانتظر القاص حتى اذا انتهى من قصصه نادياه فقرب منهما فسأله يحيى بن معين عن مصدر هذا الحديث فاجابه القاص انه احمد بن حنبل ويحيى بن معين فكذبه يحيى بن معين وعرفه بنفسه وبأحمد بن حنبل وانهما لم يحدثاه بمثل هذا الحديث • وأخبره يحيى بانه اذا كان ولابد من ان يكذب فليكذب على لسان غيرهما • فرد عليه القصاص قائلا « لم ازل اسمع ان يحيى بن معين احمق ما حققته الا الساعة » فسأله يحيى كيف علمت باني احمق ؟ قال « كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين واحمد بن حنبل غيركما وقد كتبت عن سبعة عشر احمد ابن حنبل ويحيى بن معين » فوضع احمد كمه على وجهه وقال ليحيى (دعه يقوم) فقام كالمستهزىء بهما[٢٦٩] •

وجاء عن قاص كان يفسر قوله تعالى « عسى ان يبعثك ربك مقاما

---

(٢٦٩) ابن الجوزي : الموضوعات ـ نقلا عن السيوطي في تحذير الخواص : ٤٨ •

مخمودا » انه يجلس معه على العرش . فبلغ هذا التفسير الامام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ ٩٢٢م) فانكره وكتب على باب داره « سبحان من ليس له انيس ، ولا في عرشه جليس » فلما فهم عوام بغداد من هذه العبارة تعريضا بذلك القاص ثاروا ورجموا بيته بالحجارة حتى غطي باب داره[٢٧٠] .

ومن الذين حاربوا القصاص الدار قطني (علي بن عمرت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) وابن المظفر (احمد بن المظفر ت ٤٤١هـ/١٠٤٩م) وهما من حفظة الحديث[٢٧١] والمكي[٢٧٢] ونظر اليهم بعض المؤرخين نظرة غير محترمة . فوصفهم المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) بانهم يروون الاكاذيب[٢٧٣] . ووصفهم المقدسي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) بانهم يروون الاعاجيب والترهات والاباطيل ، وان قصصهم ما هي الا تزاوير[٢٧٤] . وقال عنهم البيروني (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) انهم « لا يرجعون الى تحصيل »[٢٧٥] . واما الخطيب والمؤرخ ابن الجوزي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) فانه كان واقفا لهم بالمرصاد ، يرد عليهم ويفند اقوالهم ويفضح اكاذيبهم . وقد صرح بذلك فيعدة مواضع من كتبه ، كما في كتاب (الموضوعات)[٢٧٦] وفي (تلبيس ابليس) و (اخبار الحمقى) ، وقد وردت الاشارة الى مواضعها في هذا الكتاب . علاوة على هذه الاشارات فانه قد خصص كتابا

---

(٢٧٠) بعض المجاميع : نقلا عن السيوطي في تحذير الخواص : ٥٤ .
(٢٧١) السيوطي : تحذير : ٥٠ .
(٢٧٢) صاحب كتاب قوت القلوب ١ : ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ٢ : ١٤١ .
(٢٧٣) مروج ٥ : ٨٦ .
(٢٧٤) البدء والتاريخ ١ : ١٨٩٩ .
(٢٧٥) الآثار : ٣٣٠ .
(٢٧٦) الذي جاء ذكره في كتاب القصاص والمذكرين له ــ خط ورقة ١١٦ (أ) وذكره السيوطي : تحذير : ٥٢ .

عن (القصاص والمذكرين)[٢٧٧] ،والذي اشرنا اليه في أكثر من موضع•

ب ـ اللعب بالطيور :

المقصود بالطيور هو الحمام الذي يألف السكنى في البيوت وقد اصبح الاعتناء به وتربيته في البيوت هواية محببة لكثير من الناس تملأ عليهم فراغهم ، وتشعرهم بلذة خاصة • وهذه الطيور على انواع واشكال مختلفة[٢٧٨] • وكان لها سوق بغداد في الجانب الشرقي منها[٢٧٩] • يتردد عليها اهل هذه الهواية لشراء الطيور منها او بيعها فيها[٢٨٠] ويبدو انهم من الكثرة بحيث وصفوا ذات يوم بانهم « قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضا »[٢٨١] •

واللعب بالطيور لم يكن مقصورا على العامة فقد شاركهم فيه بقية الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية[٢٨٢] •

وكان محبو هذه الهواية يبذلون في سبيلها الاموال الطائلة ، فقد ذكر الجاحظ انه قد تباع الحمامة بخمسمائة دينار وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا وان ذلك كان مألوفا بالنسبة لسوق الطيور ببغداد او بالبصرة[٢٨٣] •

---

(٢٧٧) انه موجود في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم ٩٩٨ •

(٢٨٧) الدميري : حياة الحيوان ١ : ٣٢٧ •

(٢٧٩) مجهول : مناقب بغداد : ٢٦ وكذلك في القاهرة سوق للطيور يسمى ب (سوق الدجاجين) تباع فيه أنواع الطيور ـ المقريزي : الخطط ٢ : ٩٦ وفي دمشق أيضا ويسمى بسوق الطيور ـ ابن عساكر : تاريخ دمشق مج ٢ ق ١ ص ٦١ •

(٢٨٠) الجاحظ : الحيوان ١ : ١١٨ البيهقي : ٥٧٠ •

(٢٨١) القاريء : مصارع ١ : ١٤٦ •

(٢٨٢) الخطيب البغدادي : تاريخ ٤ : ٢٦٤ •

(٢٨٣) الغزولي ٢ : ٢٦٠ •

واستمر اللعب بالطيور والاعتناء بها طيلة العصر العباسي فاصبح الى جانب الهواة من ينتسب الى مهنة بيع الطيور فيقال فلان **بن فلان** الطيوري[٢٨٤] • كما اصبحت سوق الطيور ببغداد من الاسواق المعروفة• لذلك سجل ابن الجوزي بعض حوادثها كالحريق الذي اصابها في سنة **٥٥٧هـ/١١٦١**م والذي ادى الى حرق كثير من الطيور في اقفاصها[٢٨٥] •

وهواية جمع الطيور والاعتناء بها اذا تمكنت من نفس صاحبها لم يعد في امكانه ان يتخلى عنها بعد ذلك[٢٨٦] • فيجد فيها متعة وقضاء لوقت فراغه • وكان اكثر الناس ولعا بالطيور الخصيان[٢٨٧] • اضافة الى بقية العامة • كما وان الطيور حظت باعجاب الخلفاء انفسهم فاستخدموها للمراسلة وللتمتع بها ايضا فاقتنوا الجيد منها وحسنوا اجيالها[٢٨٨] •

ان ولع هواة الطيور الشديد هو الذي يفسر لنا استمرارهم على اقتنائها بالرغم من محاربة الحكومة لهم في بعض الاوقات وشن الحملات على الطيوريين وقلع الابراج والهرادي[٢٨٩] • كما حدث في سنة

---

(٢٨٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٠٦ •

(٢٨٥) ن•م : ٢٠٣ •

(٢٨٦) الغزالي : ميزان العمل : ٩٩ •

(٢٨٧) الجاحظ : الحيوان ١ : ١١٨ ، البيهقي : ٧٥٠ •

(٢٨٨) كما حدث ذلك للرشيد ــ الدميري ١ : ٣٣٠ ، والمستكفي بالله (٣٣٣ ــ ٣٣٤هـ/٩٤٤ ــ ٩٤٥م) ــ الهمداني : تكملة : ١٤٩ ، والناصر لدين الله (٥٧٥ ــ ٦٢٢هـ/١١٧٩ ــ ١١٢٥م) الذي ربى الطيور المناسيب (سيأتي شرحها بعد قليل) والذي بلغ من اعتنائه بها انه منع ان يربي أحد من هذه الطيور الا بعد ان يأخذ من طيوره (أي من نسلها) ــ ابن الاثير ١٢ : ١٨١ حوادث ، ٦٢٢هـ وكذلك ذكر عن الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين (٦٢٣ ــ ٦٥٦هـ/١٢٢٦ ــ ١٢٥٨م) على انه كان صاحب شغف بالطيور ــ ابن العبري : ٢٥٤ حوادث ٦٤٠هـ •

(٢٨٩) الهرادي (بالدال المهملة) قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه ابن منظور ٣ : ٤٣٦ ولكن الذي أراه قياسا على =

٤٦٧هـ/١٠٧٤م[٢٩٠] و ٤٦٩هـ/١٠٧٦م[٢٩١] و ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٢٩٢]
وكانت حجة الحكومة في قلع الابراج والهرادي ومحاربة هذه الهواية ؛ ان بعض الطيوريين يتخذون من هوايـة اللعب بالطيور حجة للتفرج على نساء الجيران[٢٩٣] • وربمـا بسـبب ما كان يرافق تدريب الطيـور على الطيران من صياح وهرج او رمي الاحجار على الطيور التي تقع على سطوح المنازل المجاورة مما يؤدي الى ايذاء الجيران[٢٩٤] • كما وان المراهنات على اطلاق الطيور من مسـافات بعيدة اثار جدلا بين الفقهـاء فاختلفوا في الحكم على هذه الهواية • وذلك ان الطيوريين كانوا يتراهنون فيما بينهم على اطلاق طيورهم من مسافات بعيدة فمن وصلت طيوره قبل غيره فهـو الرابح ومن تأخرت طيوره عن الوصول او ضـلت الطريق ولم تعد الى صاحبها فهو الخاسر[٢٩٥] • لذلك قال بعضهم ان هذه الهواية ما هي الا نوع من القمار يجب استنكارها وتحريمها[٢٩٦] • وقال آخرون يجب ان ترد شهادة مربيها[٢٩٧] • الا ان بعض الفقهاء جوزهـا على اعتبار ان

ما هو شائع ببغداد في أيامنا هذه عند الطيوريين (المطيرجية) ان هذه العيدان تتخذ بشكل يشابه ما فسره ابن منظور ولكن ليس للكرم بل لكي توضع في مكان ما من السطح قرب برج الطيور لكي تقف عليهـا الطيور والغاية من ذلك كما هو معلوم الآن عند الطيوريين ان تكون مرتفعة بعض الشيء عن البرج وبذا تجعل الطير يتعرف على الدار بسرعة وتسمى في أيامنا هذه بـ (السكله) •

(٢٩٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٩٤ •

(٢٩١) ن•م : ٣٠٨ •

(٢٩٢) ابن الاثير ١٠ : ٨٥ ، الذهبي : العبر ٣ : ٣١٦ •

(٢٩٣) الدميري ١ : ٣٢٧ ٣٣٣ وقد ذكر عن عمر بن عبدالعزيز انه امر بذبح الحمام الطيار وترك المقصص منه ـ الدميري ١ : ٣٢٧ •

(٢٩٤) البيهقي : ٥٧٠ •

(٢٩٥) الجاحظ : الحيوان ٣ : ٢٢٦ •

(٢٩٦) الغزالي : ميزان : ٩٩ •

(٢٩٧) الدميري ١ : ٥٩٠ •

تدريب الطيور يفيد في نقل الاخبار وانها يحتاج اليها في الحرب[٢٩٨] •

وتدريب الطيور على الطيران يكون باتخاذ الابراج لها فوق السطوح[٢٩٩] • وتربيتها بشكل مجموعات ومن ثم تدريبها تدريجيا على الطيران وكانوا يقضون في سبيل ذلك الساعات الطوال تحت الشمس دون مبالاة بحرارتها وحسبهم انهم فرحون بمراقبتها وهي تطير في الجو[٣٠٠] • واشهر انواع هذه الطيور هو المعروف بـ (الهدى او الهدّاء) وقد يسمى (المناسيب)[٣٠١] ، او (الزاجل او الزاجر) ايضا[٣٠٢] • وقد استعمل هذا النوع من الطيور في البريد من قبل الحكومات وذلك لشدة سرعته وقوته في الطيران[٣٠٣] • وكان يدرب على المجيء الى موطنه • حيث يرسل في كل مرة من مرحلة ابعد من التي اطلق منها سابقا وهكذا يستمر التدريب حتى يصبح الطير عارفا للطرق فاذا ما اطلق من مسافات بعيدة رجع الى موطنه من دون ان يضل الطريق[٣٠٤] • وكان في مقدوره ان يطير مسافة ثلاثة الاف فرسخ في اليوم الواحد[٣٠٥] • وطريقته عندما يرسل من مسافة بعيدة ان يحلق في الجو بشكل مدور حتى يعلو ويستمر

---

(٢٩٨) الدميري ١ : ٥٩٠ •

(٢٩٩) وهناك نوع من الطيور يربى داخل البيوت ويسمى (البيتي) وهو اما ان يربى للاستفادة من لحمه ــ وخاصة الفراخ منه ــ أو للاستئناس بصوته أو بشكله الجميل • الثعالبي : خاص : ٤٤ ، وأنظر ابن الاخوة : ٢١٤ •

(٣٠٠) ورام : تنبيه ١ : ٩٢ •

(٣٠١) ابن الاثير ١٢ : ١٨١ •

(٣٠٢) ابن سيدة : المخصص ١٠ : ١٧٠ •

(٣٠٣) الجاحظ : الحيوان ١ : ٩٧ ، والهمداني : تكملة : ٩٧ ، ١١٦ ، ١٦٣ ، ٣١٤ ، ٢٣٤ •

(٣٠٤) الجاحظ : الحيوان ٣ : ٢١٧ ، ابن سيدة : المخصص ١٠ : ١٧٠ •

(٣٠٥) الدميري ١ : ٣٢٨ •

في علوه كي يستطيع مشاهدة موطنه وعند ذلك يهبط بسرعة[306] • ولهذا الغرض استعملتها الجماعات السرية[307] • واستعملها الوزراء والقادة من اجل حوك المؤامرات بعيدا عن انظار الحكومة المركزية[308] •

ولذلك كانت هذه الطيور (الزاجل او الهدي) موضع عناية فائقة فاهتموا باصولها وفرقوا بين (المُجرَّب) وبين (الغمر) غير المجرب • لان المجرب المعروف يكون غاليا واذا جاء له اولاد ، اصبح ابا واصبح بعد ذلك مذكورا وصار نسبا يرجع اليه وعند ذلك تزداد قيمته[309] • وكانوا يلاحظونها عند الطيران فعرفوا من صفاتها في الطيران انها ان طارت بشكل اسراب كانت ابطأ من طيرانها بشكل فردي • وانها كلما تجمعت وضاق موضعها كان طيرانها أشد • وقد فضل أهل بغداد الاناث من (الزاجل) على الذكور بعكس اهل البصرة الذين فضلوا الذكور على الاناث اما حجة البغداديين فهي ان الذكر اذا سافر وكان قد بَعُد عهده (بقمط الاناث)[310] وتاقت نفسه الى الفساد ورأى انثى في سفره ، فانه يميل الى الانثى ، ويترك مواصلة السفر وحجة البصريين ان الذكر احن الى بيته لمكان اناثه ، وانه اشد طيرانا •

اما عن لون طيور (الهداء او الزاجل) والفرق بين كل لون من ألوانها من حيث سرعتها وقوتها ، ودرجة ذكائها ، والاوصاف التي يجب ان تتوفر في الطيور الجيدة • والتي يمكن بواسطة هذه الاوصاف تمييز الجيد من الرديء منها فقد خصص الجاحظ لذلك كلاما كثيرا في كتاب

---

(٣٠٦) القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : ٢٤٦ •
(٣٠٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٥٢ حوادث ٤٤٤هـ •
(٣٠٨) الهمداني : تكملة : ١٦٣ •
(٣٠٩) الجاحظ : الحيوان ٣ : ٢١٧ •
(٣١٠) القمط : السفاد والجماع عند الطيور ـ الفيروزابادي ٢ : ٣٨٢ •

الحيوان[٣١١] • ومن الجدير بالذكر هنا ان كثيرا من نصائح الجاحظ في تربية الطيور والاعتناء بها او تدريبها على الطيران معروفة الآن بين الطيوريين ببغداد او غيرها من مدن العراق •

ج - مهارشة الحيوانات :

والى جانب الولع بالطيور كانت العامة مولعة بتربية انواع اخرى من الحيوانات من أجل مهارشتها والتفرج عليها كالديوك والسُمان[٣١٢] ، والكباش والقبج[٣١٣] فكانوا اذا ارادوا مهارشتها جاءوا باثنين من كل نوع وجعلوا الواحد مقابل الاخر فتبدأ هذه الحيوانات بالمهارشة ، فتجد العامة عند ذلك مجالا للمتعة وقضاء للوقت • وقد يؤدي التحمس اثناء هذه المهارشات الى المعارك بين اصحاب هذه الحيوانات وربما خلق العداوات[٣١٤] • وكان اشهر من ذكر من المولعين بهذه الهواية الخصيان[٣١٥] •

د - سباق الخيل والفروسية :

ان سباق الخيل قديم في بغداد ، وكان يحضره الخلفاء بانفسهم ،

---

(٣١١) الجاحظ : الحيوان : ٣ : ٧٩ ، ٢١٧ - ٢٣٠ ٢٦٩ - ٢٩٨ وأنظر رسكا : الحمام - دائرة المعارف الاسلامية مج ٨ ص ٦٧ - ٦٨ •

(٣١٢) السمان أو السماني : طائر من فصيلة الدجاج ، ويعد من القواطع • ويقال انه هو السلوى المذكور في القرآن والذي كان ينزل على بني اسرائيل في التيه كان من عاداته ان يسكت طوال الليل زمن الشتاء فاذا اقبل الربيع اخذ يصيح مع ابتلاج الصبح - القزويني : ٢٥٠ • قيل عن نوعية لحمه انه بين الدجاج والحجل - الدميري ١ : ٥٠٥ ، ٥٠٦ وأنظر حاشية كتاب الحيوان ٥ : ٢٤٦ •

(٣١٣) طائر يسكن الجبال كان من عادته انه اذا اجتمع ذكران على انثى تهارشا فاذا انهزم احدهما تبع الآخر الانثى - القزويني : ٢٥٥ •

(٣١٤) المسعودي : مروج ٨ : ٣٧٩ ، ابن الاخوة : ٢٤٢ •

(٣١٥) الجاحظ : الحيوان ١ : ١١٨ •

ومن الذين اشتهروا بذلك الخليفة المقتدر(٣١٦) . وكانت العامة تحضره للفرجة ، حيث يقام . وكانت تتحمس للحصان الفائز فتبادر الى تهنئة صاحبه(٣١٧) . الا ان المعلومات عن سير هذه السباقات وكيفية مكافأة الفائز والشروط التي يجب توفرها في الداخل او المشارك في هذه السباقات نادرة جدا لذلك لا يمكن رسم صورة واضحة لها .

اما الفروسية فكانت ـ كما هي الحال اليوم ـ مطمح انظار الشباب اذ تستهوي قلوبهم لما فيها من ألوان الشجاعة ولهذا رأينا الشباب من عامة بغداد يمارسونها فيتخذون لهم ازياء خاصة كحلق شعورهم باشكال معينة(٣١٨) . وبراعتهم في استعمال السلاح كالضرب بالسيف او الرمي عن القسي بالنبل(٣١٩) . واصبح التدريب على الرمي في هذا القرن من الامور الشائعة بين الشباب وقد يكون لشباب بغداد تأثير تعدى العراق الى الدول المجاورة في اشاعة هذا اللون من اعمال الفروسية(٣٢٠) . وبراعتهم في استعمال السلاح واعتدادهم بانفسهم هو الذي يفسر لنا وقوفهم مدافعين عن بغداد امام جيش البساسيري في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م(٣٢١) وامام الجيش السلجوقي في سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م و ٥٤٣هـ/١١٤٨م و ٥٥٢هـ/١١٥٧م(٣٢٢) .

واضافة الى استعمالهم السلاح فانهم كانوا يخرجون الى الصيد واسلحتهم في ذلك متنوعة بحسب الحيوانات التي يودون صيدها ؛ فان

---

(٣١٦) الهمداني : تكملة : ٥ سنة ٢٩٦هـ .

(٣١٧) ابن الجوزي : اخبار الحمقى : ١٣٦ .

(٣١٨) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٤٨ حوادث ٤٨٢هـ .

(٣١٩) ن٠م .

(٣٢٠) ن٠م : ٤٩ .

(٣٢١ ، ٣٢٢) سيأتي الكلام عن ذلك مفصلا في الفصل الخامس ص ٣١٣ .

كانوا قد خرجوا لصيد الطيور فانهم يحملون معهم قسي البندق • التي برع اهل بغداد في صناعتها[٣٢٣] كما ان بعضها كان يجلب من بلاد اخرى واشهرها (البروصية) نسبة الى بلاد بروص في الهند[٣٢٤] • اذ كان يؤتى بالقنا من بلاد بروص الى بغداد فتؤخذ ثم تبرى وتشق الى شقين فكل شق منها يصبح قوسا • اما اذا ارادوا الحصول على السهام فانهم يعمدون الى تفريق كل شقة من هاتين الشقتين[٣٢٥] • وفي وصف القناة البروصية قال الرقاشي[٣٢٦] •

من شِقَقٍ خُضرٍ بَروصياتِ صُفْرِ اللحاءِ وَخلوقياتِ
جُدلِنَ حتى إِضْنَ كالحيّاتِ رشائقا غيرَ مؤبْباتِ
أنفهنَّ متمطراتِ عمرو بن عُصفورٍ على استثباتِ

ولقد ذكر الجاحظ ان اشهر من عرف بصناعة الاقواس واستخراجها من القنا (في عصره) هو عمرو بن عصفور المذكور في هذه الابيات • وقد اورد ابياتا اخرى للرقاشي نفسه في وصف عصفور هذا ومهارته في صنعته[٣٢٧] •

وكان البندق الذي يرمى عن القوس عبارة عن كراة صغيرة من الطين المدملق[٣٢٨] • وقد يسمى البندق بـ (الجُلاهق) ويسمى قوسه

---

(٣٢٣) ابن النجار : ذيل ج ١٠ ورقة ١٥٥ (أ) •

(٣٢٤) البيروني : الجماهر : ١٧٢ وقد ذكر (بروص) الحموي على اعتبار انها من المدن الكبيرة في الهند ، وان بقربها خور بهذا الاسم — معجم البلدان ١ : ٥٠٦ ، ٢ : ٤٨٩ •

(٣٢٥) الجاحظ : البيان ٣ : ٥٠ •

(٣٢٦) ن٠م : ٧١ والرقاشي هو الشاعر الاديب الفضل بن عبدالصمد المعاصر لابي نؤاس — أنظر ابن النديم : الفهرست : ٢٣٨ •

(٣٢٧) الجاحظ : البيان ٢ : ٩٣ ، ٩٤ •

(٣٢٨) الجواليقي : ٦٩ ، ٩٦ •

ب (قوس جلاهق)[٣٢٩] •

وكانوا يصطادون الطيور بقوس البندق[٣٣٠] ، وفي ذلك يقول سبط ابن التعاويذي[٣٣١] •

لا تَخشَى املاقا اذا اعتلقتْ كفاكَ بي فالنجحُ في دَركي
فالنَّسرُ لو قَصَدتُه بندقة مني لاردته عن الفلك

ولقد اصبح من رسوم دار الخلافة ببغداد ، انه اذا جلس الخليفة جلوسا عاما[٣٣٢] ، حمل خادم بيده قوس بندق ليرمي به كل غراب او طير يقع قريبا من الموضع الذي يجلس فيه الخليفة ويحدث اصواتا[٣٣٣] • ويبدو ان استعمال قوس البندق اصبح من الكثرة بحيث دخل في امثال العوام فقالوا « مَنْ كَثُرَتْ بنادقه رمى طير الماء »[٣٣٤] • اما المواضع التي كان الشباب يرتادونها لصيد الطير فهي الشماسية شمال بغداد من الجانب الشرقي منها قرب دير سمالو ، حيث كانت هناك اجمة قصب تلتجيء اليها انواع الطيور[٣٣٥] •

اما اذا خرجوا لصيد الاسود فان اسلحتهم في ذلك لابد ان تكون النبال بدلا من قسي البندق • اما مناطق صيد الاسود فكانت قريبة من بغداد[٣٣٦] • يخرج اليها شباب كل محلة لوحدهم فاذا اصطادوا اسدا

---

(٣٢٩) ابن طيفور : تاريخ بغداد : ١٢ ، الجواليقي : ٦٩ ، ٩٦ •
(٣٣٠) سبط ابن التعاويذي : الديوان : ٢٢٥ •
(٣٣١) الديوان : ٣٨١ •
(٣٣٢) ويكون ذلك عندما يجلس الخليفة للنظر في مشاكل الناس •
(٣٣٣) الصابي : رسوم : ٨٢ ، ٩١ •
(٣٣٤) القاضي الجرجاني : ٦٩ •
(٣٣٥) الحموي : معجم البلدان ٢ : ٦٧ •
(٣٣٦) الخطيب البغدادي : تاريخ ٥ : ٣٤٨ ابن الجوزي : اخبار الحمقى : ١٣٧ •

طافوا به على بقية محال بغداد . ليتبجحوا بذلك ويظهروا فروسيتهم وشجاعتهم ، وهذا يؤدي بشباب المحال الاخرى الى الوقوف امامهم وتحديهم ، ومن ثم منعهم من المرور من محالهم . كما حدث في سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م عندما حمل اهل باب البصرة(٣٣٧) اسدا كانوا قد صادوه ، وارادوا التطواف به فلما مروا من محلة الحربية(٣٣٨) ليصلوا الى محلة باب التبن(٣٣٩) منعهم اهل الحربية فوقعت بينهم لذلك معركة ذهب ضحيتها قتلى من الطرفين(٣٤٠) . ولقد استمر صيد الاسود لما بعد القرن الخامس(٣٤١) .

وهكذا كانت الفروسية عند العامة حركة شعبية غير منظمة ، يجد فيها الشباب قتلا لفراغه ومجالا للتنفيس عن حيويته ونشاطه وكان لها بعض الطقوس تجلت في اتخاذهم زيا معينا ـ كما يبدو ـ وتدريبهم على الرمي عن القوس سواء كان ذلك بندقا او نبلا .

(٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩) محال تقع في الجانب الغربي من بغداد ـ سوسة : اطلس : ٩ .

(٣٤٠) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٤٧ .

(٣٤١) فقد وردنا عن قائعه انه حدث في ١٧ شعبان من سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م ـ ابن الاثير ١٢ : ٨٤ وفي ٢٠ شعبان من هذه السنة نفسها ـ ن.م ، وفي محرم سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م ـ ن.م : ١٣٦ ومن الجدير بالذكر القول بان صيد الاسود قرب بغداد قد استمر حتى العصر الحديث ـ سوسة : الفيضانات وغرق بغداد مجلة المجمع العلمي العراقي مج ١٠ ص ٥٠ لسنة ١٩٦٣ .

٣ ـ عادات مختلفة :

هذه جملة عادات كانت مستعملة مألوفة من قبل عامة بغداد متعلقة بحياتهم الاجتماعية في افراحهم واتراحهم وفي غير ذلك من شؤون حياتهم . وهذه الرسوم لم تكن وليدة القرن الخامس الهجري بل هي وليدة عصور سلفت ونتاج حضارات مختلفة كانت قد مزجت في بوتقة البيئة البغدادية فاصبحت من صفاتها ومميزاتها[٣٤٢] . ولقد بقي كثير من هذه الرسوم يستعمل في حياة عامة بغداد اليومية حتى يوم الناس هذا[٣٤٣] . ومن هذه الرسوم جلوس الناس على ابواب دورهم للتفرج على المارة[٣٤٤] . واستقبال الحاج عند عودته من زيارته الحرمين وتهنئته على سلامة الوصول وادائه فريضة الحج[٣٤٥] . والتفاخر بالانساب كان يقول احدهم انه من اولاد ابي بكر ، ويقول آخر انه من اولاد علي بن ابي طالب ، ويقول ثالث انه شريف من اولاد الحسن والحسين ، ويقول رابع انه قريب النسب من فلان العالم وهكذا[٣٤٦] .

واذا تزوج احد فقراء العامة او احدى فقيرات العامة استعار الاهل الملابس والحلي من الاقارب او المعارف من اجل الظهور بمظهر لائق في حفلة الزفاف[٣٤٧] . وقد يستأجرون الفرش وادوات الزينة[٣٤٨] . لنفس الغاية وكان على الرجل المتزوج حديثا ان يولم وليمة يدعو اليها

---

(٣٤٢) أنظر بعض هذه الرسوم في آدم متز ٢ : ٢٩٣ .

(٣٤٣) الشبيبي : مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢ : ٦٧ .

(٣٤٤) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٥٥٨ .

(٣٤٥) ابن الجوزي : تلبيس : ١٤٠ ، ٣٨٢ .

(٣٤٦) ن٠م : ٣٧٨ .

(٣٤٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٢١ .

(٣٤٨) آدم متز ٢ : ٢٩٥ .

أصدقاءه وأقاربه ومعارفه[٣٤٩] • واذا رزق بطفل فعليه ان يولم مرة اخرى[٣٥٠] •

وكانوا يحتفلون بختمة الاحداث للقرآن المجيد • فيلبسون احسن ثيابهم ويزينون دورهم ويضعون فيها مجامر الفضة ، ويوقدون فيها النيران الكثيرة • ويدعون بعض العلماء لحضور امثال هذه الاحتفالات[٣٥١] • كما يدعون اهل المحلة من نساء ورجال[٣٥٢] •

والى جانب ختمات الاحداث فقد كانت هناك ختمات يقوم بها الكبار في مناسبات معينة كالتي حدثت عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م على اثر دفن شيخ الحنابلة أبي جعفر ابن ابي موسى الهاشمي[٣٥٣] • الى جانب قبر أحمد بن حنبل فكان الناس يخرجون الى مقبرة أحمد بن حنبل فيبيتون هناك وهم يقرأون القرآن • ويبدو انهم من الكثرة بحيث اغروا باعة المأكولات على نقل مأكولاتهم هناك طيلة هذه الفترة • وقد قدر ابن الجوزي عدد الختمات هذه بعشرة آلاف ختمة[٣٥٤] •

والى جانب الاحتفال بختمات الاحداث كانوا يحتفلون بسماع الاحداث للحديث النبوي (ص) واحتفالهم بذلك كأحتفالهم بالختمات اذ يدعو والد الحدث اصدقائه الى وليمة يعملها لهذه الغاية[٣٥٥] •

اما الرسوم التي اتبعوها في حالة الحزن عند وفاة شخص ما فكانت تبدأ بغسل الميت ثم تكفينه ـ كما امرت الشريعة بذلك ـ ثم حمله الى

---

(٣٤٩) الخطيب البغدادي : تأريخ ١١ : ٣٠٢ •

(٣٥٠) ن•م •

(٣٥١) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٢ •

(٣٥٢) ن•م : ١١٠ •

(٣٥٣) أنظر ترجمته في الذهبي : العبر ٣ : ٢٧٣ •

(٣٥٤) المنتظم ٨ : ٣١٧ •

(٣٥٥) الخطيب البغدادي : تأريخ ١١ : ٣٠٢ ، ١٤ : ١٩٢ •

المقبرة وفي خلال مسير الجنازة من البيت الى المقبرة يبادر الناس الذين تمر بهم الجنازة الى السير خلفها بعض الوقت ، أو حملها لمسافة معينة مساعدة منهم لأهل الجنازة . أما أقارب الميت ومعارفه فانهم يواصلون سيرهم حاملين للجنازة أو سائرين خلفها حتى يدخلوها القبر[٣٥٦] . اما اذا كان المتوفى رجلا فقيرا أو غريبا غير معروف فان عدد مشيعيه يكون قليلا[٣٥٧] .

وكان السائرون خلف الجنازة ينادون أحيانا اظهاراً لتفجعهم على المتوفى . كما حدث ذلك بالنسبة لمشيعي جنازة الخطيب البغدادي عندما توفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م فأخذوا ينادون « هذا الذي كان يذب عن عهود الله ، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله (ص) »[٣٥٨] . وقد تخرج نائحة تنوح خلف الجنازة[٣٥٩] . أو يؤتى بمنشدين من أصحاب الاذكار فيسيرون خلف الجنازة وهم يقومون بالتهاليل ، وترتيل الالحان[٣٦٠] .

اما بالنسبة للنصارى فكانوا يشيعون موتاهم بالنواح وضرب الطبول والنفخ بالزمور يرافقهم في سيرهم الرهبان واناس يحملون الصلبان والشموع[٣٦١] .

لقد كان تشييع الجنازة بالنسبة للمسلمين سنة نبوية يرجو القائم بها طلب الثواب من الله تعالى . الا ان بعض الناس كان يذهب مع المشيعين رياء ونفاقا لا تفاجعا على الميت ، ولا طلبا للثواب فتراه يتكلم أثناء التشييع عن

---

(٣٥٦) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٧٨ .
(٣٥٧) م٠ن .
(٣٥٨) ابن الدمياطي : المستفاد ـ خط ح ٢ ورقة ١٩ .
(٣٥٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٣١ .
(٣٦٠) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : ٢٣٧ حوادث ٦٤٦هـ .
(٣٦١) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٦٢ .

المتوفى وكم كان قد خلف وراءه من مال لورثته[٣٦٢] .

وبعد ان يصل المشيعون بالجنازة الى المقبرة يضعونها داخل القبر ويوارونها التراب[٣٦٣] . الا ان بعض الموسرين كانوا قد خالفوا هذه القاعدة اذ كانوا يدفنون مع موتاهم التابوت الذي تحمل به الجنازة وملابس المتوفى ويبنون عليها القبور بالجص والآجر[٣٦٤] . اما مكان دفن الموتى فقد اعتاد أهل بغداد ان يدفنوا موتاهم خارج أسوارها[٣٦٥] وداخل أسوارها أيضا[٣٦٦] . كما ان بعضهم كان يدفن موتاه قرب مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب بكربلاء[٣٦٧] .

وبعد دفن الميت كان الناس يعزون اهله ويطيبون خاطرهم ويصبرونهم على بلواهم[٣٦٨] . ثم تعقد بعد ذلك مجالس المأتم التي يقرأ فيها القرآن . وكان هناك نوعان من هذه المجالس نوع للرجال وآخر للنساء . وفي مجالس النساء يؤتى بقراء عميان أو بقارئات من النساء[٣٦٩] . وبعد مرور شهر على الوفاة يعقد أهل المتوفى مجلسا للوعظ[٣٧٠] . ويكون لباسهم خلال هذه الفترة (الدون من الثياب) ويبقون على تلك الحال لمدة شهر وربما تصل الى ستة أشهر[٣٧١] . وهذه الملابس تكون عادة

---

(٣٦٢) ورام : تنبيه ١ : ٢٨٤ .
(٣٦٣) الخطيب البغدادي : تأريخ ٣ : ٣١١ .
(٣٦٤) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٥ .
(٣٦٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣١٧ .
(٣٦٦) أنظر مصطفى جواد وسوسة : دليل : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وأنظر كلمة (مقبرة) في فهرست الامكنة والبقاع .
(٣٦٧) الشريف الرضي : الديوان : ١٢٩ .
(٣٦٨) الخطيب البغدادي : تأريخ ٤ : ٣٢ ، ٥ : ٣ .
(٣٦٩) السقطي : ٦٨ .
(٣٧٠) ابن الاخوة : ١٨٠ .
(٣٧١) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٦ .

سوداء ، سواء كان المحزون رجلا أو امرأة[٣٧٢] وانهم لا ينامون على سطوح منازلهم طيلة هذه المدة[٣٧٣] .

اما اذا توفى الخليفة فان الحزن يلف بغداد جميعها ، فترى أسواقها مغلقة وقد علقت الاقمشة السوداء (المسوح) على جدرانها . وجلس الوزير وكبار رجال الدولة للعزاء في صحن السلام بدار الخليفة . ثم يتوافد الناس بعد ذلك الى دار الخلافة . وقد يؤمرون بتخريق ثيابهم وتشويش عمائهم وتحفى أرجلهم اظهارا للحزن على الخليفة كما حدث ذلك في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م عندما توفى ابن الخليفة القائم بامر الله (ذخيرة الدين أبو العباس محمد)[٣٧٤] . ولقد حدث نفس الشيء سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م عند وفاة الخليفة القائم بامر الله نفسه . فبعد ان علقت الاقمشة السوداء وغلقت الاسواق جلس الوزير وكبار رجال الدولة مدة ثلاثة أيام في صحن دار السلام بدار الخلافة . وقد أخذ نائح معروف آنذاك باسم (عبدالكريم) يطوف في الطرقات ينوح على الخليفة . ثم توافد الناس لحضور مجلس العزاء[٣٧٥] .

وهكذا كانت العامة تحضر مجالس عزاء الخلفاء وتشارك رجال الحكومة في اظهار الحزن عليهم وهي في ذلك تطبق العرف السائد بين أفرادها .

---

(٣٧٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣٩٥ حوادث ٤٦٩هـ ، الاصبهاني : الخريدة ١٥٥ ، ١٨٢ .

(٣٧٣) م.س .

(٣٧٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٦٥ .

(٣٧٥) ن.م : ٢٩٥ .

الفصل الرابع

العلاقات الاجتماعية عند العامة

١ ـ المرأة والرجل :

كان الرجل اذا أراد الزواج فانه يكلف احدى قريباته أو معارفه لتختار له فتاة صالحة يتخذها زوجة له[١] . وقد يكلف دلالة لتقوم له بهذه المهمة[٢] . ويبدو من بعض الاخبار ان النساء كن يتفقن مع الدلالة من أجل ان يحصلن على أزواج لهن . وخاصة اذا كن عانسات أو ثيبات . ومن أجل ذلك قد تغش الدلالة طالب الزواج فتصف له بعض النساء المتفقات معها ، على غير حقيقتهن . كأن تتلاعب بالالفاظ أثناء وصفها له ، وبذلك تبرىء ذمتها من الكذب فمن ذلك ان دلالة جاءت الى رجل فقالت له « عندي لك امرأة كأنها طاقة نرجس . فتزوجها ، فاذا هي عجوز قبيحة . فقال للدلالة غششتني فقالت لا والله ، انما شبهتها بطاقة نرجس لان شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر »[٣] .

وكان أهم ما يوصي الرجل الخاطبة (سواء كانت من أقاربه أو دلالة) عند الاختيار ، هو ملاحظة جمال المخطوبة وأخلاقها[٤] . وفي كلا الحالين فانه لا يستطيع ان يرى الفتاة المخطوبة ، حتى تزف اليه[٥] .

وكان أصدقاء الرجل ومعارفه اذا أرادوا معرفة جمال المخطوبة فانهم يعمدون الى سؤاله عنها فان قال « ان رغبتنا في العفاف » استنتجوا انه قد تزوج امرأة فقيرة وقبيحة[٦] .

---

(١) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٦٣٢ .
(٢) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٩٨ .
(٣) ن٠م ٠
(٤) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٦٣٢ .
(٥) ن٠م ٠
(٦) القاضي الجرجاني : ١٣٦ .

وكانت المرأة تزف الى دار الرجل ، حيث تسكن معه[7] . وكان الاب هو ولي أمر البنت ، فلذلك كان أخذ موافقته ضروريا . وكانت العادة الجارية في مثل هذه الاحوال ، ان يسأل والد البنت الناس عن الرجل المتقدم لخطبة ابنته . لكي يتعرف على شخصه ، ومدى صلاحه كزوج لابنته[8] .

ومن التقاليد العربية الموروثة ، ان يتزوج الرجل ابنة عمه[9] . الا اذا أراد أبوها عامدا ان يعدل بها عن ابن عمها ، الى رجل غريب[10] . وكان الرجل بعد زواجه بابنة عمه ، لا يستطيع ان يتزوج بامرأة سواها ، فان فعل ذلك فان عليه ان يسلك سبيل الكتمان ؛ والا جلب على نفسه كثيرا من المشاكل[11] .

وقد يجمع الرجل في بيته زوجتين ، يسكن احداهما في الطابق السفلي ، والاخرى في الطابق العلوي[12] . وقد تكون ثلاث زوجات في وقت واحد وفي دار واحدة . ومن الطبيعي ان يكون ذلك من الامور المتعبة للرجل . فعليه ان يرضيهن جميعا ؛ فيقسم كل ما يشتريه بينهن بالتساوي . وحتى لياليه[13] . ولكن قد يميل أحد الازواج الى احدى نسائه دون الباقيات ، فيخصها بعنايته[14] .

---

(٧) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٣٢١ انظر ابن الاثير ١٠ : ٢٠٥ .

(٨) ابن الجوزي : تلبيس : ١١٤ .

(٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ١٧٨ ، وابن الجوزي : صفة ٢ : ٢٩٩ .

(١٠) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٧٩ .

(١١) ن٠م .

(١٢) ابن الجوزي : الاذكياء : ٨٢ .

(١٣) ن٠م : ٥٩ ، ٦٠ .

(١٤) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٥ .

وكان الرجل اذا تزوج آكثر من واحدة ، فكل امرأة تصبح بالنسبة للاخرى (ضرة)[١٥] . وعند ذلك تشتد بينهن العداوة وعداوة الضرائر من الامور المشهورة ، لذلك يقال للناس الذين تشتد عداوتهم « كأن بينهم داء الضرائر »[١٦] ـ وكانت أم كل زوجة تقوم بمساندة ابنتها ضد ضرتها[١٧] .

ولكن الاكتفاء بامرأة واحدة كان هو الاكثر شيوعا . نظرا للمشاكل التي تحدث للرجل نتيجة لتعدد زوجاته ، كما رأينا وعملا بقوله تعالى « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم »[١٨] . أو قوله تعالى « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »[٩] . ولهذا رأينا الادباء يحببون الى الناس الاقتصار على زوجة واحدة ، فمن ذلك ما قام به بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) حيث صور سعادة أحد تجار بغداد بزوجته الواحدة وهو يصفها على لسانه مخاطبا ضيفا له « يا مولاي لو رأيتها والخرقة في وسطها ، وهي تدور في الدور ، من التنور الى القدور . ومن القدور الى التنور . تنفث بفيها النار . وتدق بيديها الابزار . ولو رأيت الدخان وقد غبر في ذلك الوجه الجميل ، واثر في ذلك الخد الصقيل ، لرأيت منظرا تحار فيه العيون . وانا اعشقها لانها تعشقني . ومن سعادة المرء ان يرزق المساعدة من خليلته ، وان يسعد بضعينته »[٢٠] . وكذلك رأينا هذا التوجيه للناس في شعر ابي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) حيث يقول[٢١] :

---

(١٥) الخطيب البغدادي : تاريخ ١ : ٣٢١ .
(١٦) الثعالبي : التمثيل ١ : ٢١٤ .
(١٧) م.س .
(١٨) سورة النساء : الآية ٣ .
(١٩) سورة النساء : الآية ١٢٩ .
(٢٠) المقامات : المقامة المضيرية : ١٠٦ .
(٢١) لزوم ما لا يلزم ٢ : ٢٤٢ .

متى تشـرك مع امرأة سواها   فقد اخطأت في الرأي التريك
فلو يرجى مع الشركاء خير   لما كان الالـه بلا شريك

فكانت العائلة متكونة من الزوج والزوجة (أو الزوجات) والاولاد ـ بنين وبنات ـ اضافة الى الاب والام (أي الجد والجدة) والاخوات ان وجدوا[٢٢] • وقد تكون العائلة أكبر من ذلك فتضم علاوة على الجد والجدة عدة أبناء وكل له زوجة[٢٣] •

ولم تكن كثرة عدد أفراد العائلة دليلا على سعة الحال ، اذ قد تكون العائلة كبيرة ومعيلها فقيرا أو متوسط الحال • فقد جاء عن عبدالله بن سليمان السجستاني (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م) وهو عالم زاهد ، انه انجب ثمانية أولاد وخمس بنات[٢٤] • وجاء عن محمد بن أبي بكر المعروف بابن الخاضبة (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٥م) انه كان يشتغل بالوراقة ويعيل عائلة متكونة منه ومن زوجته وامه وبناته[٢٥] • لهـذا شكا كثير من الناس كثرة العيال[٢٦] •

كانت العروس تجهز قبل العرس ، وقد يتولى أبوها تجهيزها فينفق في سبيل ذلك الاموال • كأن يصوغ لها « دستا من الفضـة »[٢٧] • واظن ان ذلك كان يحدث بالنسبة للعوائل الغنية فقط • كهدية من الوالد الى ابنته في مثل هذه المناسبة • ثم تجلى العروس بعد ذلك لتهيأ قبل اقامة العـرس[٢٨] •

---

(٢٢) ابن الجوزي : صفة ٢ : ٢٢٩ •
(٢٣) ألف ليلة وليلة : مج ١ : ١١ •
(٢٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ٩ : ٤٦٨ •
(٢٥) ابن الدمياطي : المستفاد : ج ١ : ورقة ٤ •
(٢٦) الماوردي : أدب الدنيا : ١٧٦ •
(٢٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٢ •
(٢٨) ابن عبدون وآخرون : ثلاث رسائل اندلسية : ٨٣ •

وحفلات العرس كانت تقام في دار العريس بعد ان تهيأ لذلك . ثم يوضع على بابها بوابا يمنع الغرباء من الدخول[29] . وبعد ان يتكامل عدد المدعوين ، تقدم اليهم الاطعمة الشهية ، والاشربة المنوعة[30] . لذلك كانت امثال هذه المناسبات مطمح انظار الطفيليين عادة . فيقصدونها للظفر بأكلة شهية او الحصول على شيء مما يقدم او ينثر . ولذلك وصف احد الطفيليين بـ(طفيلي العرائس) لكثرة تردداه على حفلات الاعراس . ولهذا الطفيلي وصية لابنه يوصيه بها قبل وفاته قائلا له « اذا دخلت عرسا فلا تلتفت تلفت المريب . وتخير المجالس، فان كان العرس كثير الزحام، فأمر وانه . ولا تنظر في عيون اهل المرأة ، ولا في عيون اهل الرجل . ليظن هؤلاء انك من هؤلاء وليظن هؤلاء انك من هؤلاء . فان كان البواب غليظا وقاحا فابدأ به ومره وانهه من غير ان تعنفه . وعليك بكلام بين النصيحة والادلال »[31] .

ثم يزف الرجل الى عروسه . وفي صبيحة اليوم التالي للبناء عليها (الدخلة) فان عليه ان يقدم الى زوجته صُبحيَّة . وهذه الصبحية التي يصبحها بها قد تكون طعاما او مالا[32] .

وكان المجتمع البغدادي يقبل من الرجل المسلم ان يتزوج امرأة مسيحية ،اذ يعتبر ذلك موافقا للشرع . ولكنه لا يقبل حدوث العكس اي ان تتزوج مسلمة برجل مسيحي[33] .

---

(٢٩) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، وابن الجوزي : الاذكياء : ١٣١ .

(٣٠) ابن الجوزي : الاذكياء : ١٣١ .

(٣١) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٦٨ .

(٣٢) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٨٩ وهذه العادة لا تزال جارية في المجتمع البغدادي بصورة خاصة والمجتمع العراقي بصورة عامة .

(٣٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٢٣٠ .

ويبدو من الاخبار الواردة بصورة عامة ان المشاكل العائلية كانت قليلة وان حدوثها يعود لاسباب منها سوء سلوك احد الزوجين[٣٤] . وصعوبة تكاليف المعيشة التي تضطر الزوج الى التقتير ، وعدم اعطاء اهله ما يكفيهم[٣٥] . لذلك رأينا احدى الزوجات تشكو زوجها نتيجة لما كانت تعانيه من ضيق فتقول له « والله ما يقيم الفار في بيتك الا لحب الوطن. والا فهن يسترزقن من بيوت الجيران »[٣٦] وقد تحدث المشاكسات بين الزوجين نتيجة لتصرف الزوجة بأموال زوجها دون علم منه . لكي تنفقها على نفسها او لاغراض خاصة[٣٧] ، كأن تعطي من ينجم لها بالحصى ، او يسحر لها ، او يعمل لها « نسخة محبة ، وعقد لسان »[٣٨] . وكثرة لجوء الرجال الى لفظ الطلاق كان سببا آخر في ايجاد المشاكل العائلية سواء كان ذلك لأمر وجيه أو تافه[٣٩] . وربما كان اقوى الاسباب في وجود المشاكل العائلية هو اتخاذ الرجل جارية للتسري ، وتركه حقوق زوجته[٤٠] .

اما اذا استحال ايجاد وفاق بين الزوجين فانهما يلجآن الى الطلاق . وقد يستعمل بعض الرجال وسيلة اخرى من دون ان يلفظوا كلمة الطلاق لكي يتخلصوا من تبعته[٤١] . وذلك انهم يلجأون الى ايذاء ازواجهم حتى

---

(٣٤) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٧ .
(٣٥) ابن الجوزي : المدهش : ١٧٠ .
(٣٦) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٩٨ .
(٣٧) ابن الجوزي : الاذكياء : ٨١ .
(٣٨) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٧ .
(٣٩) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٤٠٨ ، ابن الجوزي : الاذكياء : ٨١ ، وتلبيس : ١٣٤ .
(٤٠) التنوخي : نشوار ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ مجلة المجمع مج ١٧ أنظر ابن الهبارية : الصادح : ٧٦ .
(٤١) لمعرفة تبعة الطلاق أنظر ابن رشد ٢ : ٦٦ وما بعدها .



يسقطن مهرهن (صداقهن) ويطالبن بالطلاق[٤٢] . ومن الامثلة الطريفة على الزواج الفاشل ان رجلا سئل ذات يوم « اتحب ان تموت امرأتك ؟ قال : لا ، قيل ولم ؟ : قال اخاف ان اموت من الفرح »[٤٣] .

كانت النساء لا يختلطن بالرجال . فكن عند اقامة الاحتفالات مثل الاعراس أو حفلات الختان ، أو عندما يكون في الدار بعض الغرباء ، يلجأن الى مكان منعزل في احدى الغرف[٤٤] . أو يصعدن فوق السطح ومن هناك يتفرجن على سير الوليمة او الاحتفال[٤٥] . وقد تقف المرأة بمفردها او بصحبة بعض النسوة على باب الدار للتفرج على المواكب التي يسير فيها السلطان[٤٦] . وكان من المعصية لله ان ينظر رجل الى نساء او بنات احد من الناس[٤٧] . وكان المجتمع البغدادي لا يسمح لرجل ان ينظر من شباك داره الى جيرانه[٤٨] . وقد يؤدي التفرج على نساء الجيران الى قتل المتفرج[٤٩] .

واذا دخل رجل الى احدى الدور نرى النساء يسرعن الى وضع خمرهن[٥٠] . أو تغطية وجوههن[٥١] . وكن يعملن الشيء نفسه اذا خرجن من البيت وصرن في الطريق[٥٢] اذ ان كشف الوجه بالنسبة

(٤٢) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٥ .
(٤٣) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٨٢ .
(٤٤) الخطيب البغدادي : التطفيل : ٢٣ .
(٤٥) الغزالي : احياء ٢ : ٣٣٤ .
(٤٦) ابن الاثير ١١ : ٦٥ .
(٤٧) ابن الجوزي : الاذكياء : ١٣١ .
(٤٨) ن٠م : ٣٨ .
(٤٩) ن٠م .
(٥٠) ابن الجوزي : صفة ٢ : ٢٣٠ .
(٥١) ألف ليلة وليلة : مج ١ : ١٠ ـ ١٣ .
(٥٢) ابن العبري : ١٥٩ .

للمرأة كان يعد من المعاصي(٥٣) . الا ان هناك حالات خاصة كانت النساء ؛ فيها يكشفن عن وجوههن ؛ كحدوث اضطراب سياسي يؤدي بالحرس المحيطين بقصر الخلافة الى كشف وجه الداخلات الى القصر للتأكد من هويتهن خوفا من اشتراكهن في المؤامرات . او خوفا من هروب ـ بعض المطلوبين ـ بزي امرأة(٥٤) . وقد تسفر المرأة عن وجهها عند حدوث وفاة في عائلتها فتنسى من شدة الذهول والحزن ان تضع النقاب على وجهها(٥٥) . او ان تكشف عن وجهها ورأسها عند تشييع الجنازة مبالغة في الحزن والتفجع على المتوفى(٥٦) . كما حدث في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م على اثر اندحار جيش المسترشد امام جيش السلطان مسعود السلجوقي اذ خرجت النساء حاسرات يندبن في الاسواق(٥٧) . وقد تكرر خروجهن عندما قتل الخليفة المسترشد ، فنشرن شعورهن . وهن يلطمن وينشدن الاشعار(٥٨) والظاهر ان هذه العادة عند النساء البغداديات اثناء اقامة العزاء كانت متبعة ومعروفة(٥٩) .

ولم يكن المجتمع البغدادي يستسيغ الاختلاط بين النساء والرجال في الطرقات وكان المحتسب لا يسمح حتى للزوجين ان يجتمعا في طريق خال من المارة(٦٠) . وكان يفصل بين الرجال والنساء اثناء ركوب

---

(٥٣) الغزالي : احياء ٢ : ٣٠٩ .
(٥٤) ابن الجوزي : المنتظم ٦ : ٢٦٥ ، ابن العبري : ١٥٩ .
(٥٥) ابن الجوزي : ذم الهوى : ١٢٨ .
(٥٦) الشيزري : ١٠٩ .
(٥٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٤٦ ولقد ذكرنا في الفصل الاول خروج الجواري من دار الخلافة بهذه المناسبة .
(٥٨) ن.م .
(٥٩) سبط ابن الجوزي : ج ٨ ق ١ ص ١٥٨ .
(٦٠) الماوردي : الاحكام : ٢٤٩ ، وأبو يعلى : الاحكام : ٢٧٨ وأنظر الغزالي احياء ٢ : ٣٢٠ .

الزوارق عند عبور دجلة[٦١] • ولم يكتف المحتسب بذلك بل اصدر أمره في سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م بمنع النساء من العبور مع الرجال في الزوارق[٦٢] وتكرر هذا المنع في سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م ايضا[٦٣] •

ومع كل هذه القيود الاجتماعية التي تحول دون اختلاط الجنسين فان النساء لم يعدمن وسائل كثيرة للاختلاط بالرجال • وكذلك الامر بالنسبة للرجال • فقد كانت بعض النساء يحضرن مجالس الوعظ في المساجد[٦٤] وكان عدد النساء اللاتي يحضرن امثال هذه المجالس كثيرا ، فقد ذكر في سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م انه قدم بغداد واعظ من اهل مدينة مرو اسمه اردشير بن منصور أبو الحسين العبادي وانه جلس للوعظ في المدرسة النظامية • فكثر الناس عليه ـ وكان في جملة الحضور ابو حامد الغزالي ـ وقد ذرعت الارض التي كان يجلس عليها الرجال فكان طولها ١٧٠ ذراعا وعرضها ١٢٠ ذراعا • اما عدد من حضر من النساء فقد قدرن بـ ٣٠٠٠٠ امرأة[٦٥] • فان كان في هذا التخمين شيء من المبالغة فان مما لا شك فيه ان يصور بشكل واضح كثرة من كن يحضرن مجالس الوعظ • وجاء في سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ان الخليفة تقدم بفتح جامع القصر ، وان يصلى فيه التراويح ـ ولم تكن العادة جارية بذلك ـ ويبدو ان النساء كن يخرجن للتفرج ليلا باعداد كبيرة • لذلك امر الخليفة المحتسب ان ينهي النساء عن الخروج ليلا للتفرج على صلاة التراويح[٦٦] •

وكن يحضرن تكايا الصوفية ، وقد تلبس بعضهن المرقعة من لدن

---

(٦١) الماوردي : الاحكام : ٢٥٧ ابن الاخوة : ٢٢٢ •
(٦٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٥٩ •
(٦٣) ن٠م ١٠ : ١١٧ •
(٦٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ١٢ : ٧٦ •
(٦٥) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٧٥ ، ابن الاثير ١٠ : ٨٤ •
(٦٦) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ١٢٣ •

شيخ الطريقة وتصبح عند ذلك « من بناته »[٦٧] ، أو من « بنات المنبر » كما كانت تسمى[٦٨] أيضا .

ومن المجالات التي يمكن ان يلتقي بها الرجال بالنساء ـ دونما وعد سابق ـ الاسواق وشطوط الانهار ، وأبواب الحمامات النسائية ، وعند زيارة القبور[٦٩] . وعند مراجعة دواوين الحكومة[٧٠] .

وكان الشباب يقفون على الجسر ليتفرجوا على النساء العابرات . وكانوا يسمعوهن كلمات الغزل . وقد يتبادلون واياهن امثال تلك الكلمات خاصة اذا كن ممن يستجيب لدواعي الغزل[٧١] . حيث كن اثناء خروجهن من البيت يتجملن ويعتنين بمظهرهن[٧٢] .

ان الخروج على القيم الاجتماعية العربية لم يكن وليد القرن الخامس الهجري ، فقد ظهر منذ فترة اقدم . وفي هذا قال عطاء[٧٣] « كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها . وان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار . فاليوم يشير اليها وتشير اليه ، فاذا التقيا لم يشكوا حبا ، ولم ينشدا شعرا ، وقام اليها كأنه اشهد على نكاحها ابا هريرة واصحابه »[٧٤] . ولهذا وردتنا بعض الاخبار عن حوادث غرامية كالتي وقعت عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م عندما خنق شاب يعرف بابن الرواس من اهل محلة الكرخ نفسه بعد سماعه بوفاة امرأة كان

---

(٦٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٦١ .
(٦٨) ن٠م : ٣٨٧ .
(٦٩) الشيزري : ١٠٩ ، وأنظر ابن الجوزي تلبيس : ٣٨٧ .
(٧٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٧٨ .
(٧١) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٩٨ .
(٧٢) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٨٧ .
(٧٣) لم نعرف بالضبط من عطاء هذا .
(٧٤) ابن قيم الجوزية : أخبار النساء : ١٨ .

يحبها[٧٥] • وكالتي وقعت عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م عندما اغتصب شاب فتاة هاشمية كانت قد بادلته الحب • وسرى الخبر الى الهاشميين ببغداد فثاروا مما أدى بالحكومة الى التدخل لفظ النزاع بان استجوبت الرجل ، الا انه انكر ولعدم ثبوت الادلة ضده افرج عنه الا ان والد الفتاة قتلها غسلا للعار[٧٦] •

وكان الرجال يلتقون بالنساء خفية في الليل[٧٧] • ولكن ذلك كان من قبيل المغامرة ، اذ انهم بمحاولتهم الالتقاء بالنساء يعرضون انفسهم الى انتقام ذويهن كما حدث في سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م عندما دخل صبي الى داره فوجد فيه رجلا غريبا عند اخته ، فما كان منه الا ان اسرع الى قتل ذلك الرجل[٧٨] • وقد يقوم بمهمة القتل هذه زوج المرأة اذا علم باتصالها برجل آخر[٧٩] •

وقد يكون الحب طاهرا بين الرجل والمرأة فيلتقيا دونما فحش[٨٠] • وقد يخاطر الرجل بنفسه من اجل ان يرى محبوبته او ان يلتقي بها[٨١] • وربما احب الرجل الفتاة من دون ان يعرف عنها شيئا ثم يكتشف بعد ذلك انها ابنة لاحد معارفه او اصدقائه فيتركها وشأنها خجلا من افتضاح امره[٨٢] • وربما تزاحم العشاق حول فتاة معينة وكل منهم يرى بانه احق بحبها من غيره • وقد تؤدي هذه المنافسة فيما بينهم الى القتال كما

---

(٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٩٧ •
(٧٦) ن٠م ٩ : ١٦ •
(٧٧) ابن الجوزي : الاذكياء : ٦٠ •
(٧٨) م٠س : ١٤٨ •
(٧٩) ابن الجوزي : الاذكياء : ٥١ •
(٨٠) ابن الجوزي : ذم الهوى ٢٦٨ •
(٨١) ن٠م : ٦٥٦ •
(٨٢) ن٠م : ٦٥٧ •

حدث عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٨٣] .

لقد ذكرنا بعض المناسبات التي تتيح للنساء الالتقاء بالرجال ، العفوية منها التي تحدث دونما وعد سابق ، او التي كانت تحدث بناء على وعد مضروب . ولكن خوفا من الفضيحة فقد استعملت بنات البيوت المخدرات وسائل اكثر خفية للاتصال بمن يهوين لكي لا يقعن تحت طائلة المجتمع . فكن يرسلن الاموال ، والهدايا ، ويرسلن الرسائل ، اذا تعذر الالتقاء مباشرة . واذا بالغن في الحيطة والحذر اكتفين بالنظر من خلف الشبابيك . وكن يغتنمن فرص الاعياد ، وبعض المناسبات للالتقاء بمن يردن[٨٤] . وقد جاء ذكر لاحدى المحجبات وربات الخدور انها عشقت أحد العلماء المسمى عبيدالله بن أحمد بن السمسار بن محمد الداودي القاضي (ت ٣٦١هـ/٩٧١م) وذلك انها كانت تراقبه اثناء مسيره من امام دارها ، حيث كانت تقف خلف باب الدار . ولما بلغ بها الوجد حدا لا يطاق عمدت الى رجل ــ كان يصاحب الشخص المذكور في ذهابه وايابه ــ وقالت له انها تشتهي ان تستفتي صاحبه في مسألة وانها تستحي ان تخاطبه على الطريق . وطلبت منه ان يعمل على ادخاله الى مسجد مقابل باب دارها لتسأله فيه . ودفعت اليه دملجا من اجل هذه الخدمة التي سيقوم بها . الا انه رفض ان يأخذه منها ، ولكنه وعدها انه سيحاول ذلك عند عودتهما من المسجد . فلما عاد من المسجد ومرا من أمام دارهما على عادتهما استوقف الرجل صاحبه العالم . وطلب منه ان ينتظره عند مدخل الجامع المقابل لدار تلك المرأة ريثما يقضي حاجة في ذلك الجامع . فلما قضى حاجته (كما تظاهر) وعاد وجد المرأة تشكو الى العالم وتقول له « والله اني لاحبك واني لأشتهي ان انظر اليك » فسألها العالم ان كان لها زوج .

---

(٨٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٦ .
(٨٤) الوشاء : ١٥٣ .

ثم لم ينتظر جوابها بل اطرق وانشأ يقول :

اما الحـرام فلسـت اركب محرما　　ووصـال مثلك في الحلال شديد
إن امـرأ أمسيت ملك يمينـه　　فقضى عليك بحكمه لسعيد[٨٥]

وترك بعد ذلك المرور من ذلك الطريق[٨٦] .

ويبدو من الاخبار الواردة ان عشق الجواري كان ايسر من عشق الحرائر . وذلك لانهن (الجواري) بطبيعـة تكوينهن ونشـأتهن ، من حيث المتاجرة بهن ، وحملهن من سوق الى أخرى[٨٧] ، يعرفن الشيء الكثير من وسائل الاغراء . وهذا مما يجعلهن اقرب للقلب . وبالاضافة الى ذلك فـان عشـق الحرائر يولد مشـاكل كثيرة نتيجة القيود الاجتمـاعية السائدة[٨٨] .

وكان بعض الشباب من المسلمين يقعون في حب فتيات من النصارى. وكان تعرفهم عليهن يجري باشكال مختلفة . كأن يرى الشاب اثناء مروره في احدى الازقة فتاة في دارها فيعشقها[٨٩] . وقـد يكون الفتى مؤذنا في مسجد فيراها فوق السطح ويعشقها[٩٠] . وربما رآها في احدى أماكن الالتقاء بين الرجال والنساء التي مر ذكرها . وكان هذا الحب قويا في بعض الاحيان يؤدي الى جنون بعض الشباب[٩١] .

ومن جهة اخرى فان الشابة المسلمة قد تهوى شابا غير مسلم فتعشقه

---

(٨٥) كان البيت هكذا :
ان امرأ آسيت ملك يمينه　　نقص عليـك بحكمـه لسعيد
(٨٦) ابن النجار : خط ج ١٠ ـ ورقة ٧٩ .
(٨٧) أنظر الفصل الاول (أ ـ الخدم) ص ١٨ ـ ٢٤ .
(٨٨) الوشاء : ١٢٧ .
(٨٩) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٥٩ .
(٩٠) ن.م .
(٩١) ن.م .

وقد تنزلق معه . كما حدث عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م فأدى الى أحراقها[٩٢] .

ولم تنس المرأة نفسها وهي منشغلة بادارة البيت[٩٣] ، أو طلب الرزق في خارجه[٩٤] . لذلك اعطت بعض وقتها للاعتناء بمظهرها وابراز جمالها[٩٥] . ولم يكن هذا الاعتناء مقصورا على فئة معينة من النساء بل كان شائعا بينهن جميعا . ولقد ساعدت على انتشاره جملة امور . منها التقليد ، اذ ان واضعات الازياء ومبتكراته على الاغلب كن من المترفات كزوجات وجواري الخلفاء والامراء والسلاطين وكبار التجار اللاتي كن يفنن في وضع الازياء (المودة) فتنتقل منهن الى نساء الشعب المختلفة ، والتي ما ان تشيع حتى تظهر هاتيك المبتكرات أزياء أخرى تغاير النوع الاول . وهكذا كان استحداث الازياء يتم من قبل ذوات اليسار ثم يشيع في بقية نساء المجتمع البغدادي[٩٦] . وشيوع اتخاذ الجواري كان سببا آخر في شيوع أصناف الزينة المختلفة ؛ اذ أنهن دأبن على اظهار جمالهن ، واخفاء عيوبهن ، ليرقن بنظر الشاري أو المالك لهن . ولما كانت الحرائر على اتصال بهن ؛ بشكل او بآخر ، فكان تقليدهن امرا لابد منه[٩٧] . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان شيوع اتخاذ الجواري وسهولته لابد ان يولد في قلوب الحرائر الغيرة منهن على ازواجهن مما دفعهن الى استخدام وسائل الزينة للظهور امام ازواجهن بمظهر جميل ولكي يبعدنهم عن التفكير باتخاذ الجواري . ثم ان رقي

---

(٩٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٥٨ .

(٩٣) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٢٧ .

(٩٤) أنظر الفصل الاول (ج ـ العمال) .

(٩٥) أنظر الفصل الثاني (٣ ـ الملابس) .

(٩٦) اليعقوبي : مشاكلة : ٢٦ ، ٢٧ وأنظر عاشور : المجتمع المصري : ٢٢٠ ، ٢٢١ والمنجد : بين الخلفاء والخلعاء : ١٥٠ .

(٩٧) أنظر الفصل الاول (أ ـ الخدم) ص ٣٤ ، ٣٥ .

الدولة العباسية وتقدمها في مدارج الحضارة اسهم ولا شك في تقدم وسائل التجميل التي كانت معروفة قبل ذلك ، كما شمل التقدم جميع نواحي الحيـاة اليومية ، ثم ان رقي الدولة العباسية في مجال الصناعة والتجارة ادى الى امتلاء اسواق بغداد بشتى صنوف ادوات الزينة والتجميل من عطور ودهان واصباغ وملابس وغيرها[٩٨] • واضافة الى هذه الاسباب فان هناك من يضيف سببا آخر لا نراه يستقيم مع بقية الاسباب وهو كثرة الفتن والحروب التي ادت الى موت كثير من الرجال وهذا بدوره ادى الى ازدياد التنافس بين النساء فلجأن الى التفنن في اظهار زينتهن ، ويرى بان ذلك ساعد على ابتداع وسائل التجميل المختلفة[٩٩] • ولكن من الامور المعروفة عن الحروب وحوادث الفتن انها لا يمكن أن تساعد على نمو حضارة أو ازدهارها بما فيها من وسائل التجميل • اضافة الى أن الدين الاسلامي كان يسمح للرجل ان يجمع أربع زوجات مرة واحدة • لذلك لم تردنا أخبار عن حدوث ازمة رجالية نتيجة لحرب او غيرها •

واول مظاهر الزينة هذه تظهر في ملابس النساء الملونة ، والمختلفة الاشكال والنسيج[١٠٠] ثم في احذيتهن[١٠١] • وفي شعورهن التي كن يعملنها على اشكال مختلفة كالضفائر[١٠٢] ، او ارسال الذوائب التي يقول فيها الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ/١٠٣٤م)[١٠٣] :

---

(٩٨) أنظر الفصل الاول (هـ ـ الباءة) ص ٧٣ ـ ٨١ •

(٩٩) أحمد ممدوح : معدات التجميل : ١٢ •

(١٠٠) أنظر الفصل الثاني (٢ ـ الملابس) ص ١٦١ ـ ١٦٤ •

(١٠١) أنظر الفصل الثاني (٢ ـ الملابس) ص ١٥٩ •

(١٠٢) الغزالي : احياء ١ : ١٤١ •

(١٠٣) الديوان : ق ٢ ص ٢٦ ، الباخرزي : دمية القصر وعصرة أهل العصر : ٧٥ ، ٧٦ •

ظبي ينفره عن وصلنا نفر بجانب الكرخ من بغداد عنّ لنا
وجفنه جفنه وافرنده الحور ذؤابتاه نجادا سيف مقلته
فمن رأى شاعرا اودى به الشعر ضفيرتاه على قتلي تضافرتا

اما ادوات الزينة هذه فكانت تشمل :

١ ـ الامشاط(١٠٤) .

٢ ـ الملاقط .

٣ ـ المقابض لحجر الحمام ؛ الذي كان يستعمل لتنظيف باطن القدم(١٠٥) .

٤ ـ الاصباغ وكانت مختلفة الانواع منها الحناء التي تخضب بها أطراف الاصابع والارجل(١٠٦) وبسبب الحناء احترقت دار المملكة(١٠٧) في سنة ٥١٥هـ/١٠٢١م حيث كانت احدى الجواري تخضت بالحناء ليلا فاسندت الشمعة الى خيش كان بقربها فاشتعل الخيش ثم امتدت النار الى بقية الدار(١٠٨) . ومنها الشناذر(١٠٩) ، ومنها اصباغ الخدود التي تحمرها أو تبيضها حسب مقتضيات الاحوال ، وصبغ

---

(١٠٤) لقد كشفت التنقيبات الآثارية عن نماذج كثيرة من الامشاط ترجع لعهود اسلامية مختلفة ـ زكي محمد حسن : دليل متحف الفن الاسلامي : ٥٢ .

(١٠٥) ابن الاخوة : ٢٢٦ .

(١٠٦) الصابي : الوزراء : ٦٥ .

(١٠٧) وهي دار المملكة البويهية التي انشأها عضدالدولة البويهي وكانت تقع في منطقة الصرافية الحالية ـ مصطفى جواد وسوسة : الدليل : ١٣٩ .

(١٠٨) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٢٣ .

(١٠٩) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ١٠٠ والشناذر : صبغ يستخرج من نبات أحمر يصبغ اليد اذا لامسته ـ الفيروزابادي ٢ : ٦٤ .

الشفاه[١١٠] • وخضاب الشيب وهو صبغ اسود يصبغون به الشيب اذا ظهر[١١١] • وقد اجاز الفقهاء من الخضاب الحناء والكتم[١١٢].

٥ ـ الدهان : وقد استعمل اهل بغداد انواعا كثيرة من الدهان لتحسين الشعر سواء كان شعر لحية ، كما هو الحال بالنسبة للرجال او شعر رأس كما هو الحال بالنسبة للجنسين[١١٣] •

٦ ـ المرايا : وكانت معروفة في المجتمع البغدادي منذ فترة سبقت القرن الخامس الهجري[١١٤] • وقد شاع استعمالها بين الناس جميعا ، وكان من بين من استعملها رجال الصوفية امثال الجنيد بن محمد (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م)[١١٥]• الا ان بعض المتزمتين استمروا ينظرون اليها باعتبار انها غير جائزة الاستعمال[١١٦] • ويبدو ان النساء كن اكثر استعمالا لها من الرجال[١١٧] •

ولقد اثبتت التنقيبات الآثارية ـ بما عثرت عليه من أنواع المرايا ـ ما جاء في كتب التأريخ والآدب عنها[١١٨] • واقدم ما عثر عليه من

---

(١١٠) أنظر الفصل الاول (أ ـ الخدم) ص ٢١ ، ٢٢ وهو على الارجح قشرة الجوز الطري التي تستعملها النساء حاليا •

(١١١) الماوردي : الاحكام : ٢٥٨ •

(١١٢) ن٠م ، والكتم نبات أخضر له ورق كورق الآس أو أصغر ـ الدينوري : النبات : ١٦٤ وأنظر أيضا تيمور باشا : الموسوعة التيمورية : ١٣٠ •

(١١٣) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٦٤٧ •

(١١٤) الخطيب البغدادي : تاريخ ٧ : ٢٤٧ •

(١١٥) ن٠م •

(١١٦) ن٠م : ٤١٦ •

(١١٧) مهيار الديلمي : الديوان ٣ : ١١٧ •

(١١٨) وأنواع المرايا هذه موجودة الآن في متحف فكتوريا والبرت بلندن ومتحف اللوفر بباريس ومتحف المتروبوليتان بنيويورك ـ أنظر ديماند : الفنون الاسلامية : ١٤٤ ، ١٤٥ •

تلك المرايا يرجع الى الفترة ما بين القرن الخامس والسابع الهجريين التي كان صنعها في العراق وايران[119] .

٧ ـ الكحل والمكاحل والمراود وهي من ادوات التجميل المشتركة بين النساء والرجال ايضا الا ان استخدام النساء لها لتجميل عيونهن هو الاكثر شيوعا[120] . وما قيل عن استخدام ادوات التجميل السابقة يمكن قوله بالنسبة لهذه الادوات ايضا . فقد ذكر عن النبي (ص) انه كان يستعمل الكحل للتجميل كما كان يستخدم المشط لهذه الغاية[121] . والاهتمام بالكحل قد ادى الى الاهتمام بآلاته كالمكحلة التي يوضع فيها ، والمرود (أو الميل) الذي يخرج به الكحل ليوضع

---

(١١٩) ويمكن وصفها بانها عبارة عن قرص مستدير يتفاوت قطره بين ٨ ـ ١٢ سنتمترا . وانه مصنوع من البرنز أو الصلب وله أحيانا مقبض مصنوع من قطعة واحدة مع القرص نفسه أو مضافا اليه . وفي هذه الحالة الثانية نجد ان زخرفة المقبض تختلف تماما عن زخرفة باقي المرآة . ولهذا القرص وجهان وجه مصقول يعكس صور الاشياء ، ووجه عليه زخارف بارزة من عناصر آدمية أو حيوانية أو نباتية أو هندسية ، تزينها كتابات كوفية أو نسخية . والاسلوب الشائع استخدامه في زخرفة المرآة هو تقسيم الوجه غير المصقول الى عدة دوائر بعنصر زخرفي من العناصر السابقة . وقد يشغل الموضوع الزخرفي سطح المرآة كله بدون تقسيمه الى هذه الدوائر . كما نرى أحيانا دائرة صغيرة في الوسط ، ويشغل الفراغ بين محيط هذه الدائرة . ومما يستحق الذكر ان بعض هذه المرايا كانت تكفت بالذهب أو الفضة . ولقد احتفظ متحف الفن الاسلامي بأنواع من هذه المرايا ـ انظر الهواري : رسالة في وصف محتويات دار الآثار العربية : ٤٧ (وهي التي أصبحت تسمى فيما بعد بمتحف الفن الاسلامي) . وأنظر زكي محمد حسن : دليل متحف الفن الاسلامي : ٥٥ ، ٥٦ وأحمد ممدوح : معدات : ٧٤ .

(١٢٠) لا يزال عامة العراق من نساء ورجال يستخدمون الكحل للزينة حينا وللتداوي حينا آخر .

(١٢١) ابن الزبير : الذخائر : ٨ .

في العين • فكانت هذه الادوات الثلاثة متلازمة ، اذ ان وجود احدها يستدعي وجـود الاخرى • وفي هـذا المعنى قال مهيار الديلمي ملغزا[١٢٢] :

وما زوجـان من ذكـر وانثى	ترى الالحـاظ نحوهـا تميل
اذا اقترعا على إحراز حسـن	أغـار على سـمينهما النحيـل
وحـاملة لهـا ابنا وهـو بعل	يعـال بهـا لاطفال تعـول
لـه من زادهـا مـا اطعمتـه	وغيرهمـا لزادهمـا الاكول
يداوس بين جنبيهـا علاجـا	دقيقـا تحتـه معنى جليـل
اذا ما ابن عصـى بنتـاج أم	فـان نتـاج امهمـا جميـل

وقد عرفنا عن طريق التنقيبات الآثارية انواعا من المكاحل تصنع من الزجاج او من البلور او من الخشب او من الفضة او من النحاس • وكانت اشكالها متنوعة منها الاسطوانية ومنهـا البيضـاوية ومنهـا المستطيلة • وللمكاحل مهما اختلفت مادتها مرود يغمس فيها عند قفلها • والغرض من وجوده هو استعماله في اغراض التجميل التي يستعمل فيها الكحل سواء في الحواجب او في اهداب العين • وقـد اختلفت مواد هذه المراود بصرف النظر عن مادة المكحلة نفسـها • فقد تكون المكحلة من العاج ومرودها من الخشب او العكس • وقد تكـون المكحلـة من البلـور الصـخري وينغمس فيهـا مرود من الزجـاج[١٢٣] •

٨ ـ العطور : وكان استعمالها شائعا بين الرجال والنساء • اذ كانت تعتبر من اظهر الادلة على كمال المروءة ، بعد ان يكمل المرء نظافته[١٢٤] •

---

(١٢٢) الديوان ٣ : ١١٧ •

(١٢٣) وهذه أهم المكاحل التي يضمها متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ويعرضها بالقاعات ٤ ، ٨ ، ٩ أنظر أحمد ممدوح : معدات : ١١٠ والهواري : رسالة في وصف محتويات دار الاثار العربية : ٤٧ •

(١٢٤) البيروني : الجماهر : ٢٢ •

واما اشـهر العطور التي اسـتعملنها فهي منثور بغـداد[١٢٥] ، ثم البنفسـج[١٢٦] والنينوفر[١٢٧] ، الذي كان يسـتخدمه العاشـق والعاشقة بصورة خاصة اذا نحف جسم احدهما وذلك بـان يكثر من شمه[١٢٨] .

اما المتأنقات من النساء فكن يبالغن في استعمال الطيب . وكان اشهر انواعـه المتـداول عندهن اللخـالخ[١٢٩] ، والصـندل[١٣٠] ، والصياح[١٣١] ، والقرنفل ، والساهرية[١٣٢] ، والمعجونات[١٣٣] ،

---

(١٢٥) وهو نبات ذو زهـرة ذكية الرائحة ـ الثعالبي : لطائف المعارف : ٢٣٩ .

(١٢٦) وهو زهر لونه مثل اسمه ـ أنظر الوشاء : ١٧٧ ، النويري ١١ : ٢٢٧ .

(١٢٧) النينوفر أو النيلوفر : نوع من الرياحـين ينبت في الميـاه الراكدة ـ الزبيدي ٣ : ٥٨٠ .

(١٢٨) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٦٣٤ .

(١٢٩) جمع لخلخة ، وهي نوع من الطيب مركب من العود والعنبر والمسك واللادن والكافور ـ أدى شير : ١٤١ .

(١٣٠) عود طيب الرائحة يكون لونه أحمر وأبيض وأصفر يؤتى به من الهند ـ ابن البيطـار الدرة البهية في منـافع الابدان الانسانية : ٢٠٦ ، ادي شير : ١٠٨ .

(١٣١) الصياح : عطر أو غسل من الخلوق ونحوه ـ الزبيـدي ٢ : ١٨٦ .

(١٣٢) نوع من الطيب : سمي بذلك لانه يسهر في عمله وتجويده ـ تيمور باشا : الموسوعة : ١٣٣ .

(١٣٣) المعجون : كـل دواء خلطت اجزاؤه وعجنت مع بعضـها ـ الزبيدي ٩ : ٢٧٤ .

والزعفران[١٣٤] ، والخلوق[١٣٥] والكافور[١٣٦] والمثلثة الخزائنية[١٣٧] . والترمكية السلطانية[١٣٨] . والى جانب هذه العطور كنّ يستعملن الادهان المستخرجة من البنفسج والزنبق[١٣٩] . والبان[١٤٠] . وكن يستعملن جميع انواع طيب الظرفاء بينما لم يكن الظرفاء يستعملون شيئا من طيب النساء[١٤١] . اما آنية العطور فقد تفنن الصناع بها وخاصة الزجاجية منها[١٤٢] .

٩ ـ الحلي : وتشمل الخلاخل والاساور[١٤٣] والاقراط والدلايات التي كانت على شكل حيوانات او أهلة تزينها نقوش زخرفية مختلفة[١٤٤] .

---

(١٣٤) أنظر الفصل الثاني ص ١٠٠ .

(١٣٥) يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة . وقد ورد تارة باباحته وتارة بالنهي عنه ، وكان النهي أكثر واثبت . وذلك لانه من طيب النساء وانهن أكثر استعمالا له من الرجال ـ ابن منظور ١٠ : ٩١ .

(١٣٦) الكافور : نبت طيب الرائحة له زهر كزهر الاقحوان ينبت في جبال الهند والصين ويستخرج الكافور من اجواف شجره ـ الفيروزاباذي ٢ : ١٢٨ .

(١٣٧) وهي طيب يتخذ من ثلاثة عقاقير عطرية ـ الدينوري : النبات : ٦٢ .

(١٣٨) الرامِك والرامَك شيء أسود يخلط بالمسك ـ الجوهري ٤ : ١٥٨٨ .

(١٣٩) ويسمى أيضا بدهن الياسمين ـ ابن منظور ١٠ : ١٣٧ .

(١٤٠) شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الاثل ، وورقه أيضا هدب كهدب الاثل ليس لخشبه صلابة ، اذ ان خشب الاثل اصلب منه . وخشب البان رخو خفيف ويحمل شجر البان حب ومن هذا الحب يستخرج دهن البان ـ الدينوري : النبات : ٤٨ ، ٤٩ .

(١٤١) الوشاء : ١٦٢ ـ ١٦٤ .

(١٤٢) أحمد ممدوح : ٩٥ .

(١٤٣) سبط ابن التعاويذي : الديوان : ٢٢٦ .

(١٤٤) ديماند : الفنون الاسلامية : ١٤٣ ، ١٤٤ .

والخواتيم الذهبية[١٤٥] ، وخواتيم الياقوت[١٤٦] • وقد شارك الرجال النساء في التختم بأنواع الخواتيم[١٤٧] • ولقد اهتم المؤرخ المسعودي بهذه الظاهرة فسجل لنا اسماء الخلفاء الامويين والعباسيين الذين يتختمون وما نقشوه على خواتيمهم من آيات او كلمات حكيمة[١٤٨] • ولقد اشتهر عن نساء العراق انهن كن معجبات بالدر المدحرج الذي يميل لونه الى الصفرة[١٤٩] •

كانت النظرة الاجتماعية للمرأة قاسية في الغالب ، يشوبها بعض الشك في اخلاصها للرجل • ويتجلى ذلك من الاقوال الكثيرة التي قيلت فيها بشكل جمل حكمية تحذر الرجال منها • والتي وردت على لسان العلماء الذين كانت اقوالهم تمثل الرأى السائد آنذاك • كقول المكي « الخلق محجوبون بثلاث حجب ؛ الدرهم ، وطلب الرياسة ، وطاعة النساء »[١٥٠] • او كقول مسكويه « بان الضجر والغضب عند النساء اكثر من الرجال »[١٥١] • وقدم الغزالي جملة نصائح في آداب المرأة منها ان تكون قاعدة في قعر بيتها ، ملازمة لمغزلها • وان لا تكثر من الصعود الى سطح الدار والتطلع منه • وان تكون قليلة الكلام لجيرانها • لا تدخل عليهم الا في حالات الضرورة الماسة • وان تحفظ بعلها في غيبته ، ولا تخونه

---

(١٤٥) الوشاء : ١٦٢ •

(١٤٦) ن•م : ١١٦ •

(١٤٧) وذلك للتجميل بها (البيروني : الجماهر : ٢١) وقد اختلفوا في لبسهم لها فبعضهم لبس الخواتيم الذهبية (ابن الجوزي : تنبيه الغمر : ٦٣) وبعضهم لبسها من معادن أخرى كالعقيق الاحمر ، والفيروزج الاخضر ، والفضة المحرقة ، والياقوت (الوشاء : ١٦٢) •

(١٤٨) التنبيه والاشراف : ٢٦١ ــ ٣٤٥ •

(١٤٩) البيروني : الجماهر : ١٢٠ •

(١٥٠) قوت ١ : ١٤١ •

(١٥١) تهذيب : ١٦٨ •

في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه • فان خرجت فعليها ان تخرج في هيئة رثة ، وتسير في المواضع الخالية من المارة متجنبة الشوارع والاسواق • ومتنكرة بشكل يصعب معرفتها • وان تكون نظيفة ومستعدة في جميع الاحوال ليتمتع بها زوجها متى شاء[١٥٢] • واذا ما وصلنا الى ابن الجوزي نراه يقول بان « اجل طباع النساء الغدر » وقد ذكر في كتابه « طرفا من غدرهن » على حد تعبيره[١٥٣] • وقال في موضع آخر « ومما يتداوى به الباطن ان يعلم الانسان ان زوجته المحبوبة ان مات عنها مالت الى غيره ونسيته اسرع شيء ، وان كانت تحبه• لانه لاوفاء للنساء »[١٥٤]• وهذا يعكس لنا مدى استقرار هذه النظرة القاسية للمرأة في المجتمع البغدادي •

اما اسباب هذه النظرة القاسية فنراها ترجع الى امور منها شيوع التسري في المجتمع البغدادي ، الذي جعل من الميسور بالنسبة للرجل ان يحصل على جارية له • وهذا ادى به الى الاستعلاء على المرأة من جهة ، وسوء الظن بها من جهة اخرى • نتيجة لما يكتشفه من سوء اخلاق الجارية خلال معاشرته لها[١٥٥] • وكان استخدام النساء في التجسس وحوك المؤامرات خلال القلق السياسي[١٥٦] سببا آخر في وجود هذه النظرة ثم ان الانحطاط الفكري للمرأة • جعلها تؤمن بالخرافات والغيبيات • فكانت العوبة بايدي المبهرجين والحساب والمنجمين ؛ الذين يقرأون الطالع ويكتبون لهن « كتب المحبة » و « كتب البغضة » و « كتب عقد اللسان » •

---

(١٥٢) احياء ٢ : ٦١ •
(١٥٣) ذم الهوى : ٦٤٦ •
(١٥٤) ن•م : ٦٤٧ •
(١٥٥) أنظر الفصل الاول ص ٢٩ فما بعدها •
(١٥٦) الذي كان يحدث نتيجة لمجيء الجيوش الاجنبية أولا والسلجوقية ثانيا • وتبدل الحكام ـ ن•م •

وهؤلاء اما ان يكون لهم مكان معين فيذهبن اليه او ان يطوفوا على الدور بانفسهم[١٥٧] .

ويبدو ان الطابع العام للاسرة الاسلامية لم يتغير كثيرا في القرن الخامس الهجري . فكان الرجل في بيته هو صاحب النفوذ على زوجته وأولاده ، يقابل ذلك احترامهم له ، حيث لم يردنا شيء يخالف ذلك .

اما عن مكانة الرجل في المجتمع ، فهو العضو الفعال فيه . ويتجلى ذلك في انواع المهن المختلفة التي يقوم بها[١٥٨] . وعليه المعول في اعالة اسرته . لذلك نظر اليه على انه ارفع درجة من المرأة .

وكانت العوائل تضم اعدادا متفاوتة من الاطفال ، لم تمكننا المعلومات القليلة المتوفرة لدينا من اعطاء مقياس لمعدل عددهم في كل عائلة . ولكن من المهم ان نذكر ان العوائل بصورة عامة كانت تفضل المولود الذكر على الانثى[١٥٩] . وكانت هناك رسوم خاصة يتبعونها بعد مجيء المولود منها انهم يختارون له اسما حسنا بعد مرور أيام من ولادته[١٦٠] ، ويذبحون للمولود الذكر (عقيقة) شاتين وللانثى شاة واحدة ، وربما ذبحوا شاة لكل منهما[١٦١] . ثم يضعون في فم الطفل بعض الحلوى كالتمر مثلا اذ يعتبرون ذلك سنة نبوية[١٦٢] .

وبعد ذلك تكون مهمة تربية الاولاد على عاتق اهليهم أولا وعلى

---

(١٥٧) السقطي : ٦٧ ، ابن الجوزي : تلبيس : ٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ابن الاخوة : ١٨٣ .

(١٥٨) أنظر الفصل الاول (فئات العامة) .

(١٥٩) الغزالي : احياء ٢ : ٥٤ .

(١٦٠) ن.م : ٥٥ .

(١٦١) ن.م : ٥٦ .

(١٦٢) ن.م : ٥٧ .

عاتق المعلمين في الكتاب ثانيا . فاما الاهل فهم الذين كانوا يعلمون الطفل آداب السلوك ، وآداب المجالس ، كأن لا يبصق في مجلس ولا يتمخط أو يتثائب بحضرة غيره ، وان لا يضع رجلا على رجل ، وان لا يضع ساعده تحت ذقنه ، ويعود ان لا يكذب ولا يحلف أبدا لا صادقا ولا كاذبا ، كما يعود على قلة الكلام ، والاستماع لمن هو أكبر منه سنا ، ويمنع من السب واللعن ، ولغو القول ، ويعود طاعة والديه ومعلميه(١٦٣) .

أما المعلم في الكتّاب فانه يعلم الصبي مبادىء القراءة والكتابة ثم بقية الدروس كالنحو والفقه(١٦٤) والحساب(١٦٥) والقرآن(١٦٦) . وعليه مهمة أخرى هي تأديب الصغار وتعويدهم على الطاعة واحترام الوالدين . كأن يعلمهم ان يقبّلوا أيدي والديهم عند الدخول اليهم أو يضربهم اذا ساءوا الأدب ، وتلفظوا بألفاظ فاحشة(١٦٧) .

وكان تعليم الصبي يتم في المسجد(١٦٨) ، أو الكتّاب(١٦٩) . ويكون دوامه طيلة أيام الاسبوع ما عدا يوم الجمعة الذي يعطلون فيه . ولهذا كان يوم السبت ثقيلا على الصبيان لانه يأتي بعد عطلة الجمعة مباشرة(١٧٠) . وبعد ان يتعلم الصبي في الكتاب يستمر في التعليم ومتابعة

---

(١٦٣) مسكويه : تهذيب : ٥٢ ، ابن الجوزي : تنبيه الغمر : ٥٨ .

(١٦٤) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ١٤٨ .

(١٦٥) ن٠م : ١٤٧ .

(١٦٦) ابن الجوزي : روح الارواح : ٤٠ ، وأخبار الحمقى : ٥٧ .

(١٦٧) الشيزري : ١٠٣ .

(١٦٨) ابن الدمياطي : المستفاد ـ خط ـ ج ٤ ورقة ٣٩ .

(١٦٩) ابن الجوزي : أخبار الحمقى : ٥٧ .

(١٧٠) الهمذاني : المقامات : ٢١٩ الثعالبي : التمثيل : ٢٢٠ .

الدرس والتحصيل فيصبح بعد ذلك أديبا أو فقيها أو عالما[١٧١] • وقد يخرجه أبوه من الكتاب ليضعه في دكانه ، يساعده في أعماله ان كان بائعا أو صاحب مهنة معينة • وقد يرسله بالتجارة برا أو بحرا حسبما تقتضي الظروف ، ان كان والده تاجرا[١٧٢] •

وكان الاطفال والصبيان يقضون أوقات فراغهم في اللعب • واللعب على أنواع منها اللعب بالطيور[١٧٣] ، وبعض العاب أخرى لم نعرف عنها سوى اسمها مثل اللعب بالكعاب[١٧٤] ، والبيض ، والسير وفردشير[١٧٥] ثم اللعب بالكرة[١٧٦] •

وقد يقضي الاولاد أوقات فراغهم قرب النهر للسباحة ، أو للتفرج على الجسر[١٧٧] • بينما كانت البنات يقضين أوقات فراغهن باللعب بالدمى المصنوعة من الطين على هيئة حيوانات[١٧٨] ، أو على هيئة

---

(١٧١) ابن الجوزي : لفتة الكبد الى نصيحة الولد ضمن كتاب من دفائن الكنوز : ٨١ •

(١٧٢) ابن الهبارية : الصادح والباغم : ٥٠ •

(١٧٣) البيهقي : المحاسن : ٥٧٠ وأنظر الفصل الثالث (٢ـ وسائل التسلية وملء الفراغ) •

(١٧٤) ان اللعب بالكعاب معروف الآن بين أطفال العامة •

(١٧٥) وهي رقعة يلعب عليها بعدد من الحجارة والفصوص والنقط ، وعلى الرقعة ١٢ بيتا بعدد شهور السنة • والحجارة ٣٠ قطعة بعدد أيام الشهر • كما جعلت الفصوص بمثابة الافلاك • ورميها مثل تقلبها ودورانها • والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة ـ القلقشندي ٢ : ١٤٨ ـ ١٤٩ •

(١٧٦) ابن الجوزي : المنتظم ٦ : ٤٢ ، صفة الصفوة ٢ : ٢٣٤ ولم يكن اللعب بالكرة مقصورا على الصبيان فقط بل كان يلعب بها الكبار أيضا وخاصة مع الصولجان ـ ابن سيدة : المخصص ١٣ : ١٨ •

(١٧٧) ابن الجوزي : لفتة الكبد : ٨١ •

(١٧٨) الغزالي : احياء ٢ : ٦٧ •

انسان[١٧٩] • وكان صناع الدمى يغتنمون فرصة حلول العيد لبيعها[١٨٠] • ويبدو ان الاهتمام بالدمى كان كبيرا لذلك وجد ببغداد سوق خاص بها سمي بـ (سوق اللعب) أقره المحتسب أبو سعيد الاصطخري (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) في الوقت الذي ازال فيه بعض الاسواق كسوق النبيذ[١٨١] •

٢ ـ العلاقات السكنية :

كانت بغداد ـ ولا تزال ـ منقسمة بواسطة نهر دجلة الى قسمين : قسم شرق نهر دجلة يسمى بالجانب الشرقي وقسم يقع غرب دجلة ويسمى بالجانب الغربي • وكان كل من الجانبين يحتوي على عدد من المحال • اختلفت تعدادها حسب تطور الزمن[١٨٢] • وكانت أسماء شوارعها ومحالها عند تأسيسها قد أخذت من أسماء الساكنين فيها من قواد أو رجال كبار في الدولة آنذاك أو من اسم الجماعة النازلة في ذلك المكان[١٨٣] • ولهذا دلالة اجتماعية حيث ان الاسماء دلت على ان سكان تلك المحلة كانوا من العرب وغيرهم من الاعاجم • كما ان بعض الاسماء جاءت من مهنة الناس الساكنين في تلك المحلة ، كالجند أو التجار مثلا[١٨٤] • ثم تغيرت أسماء بعض المحال في العصور التالية فاتخذت المحال أسماء ساكنيها الجدد[١٨٥] • اذ ان المحال

---

(١٧٩) الماوردي : الاحكام : ٢٥١ ، أبو يعلي : الاحكام : ٢٧٨ •

(١٨٠) ابن الاخوة : ٥٦ •

(١٨١) الماوردي : أحكام : ٢٥١ ، ابن الاخوة : ٣٦ •

(١٨٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٩٣ ، الحموي : معجم البلدان ١ : ٤٥١ •

(١٨٣) اليعقوبي : البلدان : ١١ ، الخطيب البغدادي : تأريخ ١ : ٨٩ •

(١٨٤) Duri (A.A) : Baghdad - E. I. 2ed. Vol. I. P. 900

(١٨٥) ابن الجوزي : ذم الهوى : ٤٥٥ •

لم تبق على حالها الاول فقد أصاب الخراب كثيرا منهـا نتيجة للكوارث الطبيعية كالفيضانات وانتشار الحرائق • وهذا مما أدى الى ان تصبح بعض المحال تصف مستقلة يفصلها عن المركز البساتين والخرائب[١٨٦] • ويرى كلود كاهن ان هذا الانعزال الذي حدث بين المحال هو الذي أدى الى هـذه الكثرة في الاسواق والمساجد كما أدى الى المنازعات المستمرة بين سكان المحال المختلفة[١٨٧] •

ومن جهة أخرى فقد حدث اعمار في بعض الاوقات لبعض المحال كما حدث في عهد المقتدي بالله (**٤٦٧ – ٤٨٧هـ/١٠٧٤ – ١٠٩٤م**) اذ امر بتعمير المحال التالية : البصلية ، والقطيعة ، والحلبة ، والاجمة ، ودرب القيار ، وخرابة ابن جردة ، وخرابة الهراس ، والخاتونتين ، والمقتدية • وكل هذه المحال كانت تقع في الجانب الشرقي من بغداد[١٨٨] • وقـد وصف لنا ابن جبير بعض محال بغداد أيضا في أثناء مروره بها سنة **٥٨٠هـ/ ١١٨٤م** فقال عن الجانب الغربي بانه قد « عمه الخراب واستولى عليـه وكان المعمور اولا لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة كل محلة فيها مدينة مستقلة » • وقال عن الجانب الشرقي بان عمارته محدثة[١٨٩] •

ولم تكن محال بغداد على مستوى واحد من المعيشة ، اذ كانت بعض المحال يسكنها الجند ـ وكانت هـذه المحال قد اعدت لهم منـذ تأسيس بغداد ـ خارج الاسوار في شمالها وغربها[١٩٠] • وهناك محال وصف

---

(١٨٦) Cahen (claude) : Baghdad au temps de ses derniers califs - Arabica. P. 295 (1962).

(١٨٧) Ibid

(١٨٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٩٣ •

(١٨٩) الرحلة : ٢٢٥ •

(١٩٠) اليعقوبي : البلدان : ١٨ •

ساكنوها بالغنى مثل محلة الكرخ وهي محلة التجار في الجانب الغربي من بغداد[191] ، ومحلة باب المراتب واسمها مشتق من اسم أحد أبواب دار الخلافة ، اذ كانت هذه المحلة مجاورة له • وقد أصابها الخراب بعد القرن الخامس[192] ، وان كانت قد استمرت بعده لمدة طويلة[193] • ومحلة سوق يحيى حيث كانت فيها دور الوزراء والامراء[194] وكانت تقع بالجانب الشرقي[195] • وفي محلة درب الزعفران بالجانب الغربي كانت دور تجار البز والعطر[196] • وكانت محلة درب سليمان في الرصافة مقصورة على القضاة والشهود وكبار التجار[197] •

وقد ذكر لنا الازدي جملة محال على انها من المحال المشهورة والغنية ببغداد والتي تذكر في مجال المقارنة بمحال المدن الاسلامية المعاصرة لبغداد آنذاك ، وهي الشماسية والمأمونية والزاهر وسوق الثلاثاء وباب الازج والزرارين وهذه كلها في الجانب الشرقي من بغداد • والنجمي

---

(١٩١) الهمذاني : المقامات : ١٠٧ ، ابن الاثير ٨ : ٢٢٢ •

(١٩٢ ، ١٩٣) لقد شاهد ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) هذه المحلة فقال عنها بانها « الآن في طرف من البلد بعيد كالمهجور لم يبق فيه الا دور قوم من أهل البيوتات القديمة وكانت الدور فيه غالية الاثمان عزيزة الوجود في أيام السلاطين ببغداد • لانه كان حرما لمن يأوي اليه » • ثم يعود الى وصفها في أيامه فيقول « فأما الآن فليس للمساكين فيه قيمة • ورأيت به دورا كثيرة احتاج اهلها وأرادوا بيعها فلم تشتر منهم فباعوا انقاضها وساحتها على من يعمر به موضعا آخر » معجم البلدان ١ : ٤٥١ ولكن بالرغم مما أصاب هذه المحلة من الخراب فقد بقيت حتى القرن الثامن • مصطفى جواد وسوسة : دليل : ١٥٩ •

(١٩٤) مجهول : مناقب بغداد : ٢٦ •

(١٩٥) وهي منسوبة الى يحيى البرمكي ، وقد خربت في العهد السلجوقي ـ الحموي : معجم البلدان ٣ : ١٩٥ •

(١٩٦) ن٠م : ٢٨ •

(١٩٧) ن٠م •

والرقة ونهر عيسى ودرب عون وقطيعة الربيع والحربية والحريم الطاهري وهذه كلها في الجانب الغربي من بغداد[١٩٨] •

وقد ذكر لنا الازدي بعض محال بغداد الفقيرة أيضا ؛ وهي محلة قطيعة الكلاب ومحلة نهر الدجاج ومحلة درب الحمير[١٩٩] •

وكانت المحال منظمة بشكل وحدات لكل محلة رئيس يسمى ب (شيخ المحلة) • وكان هذا الشيخ يعرف ابناء محلته جميعا وبذلك يكون الواسطة ما بين المحلة والحكومة • وكانت الحكومة تستعين به في معرفة الفقراء في محلته[٢٠٠] ، أو تستعين به في معرفة مرتكب الجريمة[٢٠١] • ولكننا لا نزال نجهل الكثير عن شيخ المحلة ، عن طريقة اختياره ، أو عن مدى صلاحياته ، ولكن الذي يبدو من بعض الاخبار ان بعض شيوخ المحال كانوا قد استغلوا مكانتهم وتقربهم من الحكومة فآذوا سكان المحال المترأسين عليها • وهذا هو الذي يفسر لنا ثورة بعض المحال على شيخ المحلة أو حامي المحلة ـ كما يسمى أحيانا ـ فقد ورد في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م[٢٠٢] • انّ اهل محلة باب البصرة وثبوا على حامي محلتهم المعروف بابن الضراب فقتلوه ، وقتلوا أيضا أربعة أنفار معه وسحبوهم والقوهم في دجلة • وفي نفس هذه السنة قتل أهل محلة سوق الثلاثاء حاميهم ، وكذلك قتل أهل محلة الجعفرية

---

(١٩٨) حكاية : ٢٢ ، ٢٣ •

(١٩٩) ن٠م : ١٠٦ •

(٢٠٠) التوحيدي ٢ : ٢٦ •

(٢٠١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ : ٢٠ ، ٢١ سنة ٥٩٥هـ •

(٢٠٢) ان هذه السنة المذكورة متأخرة بعض الشيء عن الفترة (موضوع الرسالة) الا اننا نراها تنطبق عليها وذلك لان المجتمع البغدادي أو العراقي ككل لم يتغير خلال هذه الفترة •

حاميهم[٢٠٣] •

ولقد كان سكان كل محلة يشعرون بنوع من الرابطة المتينة بينهم ، وبولاء خاص تجاه محلاتهم • ويتجلى ذلك بوضوح في فترات الصراع المذهبي الذي كان يحدث بين سكان المحال[٢٠٤] • وعند التحدي الذي يحدث بين أهل المحال حول تصدر المواكب والاحتفالات[٢٠٥] • فكان من نتيجة هذه الفتن المذهبية والحروب المستمرة بين سكان المحال ان تهدمت بعضها[٢٠٦] • وكذلك كان هـذا الولاء للمحلة يظهر عنـد الاحتكاك بالسلطة الاجنبية (بويهية أو سلجوقية)[٢٠٧] •

وقد يتعاون أهل المحلة على اقامة مهرجان أو تسيير موكب • كمـا انهم كانوا يتعاونون مع أهل المحال الاخرى عند الشروع بترميم أسوار بغداد كما مر معنا في الفصل الثالث[٢٠٨] • فالولاء للمحلة وان ظهرت مساوؤه في صدام المحال فيما بينها ، الا انه كان مفيـدا للناس من حيث حمايتهم من ظلم السلطة الاجنبية في وقت كانت الحكومة الشرعية عاجزة عن حماية رعاياها • ثم ان هذا الولاء جعل الناس يتعاطفون فيما بينهم فكان الطبيب مثلا يداوي أهل محلته مجانا ، ويعطيهم الدواء مجانا أيضا ، اذا كانوا من الفقراء كما كان يفعل ابن جزلة (ت ٤٧٢هـ/١٠٨٠م)[٢٠٩] • ثم ان هذا الولاء للمحلة جعل هناك منافسة في الخير بين المحال ، وتجلى ذلك في المناوبة لاصلاح أسوار بغداد • التي اعتبرها الماوردي من باب

---

(٢٠٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ : ٢٠ ، ٢١ •

(٢٠٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٨٧ ، ١٢٩ ، ١٥٤ •

(٢٠٥) ابن الاثير ٢٠ : ١٩٤ •

(٢٠٦) م٠س : ١٤٢ سنة ٤٤١هـ •

(٢٠٧) أنظر الفصل الخامس (٢ ـ ثورات العامة) •

(٢٠٨) أنظر من هذا الفصل المذكور (ح ـ المناسبات المفرحة) ص ٢١٠ ـ ٢١٢ •

(٢٠٩) القفطي : تاريخ الحكماء : ٣٦٥ •

الامر بالمعروف[٢١٠] .

ولما كانت دور العامة متجاورة ملاصقة بعضها للبعض الآخر لذلك نشأت قيم خاصة في مراعاة الجوار . فكان الجار الغني يساعد جاره الفقير[٢١١] . وقد يقدم بعضهم الطعام للبعض الآخر على سبيل المجاملة[٢١٢] . وكان الجار يحترم جاره فكان من غير المستحب ان يتطلع أحد على جيرانه سواء كان ذلك من نافذة أو من سطح[٢١٣] ، لذلك قيل ان من صفات الظرفاء « كف الاذى عن جيرانهم »[٢١٤] . لا بل ان عماد الظرف عند الظرفاء وأهل المعرفة والادباء « حفظ الجوار »[٢١٥] ، وحسن معاملة الجار تراث عربي اصيل توارثه أهل بغداد جيلا بعد جيل[٢١٦] .

اما اذا تظلم أحد الناس من جاره ، فقد يشكوه الى الحكومة لتقتص منه[٢١٧] واذا أراد شخص ان يجعل من بيته موضع ريبة ، فقد يتعاضد أهل المحلة على طرده منها . فان لم يفلحوا شكوه الى الحكومة[٢١٨] .

---

(٢١٠) الاحكام : ٢٤٥ .
(٢١١) ابن الجوزي : صفة ٢ : ٢٣٠ .
(٢١٢) الخطيب البغدادي : تاريخ ٣ : ٢٥٢ .
(٢١٣) الماوردي : الاحكام : ٢٥٦ ، ابن الاخوة : ٧٩ .
(٢١٤) الوشاء : ٥٢ ، ١٩٥ .
(٢١٥) ن٠م : ٥١ .
(٢١٦) فقد جاء عن ابي حمزة السكري (ت ١٦٧هـ) انه أراد جار له ان يبيع داره فلما سئل بكم ؟ أجاب « بالفين ثمن الدار ، والفين جوار ابي حمزة » وبلغ الخبر الى ابي حمزة فوجه اليه بأربعة آلاف وقال له « خذ هذه ولا تبع دارك » الخطيب : تاريخ : ٣ : ٢٦٨ .
(٢١٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٠ .
(٢١٨) ابن الجوزي : ملتقط الحكايات ـ جاء بحاشية كتاب رونق المجالس للنيسابوري : ٤٥ .

الفصل الخامس

ثورات العامة

١ ـ حركات العيارين والشطار :

لقد قامت العامة في القرن الخامس الهجري بعدة ثورات أخذت طابعين متميزين عن بعضهما ، أولهما حركات ثورية عنيفة قام بها جماعة من العامة اطلق عليهم اسم العيارين والشطار • وكانت حركاتهم هذه موجهة الى السلطة الحاكمة وأصحاب الاموال وثانيهما ثورات اشتركت فيها العامة جميعها ، وكانت موجهة الى السلطة الاجنبية البويهية أولا والسلجوقية ثانيا •

أ ـ وأول ظهور للعيارين والشطار على مسرح الاحداث كان في نهاية القرن الثاني الهجري ، أثناء حصار بغداد الاول في سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م بشكل جماعات مسلحة لها تنظيم عسكري[١] •

وقد وصف الشاعر أبو يعقوب الخريمي[٢] هاتين الجماعتين بقصيدة منها هذه الابيات[٣] ، التي تظهر في الوقت نفسه أسلحتهما واعتدتهما التي دافعتا بهما عن بغداد في ذلك الحصار •

يحرقها ذا وذاك يهدمها	ويشتفي بالنهاب شاطرها
والكرخ اسواقها معطلة	يستن عيارها وعائرها
اخرجت الحرب من سواقطها	آساد غيلٍ غلبا تساورها
من البواري تِراسها ومن الـ	صوف اذا ما عدت اساورها
كتائب الهرش تحت رايته	ساعَدَ طرارَها ومقامِرها

(١) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ٨٧٢ ، ٨٧٧ ، ٨٨١ ـ ٨٨٣ ، ٨٨٥ ٨٩٣ والمسعودي : مروج ٦ : ٤٦٢ ، ٤٦٣ •

(٢) كان شاعرا اعجمي الاصل ازدهر شعره في عصر الرشيد والمأمون • أنظر ابن قتيبة الشعر والشعراء : ٥٤٢ ـ ٥٤٦ ، ابن المعتز : طبقات الشعراء : ٢٩٣ •

(٣) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ٨٧٧ •

وأصبح العيارون معروفين بأقوالهم ، لذلك رأينا الاصمعي (ت ٢١٧هـ/٨٣٢م) ينشد بيتا يقول عنه انه أخذه من قول للعيارين[٤] . وكذلك أصبحوا جماعة معروفين بأفعالهم أيضا ، وكانت أفعالهم تسمى عيارة وشطارة كما جاء على لسان ابن المغازلي الذي عاش في عصر الخليفة المعتضد (٢٧١ - ٢٨٩هـ/٨٩٢ - ٩٠١م) وهو قاص شعبي . قال في احدى مجالسه « .. فلم أدع حكاية اعرابي ، ولا نحوي ، ولا خادم ولا تركي ، ولا شطارة ولا عيارة ولا نادرة ولا حكاية الا احضرتها واتيت بها ، حتى نفذ جميع ما عندي »[٥] .

ثم ظهروا بشكل جماعات كبيرة منظمة ومسلحة في حصار بغداد الثاني سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م[٦] .

ولما حلت سنة ٣٦١هـ/٩٧١م (كما في ابن الاثير) أو ٣٦٢هـ/٩٧٢م (كما في التوحيدي وابن الجوزي) ، وعلى اثر اضطرابات وقعت ببغداد ظهرت كتل وفئات كثيرة من العيارين[٧] .

وان العيارين أصبحوا من الكثرة ببغداد بحيث انهم - كما يقول المقدسي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) « اذا تحركوا ببغداد هلكوا »[٨] .

لقد استمر وجود العيارين والشطار طيلة القرن الخامس الهجري وما بعده كما سيتضح ذلك من خلال الكلام عن حركاتهم ، ولكن من المهم ان نذكر انه من الصعوبة ايجاد خط يفصل بين العيارين والشطار ، اذ أصبح كل اسم منهما يدل على الآخر ، وما ذلك الا لكونهما قد ظهرا

---

(٤) ابن الجوزي : أخبار الظراف : ٤٦ .

(٥) المسعودي : مروج ٨ : ١٦٤ .

(٦) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ٥٥٢ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٤ .

(٧) التوحيدي ٣ : ١٦٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٦٠ ابن الاثير ٨ : ٢٢٢ .

(٨) المقدسي : أحسن التقاسيم : ١٣٠ .

في زمن واحد . كما انه ليس لدينا دليل على انهما نشآ كتلتين منفصلتين ثم اتحدتا فيما بعد . ومن المهم ان نذكر أيضا ان اسم العيارين هو الغالب المستعمل طيلة القـرن الخامس الهجري[٩] . اما محـاولة التفريق بين العيارين والشطار التي قام بها بعض المحدثين فلا أظنها موفقة . من ذلك قول جرجي زيدان « بان الشطار كانوا أكثر انتشارا في المملكة الاسلامية من العيارين »[١٠] . فهذا لا ينطبق على العراق ، وبصورة خاصة بغداد في القـرن الخامس الهجري . اما قوله بان الشطار « اطول بقـاء من العيارين »[١١] فهذا ما لم نتحقق منه . لانه يخرجنا عن موضوع الرسالة المحدودة بالقرن الخامس الهجري وببغداد فقط . اما قول الديوهجي بان « الشطار تبعوا العيارين وانهم في الطبقات المنحطة »[١٢] ، فينفيه ما جاء في الطبري والمسعودي من حيث ظهورهما في نفس الظروف التاريخية سنة ١٩٧هـ/٨١٢م .

ولقد استعملت كلمة أخرى لتدل على العيار والشاطر وهي الفتى وكان ظهور هذه الكلمة بهذا المعنى منذ ظهور الشطار والعيارين في حصار بغداد الاول سنة ١٩٧هـ/٨١٢م . وقد استعملها احد الشعراء بهذا المعنى ، عندما كان يصف دور العيارين في هذا الحصار حيث قال[١٣] :

ليس يدرون ما الفرار اذا الابـ	ـطال عاذوا من القنا بالفرار
واحـد منهـم يشد على الـ	ـفين عريان ما له من ازار
ويقول الفتى اذا طعن الطعـ	ـنة خذها من الفتى العيار

(٩) أنظر ابن الجوزي وابن الاثير .

(١٠) التمدن ٥ : ٥٣ . ٥٤ .

(١١) ن.م .

(١٢) الفتوة في الاسلام : ٢٤ .

(١٣) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ٨٨٦ ، المسعودي : مروج ٦ : ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

وفي ذلك يقول ابن الجوزي أيضـا « ومن هـذا الفن تلبيسه على العيارين في أخذ أموال الناس ، فانهم يسمون بالفتيان .. »[١٤] لذلك كانت الكلمات فتى وشاطر وعيار كلها ذات مدلول واحد ظهر منذ ظهور هذه الفئة من العامة . واستمر طيلة القرن الخامس حيث شاع اسم العيارين أكثر من سواهم ، ثم ما بعد القرن الخامس عندما تولى امرهم الخليفة الناصر لدين‌الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ/١١٧٩ ـ ١٢٢٥م) ونظم فرقهم تحت اسم الفتوة كما سيأتي الكلام عن ذلك .

كانت العنـاصر المكونة للشطار والعيارين مختلفة فبينهم العـربي والكردي ، وفيهم البغدادي والسوادي[١٥] ، وفيهم العباسي والعلوي[١٦] والسني[١٧] . وهـذا يدل على اتساع حركتهم الاجتماعية واتفاقهم في القيام بحركاتهم الموجهة ضد رجال الحكم والاغنياء ، رغم اختلافهم في النسب أو المنزلة الاجتماعية . وما كان ذلك الا نتيجة لما كانت تعانيه عامة بغداد من قلق في الحياة السياسية والاقتصادية[١٨] .

ان عدم ادراك المؤرخين القدماء لهذه الاسباب الخفية التي أدت الى ظهور حركات العيارين والشطار جعلهم يسيئون فهـم حركاتهم لذلك وصفوهم بتهم مختلفة مثل « أوباش ، رعاع ، طرارون »[١٩] ، وانهم

---

(١٤) تلبيس : ٣٧٨ .

(١٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٨٨ والذهبي : العبر ٣ : ١٦١ .

(١٦) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٢٠ .

(١٧) ن٠م ٨ : ٧٨ الذهبي : العبر ٣ : ١٠ ، ابن كثير ١٢ : ٣٦ .

(١٨) الدوري : نشوء الاصناف ـ مجلة كلية الآداب سنة ١٩٥٩ ص ١٥٧ تأريخ العراق الاقتصادي : ٦٨
Duri (A.A) : Baghdad - E. I. 2ed. Vol. I. P. 900

(١٩) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ٨٧٢ .

« ذعـار ، ودعـار »[٢٠] ، و « لصوص »[٢١] ، و « حرامية »[٢٢] ، و « فجرة »[٢٣] • ولقد سار بعض المحدثين على نهج المؤرخين القدماء في فهمهم لحركة العيارين[٢٤] • ولكن من خلال الـكلام عن تنظيماتهم ووصف أخلاقهم سيتضح كونهم ليسوا مجرد سراق أو فتاك • انما جماعة من عامة بغداد أدت الاسباب المذكورة الى ظهور حركتهم بهذا الشكل العنيف والتي استمرت طيلة القرن الخامس لاستمرار الاسباب التي أدت الى ظهورهم •

ب ـ لقد اشرنا في أثناء الكلام على ظهور العيارين والشطار ـ انهم ظهروا بشكل جماعات لها تنظيم عسكري في حصار بغـداد الاول سنة ١٩٧هـ/٨١٢م • وكان ذلك التنظيم يشبه تنظيم الجيش الاعتيادي وان وصف لضعف تجهيزه وقلة عدته بـ « كتائب الهرش »[٢٥] • فقد كان لكل عشرة منهم عريف ولكل عشرة عرفاء نقيب ، ولكل عشرة نقباء قائد ، ولكل عشرة قواد أمير[٢٦] • وظهر تنظيمهم العسكري مرة أخـرى في حصار بغداد الثاني سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م وكان من البارزين في تلك الحرب عريف اسمه ينتويه[٢٧] •

---

(٢٠) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢١٩ ، ٢٣٧ •
(٢١) الذهبي : دول الاسلام ١ : ١٨٢ •
(٢٢) الذهبي : العبر ٣ : ٧٤ •
(٢٣) ورام : ١ : ٩٢ •

(٢٤) زيدان : التمدن ٥ : ٥٢ ، ٥٣ ، مصطفى جواد : مقدمة كتاب فتوة ابن المعمار : ١٥ ، أحمـد أمين : ظهر الاسـلام ٢ : ٣٢ ، والصعلكة والفتوة في الاسلام ٥٣ ـ ٦٢ ومحمود غناوي الزهيري : الادب في ظل بني بويه : ٤٥ ، وسعيد الديوهجي : الفتوة : ٣٢ وما بعدها •
(٢٥) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ٨٧٧ •
(٢٦) المسعودي : مروج ٦ : ٤٦٢ ، ٤٦٣ •
(٢٧) الطبري : س ٣ مج ٢ ص ١٥٥٢ •

ثم ظهرت لهم دعوة خاصة موجهة الى الشباب للانضمام اليهم . فكان الشاطر اذا صادف شابا وأراد ان يضمه الى جماعته انتحى به جانبا وحبب اليه الانضمام ، وأخبره ان عليه ان يكون فتى ، والا فانه سيعتبر تكشاً ، والتكش عندهم من لم يخرجه أو يؤدبه فتى . فان كان لذلك الشاب أدنى ميل سارع الى الانضمام اليهم[٢٨] . ولقد أورد ابن الجوزي ما يشبه هذا ، وذلك عندما وصف لنا غلاما اسمه عزيز وانه خرج مع العيارين أثناء حركاتهم ، وكان أبواه قد بكيا وتوسلا لكي يبقياه ويحولا دون ذهابه مع العيارين الا انه ابى الرجوع قائلا لهما « مثلي يقول شيئا يرجع عنه ؟ قد قلت لاصحابي اني منكم . امضيا اطلبا عزيزا غيري شاروفتي[٢٩] في جيبي[٣٠] .

ونتيجة لهذه الدعوة الموجهة الى الشباب رأينا في حوادث سنة ٣٦١هـ /٩٧١م أو ٣٦٢هـ/٩٧٢م ظهور عدة كتل منظمة للعيارين سماها ابن الاثير بـ « أصناف البنوية »[٣١] والفتيان والسنية والشيعية والعيارين »[٣٢] . ولقد ذكر التوحيدي بعض أسماء رؤساء العيارين الذين ظهروا في هذه الاحداث كـ « ابن كبرويه ، وأبو الدود ، وأبو الذباب ، وأسود الزبد ، وأبو الارضة ، وأبو النوابح » . ولقد وصف أحد هؤلاء الرؤساء وهو أسود الزبد بانه كان عبدا يأوى الى قنطرة الزبد ، ويلتقط النوى ويستطعم

---

(٢٨) الجاحظ : الحيوان ١ : ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٢٩) الشاروفة : الحبل ـ الزاوي : ترتيب القاموس المحيط ٢ : ٦٤٥ ولقد كان الحبل من الادوات المستعملة عند العيارين اذ يحملونه دائما في جيوبهم انظر ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٧٠ .

(٣٠) ابن الجوزي : صفة الصفوة ٢ : ٢٧٠ .

(٣١) لقد شرح الثعالبي البانوانية بانها تعني الشطار ـ يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٣ .

(٣٢) التوحيدي ٣ : ١٦٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٦٠ ، ابن الاثير ٨ : ٢٢٢ .

من حضر ذلك المكان بلهو ولعب ، وهو عريان لا يتوارى الا بخرقة ولا يؤبه له ولا يبالى به • وانه استمر على هـذه الحال مدة من الزمن الى ان وقعت هذه الاضطرابات المذكورة فأخـذ سيفا وشحذه وأخـذ بالنهب والاغارة • وظهر عندها كأنه شيطان في هيئة انسان • ثم بدأ يهتم بمظهره ، فصبح وجهه وعذب لفظه ، وحسن جسمه • ثم عَشِقَ وعشِق(٣٣) •

ثم استمرت تنظيمات العيارين فرأينا في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م يصبح لهم « في كل حرب أمير ، وفي كل محلة متقدم »(٣٤) • ولما حلت سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م ظهر رئيس للعيارين باسم عزيز البابصري ، وأصبح له اتباع ، طالبوا بضرائب الامتعة وجبوا الاموال • فلما تصدت لهم الحكومة هربوا في الظاهر(٣٥) •

ان الاخبار التي وردتنا عن رؤساء العيارين والشطار تظهر لنا دقة تنظيماتهم فقد ظهر من خلال تنظيماتهم العسكرية تدرج في الرتب ومن ثم في المسؤولية • ثم أصبحت سيطرة هؤلاء الرؤساء على اتباعهم عندما وكلوا اليهم جباية الاموال • وربما الى تنظيمات العيارين والشطار هذه ببغداد ، اشار المقدسي عندما قال بانه رأى دول العيارين(٣٦) •

فلمـا حل القرن الخامس الهجري برزت أسماء كثير من رؤسـاء العيارين ، الذين لعبوا دورا أكثر أهمية من سابقيهم • وأول خبر ورد عنهم كان في سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م عندما وقعت حرب بين الجند والاتراك وبين العيارين ، فلبس الجند عدة الحرب وطاردوا العيارين • ومن ثم دخلوا محلة الكرخ واستغلوا الفرصة فنهبوا الدور وكان في جملة الدور

---

(٣٣) التوحيدي ٣ : ١٦٠ الهمداني : تكملة : ٢١٧ سنة ٣٦٤هـ •

(٣٤) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٥٣ •

(٣٥) ن٠م : ٧٣ ، الذهبي : العبر ٣ : ٢٤ •

(٣٦) أحسن التقاسيم : ٤٥ •

التي نهبها الجند دار أبي يعلى الموصلي وكان رئيسا للعيارين[٣٧] • وأبو يعلى هذا قد بقي فيما يظهر مدة ثلاث سنين خارجا على الحكومة فقد وردت أخبار في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م بانه كان يشن الهجمات على الحكومة وفي احدى هذه الهجمات كان واتباعه قد قتلوا خمسة من « الرجالة وأصحاب المسالح »[٣٨] • وظهروا في اليوم التالي بالكرخ وهم يحملون السيوف المسلولة قائلين بانهم موكلون من قبل السلطان بحفظ البلد ، الا ان الحكومة طاردتهم والقت القبض عليهم وشنقتهم[٣٩] •

وكانت هجماتهم هذه تبدأ من مقر لهم خارج بغداد وعلى وجه التحديد في (اوانا[٤٠] وعكبرا)[٤١] • اما البيت الذي كان يتخذه رئيسهم أبو يعلى الموصلي ببغداد في (درب رياح)[٤٢] فانه كان يسكن فيه في الظاهر • وربما استخدمه للتعرف على أحوال بغداد ، ومتى ما اخذ الاموال ، أو طورد فانه يذهب الى مقره في اوانا وعكبرا بعيدا عن انظار الحكومة •

وكان معاصرا لهذا العيار عيار آخر أشد ضراوة منه ، واكثر اتباعا وهو البرجمي الذي أصبح مشهورا ومعروفا لدى الناس ببغداد ، ومن

---

(٣٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤ •

(٣٨) المسلحة : قوم ذوو سلاح أو قوم في عدة بموضع مرصد قد وكلوا به بازاء ثغر • واحدهم مسلحي والجمع مسالح ـ ابن منظور ٢ : ٤٨٧ وجاء في فتوة ابن المعمار ما يفهم منه ان المسالح هم نوع من تنظيمات الشرطة : ٢٨٩ •

(٣٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٥ •

(٤٠) بليدة من نواحي دجيل بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت • الحموي : معجم البلدان ١ : ٣٩٥ •

(٤١) بليدة من نواحي دجيل قرب صيرفين واوانا بينها وبين بغداد عشرة فراسخ الحموي : معجم البلدان ٣ : ٧٠٥ •

(٤٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٥ •

شدة خوف الناس منه ، ومن اتباعه ، انهم كانوا اذا دخلوا الى الدار التي يريدون سرقتها لا يستطيع احد من الجيران ان يغيث المسروقين مهما استغاثوا . وكانوا لا يتورعون عن سرقة الدار حتى اذا كانت مجاورة لدار المملكة (مقر السلطة البويهية)[٤٣] . وكان البرجمي هذا قد اتخذ له مقرا في (أجمة بالاحمرية) يلجأ اليها هو وجماعته[٤٤] ثم توالت هجماته ففي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م هجموا على بعض المحال من الجانب الشرقي[٤٥] . وفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م تحرك البرجمي وجماعته للسرقة ، ولم يرهبه وجود العسكر البويهي ببغداد[٤٦] . وتحرك في هذه السنة مرة أخرى نحو بغداد وانتشر أصحابه في جانبيها . ولما أراد الوزير وضع حد لهذا العيار عهد الى ابن النسوي (رئيس الشرطة) مطاردته ولكن ما ان قتل احد اصحاب ابن النسوي حتى هرب وترك بغداد تحت سيطرة البرجمي وجماعته .

وبلغ الامر في شهر شوال من هذه السنة ان العوام عند خطبة الجمعة في جامع الرصافة ثاروا ومنعوا الخطبة ، ورجموا القاضي أبا الحسين العريف الخطيب وقالوا « ان خطبت للبرجمي والا فلا تخطب لخليفة ولا لسلطان ولا غيره »[٤٧] . ولابد لنا هنا من ان نتسائل : ان كانت ثورة العامة هذه هي بدافع التأييد للبرجمي لانه كان يعبر عن حالتهم وخاصة الفقراء منهم تجاه السلطة الحاكمة وأهل الثروة ؟ أم بدافع الخوف من هذا

---

(٤٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٤ .

(٤٤) ن.م : ٤٥ وهذه الاجمة عبارة عن موضع كثير القصب يمتد لمسافة طويلة حوالي خمسة فراسخ وكان في وسط هذا الموضع تل جعله البرجمي معقلا ومنزلا — ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٨٢ .

(٤٥) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٧ ، ٥٠ .

(٤٦) ن.م : ٦٦ ، الذهبي : العبر ٣ : ١٥٢ .

(٤٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٥ .

العيار ؟ أم بدافع آخر هو السخط على الحكومة الهزيلة وعلى رأسها الخليفة ، التي تركت هذا العيار يتصرف كيف يشاء ؟ ولكننا لا نستطيع الجواب بالجزم على أحد هذه الاسئلة اذ ربما كانت الاجوبة جميعها هي الدافع الذي حدا بالعامة الى تأييد البرجمي .

ومن أعمال هذا العيار أيضا انه في سنة ٤٢٢هـ كبس درب ابي الربيع وأخذ الاموال من بعض المخازن ، فخافه الناس . وزاد خوفهم عندما قتل أحد اتباعه من العيارين صاحب الشرطة ، ونتيجة لهذا الخوف مالأه قادة الجند الاتراك (الاصفهسلارية) فخرجوا اليه وآكلوه وشاربوه . ونقل الناس أموالهم الى دار الخلافة وأخذوا يحرسون الدروب والاسواق، وزيد في حرس دار الخلافة وقامت ما يشبه (الداورية في الوقت الحاضر) بالتجوال حول الاسواق .

وبلغ الامر بسكان بغداد وخاصة أهل الرصافة ، وباب الطاق ، ودار الروم انهم كانوا يخافون ان يلفظوا اسم البرجمي الصريح ، بل يكنوه بالقائد ابي علي وهذا يظهر كثرة اتباعه ومؤيديه ، الذين جعلوا الناس في خوف من ان ينقل كلامهم فيه اليه .

وفي ربيع الاول من هذه السنة خرج جماعة من القواد الاصفهسلارية في طلب البرجمي ، فذهبوا الى مقره ، واتخذوا مواضعهم وتفرقوا على الطرق المؤدية الى مقره محاولين القبض عليه ، فخرج اليهم وقال لهم « من العجب خروجكم الي وأنا كل ليلة عندكم فان شئتم ان ترجعوا وادخل اليكم فعلت . وان شئتم ان تدخلوا الي فافعلوا » . ولكن أحدا من هؤلاء لم يجرأ على الدخول في اجمته للقبض عليه ، لا بل كان بعضهم خلال محاضرته هذه يراسله ويقوي عزمه[٤٨] .

---

(٤٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٧٢ الذهبي : العبر ٣ : ٥٣ ، ابن كثير ١١ : ٣٥ .

وفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م أصبح هذا العيار من السطوة بحيث انه عقد اتفاقا مع العامل على (المآصر الاعلى بقطيعة الرقيق)[٤٩] ان يأخذ منه في كل شهر عشرة دنانير وان يسمح له بان يجعل سفينتين كبيرتين تسيران في ذلك الموضع بدون دفع رسوم عنها ٠ وان يقوم البرجمي مقابل ذلك بحماية ذلك الموضع بدلا من الحكومة ، ولم يكتف بهذا النصر على الحكومة بل واصل هجومه على محال الجانب الشرقي[٥٠] ٠

وفي هذه السنة اعترفت الحكومة بقوة العيارين ورضخت لهم وتنازلت لهم عن جباية ما كان أصحاب المسالح يجبونه من الاسواق ومن المواخير ودور القيان ، وأصبح العيارون ينادون بالقواد[٥١] ٠

ان ضعف الحكومة أمام هؤلاء العيارين يفسره تواطؤ القواد كما رأينا مع البرمجي وتواطؤ بعض الولاة ايضا كعامل عكبرا المسمى (ابن القلعي) الذي القي القبض عليه واودع السجن نتيجة تعاونه مع البرجمي ٠ وكان القاء القبض على هذا الوالي هو الذي مهد السبيل لالقاء القبض على البرجمي نفسه ثم اغراقه في نهر دجيل ٠ وبعد قتل البرجمي سهل على الحكومة امر القبض على اتباعه ٠ وكان في مقدمتهم اخوه ، الذي جاء الى بغداد ليأخذ اختا له كانت تسكن سوق يحيى ثم ليهرب بها ٠ الا انه فوجيء عند دخوله الدار فقبض عليه وقتل[٥٢] ٠

ومما مر يتضح جليا كون العيارين جماعات من عامة بغداد لهم اهداف ثورية ولم تكن غايتهم مجرد اللصوصية والقتل ٠ اذ لم يرد عن

---

(٤٩) جاءت في الاصل (قطيعة الدقيق) ولكن الصحيح ما اثبتناه وهي موضع ببغداد ٠ أنظر الحموي : معجم البلدان ٤ : ١٤١ ٠

(٥٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٦ ٠

(٥١) ن٠م : ٧٨ ٠

(٥٢) ابن الجوزي المنتظم ٨ : ٧٨ ابن الاثير ٩ : ١٦٤ ٠

اللصوص ـ وقد مر الكلام عليهم في الفصل الأول ـ مثل هـذا التنظيم الذي اظهر العيارين كقوة تضاهي قوة الحكومة في مثل هذه الفترة ، مما ادى بالحكومة الشرعية ان تتنازل لهم عن جباية بعض الاسواق والاماكن الاخرى واضافة الى ذلك فقد وردت عن زعيم هؤلاء العيارين (البرجمي) بعض الصفات التي تبعده كل البعد عن اخلاق اللصوص الاعتياديين • مثل عدم تعرضه للنساء او اخذه شيئا منهن[٥٣] • او التعرض لشخص استسلم اليه[٥٤] • ويبدو ان اخبار البرجمي لم تصلنا جميعها وهذا ما يفهم من قول ابن الاثير بان « حكاياته كثيرة »[٥٥] • وربمـا لو وصلتنا جميعهـا لاظهرت لنا صفات طيبة اخرى تؤكد ما ذهبنا اليه •

ومن رؤساء العيارين ايضا (ابنا الاصفهاني) وقد ورد ذكر اسميهما في سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م بانهمـا قد تابا واشـتغلا في دار المملكة في جملة فراشيها[٥٦] •

ومن مقدمي العيارين ورؤسائهم في حوادث سـنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م الطقطقى والزيبق[٥٧] •

وابن بكرا نرئيس من رؤساء العيارين ايضا ، كان اول ظهوره في سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م وكثر اتباعه • وكان يركب في موكب من جماعته العيارين • ولقد خافه الشريف ابو الكرم والي بغداد فأمر ابن اخيه حامي

---

(٥٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٢ •

(٥٤) ابن الاثير ٩ : ١٦٤ سنتناول وصـف اخلاقهـم بشيء من التفصيل بعد قليل •

(٥٥) ن•م •

(٥٦) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٨ ، ابن كثير ١٢ : ٣٦ •

(٥٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٥٤ ، ابن الاثير ٩ : ٢٢١ •

باب الازج[٥٨] ان ينضم اليه ، ويلبس منه سراويل الفتـوة لكي يأمن شـره •

وكان ابن بكران هذا كسابقيه من العيارين قد اتخذ له مقرا خارج بغداد في موضع يسمى (السوادة)[٥٩] • وبلغ من امره انه وصديق له اسمه ابن البزاز ارادا ان يضربا باسميهما سكة في الانبـار وهـذا الخبر يؤكد مرة اخرى ما قلناه سابقا عن اهدافهم الثورية التي ارادوا تطبيقهـا في المجتمع البغدادي •

ولقد انبرى لهـذا العيار وجمـاعته شحنة بغـداد والوزير الزيني (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) فهددا الوالي بالقتل ان هـو لم يقتل ابن بكران ، لذلك استخدم الوالي الحيلة بواسطة ابن اخيه الذي اصبح صديقا لابن بكران بعد ان انضم اليه • حيث كان ابن بكران يأوي الى بيت ابن أخ الوالي ليلا ، فلما اخبر الوالي ابن اخيه بوجوب قتل ابن بكران قتله في احدى هذه الليالي ، وكان قد بات ليلته التي قتل فيها على سكر ثم بعد مدة وجيزة القي القبض على رفيقه ابن البزاز فصلب[٦٠] •

وظهر تنظيم العيارين الحربي مرة اخرى في حصار بغداد الثـالث ٥٥٢هـ/١١٥٧م حيث لعب العيارون دورا مهما في الدفاع عن بغداد تحت زعامة ابي الحسين العيار الذي اظهر شجاعة نادرة في مهاجمة الجيش السلجوقي، ونهبه واشاعة الخوف والاضطراب ليلا فيه[٦١] •

---

(٥٨) باب الازج احدى محال الجانب الشرقي من بغداد • وتشمل الآن محلة باب الشيخ ورأس الساقية وقسم من المربعة ـ مصطفى جواد وأحمد سوسة : دليل : ١٧٦ •

(٥٩) لم نعثر على هذا الموضع في كتب الجغرافية المتوفرة لدينا •

(٦٠) ابن الاثير ١١ : ٢٦ •

(٦١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٨ ـ ١٧٤ •

وبلغ الامر في سـنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ان كل جمـاعة من العيارين احتمت بامير من امراء الدولة السجوقية او بابن وزير[٦٢] • وفي هذا يقول ابن الاثير بان « ولد الوزير واخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين ، فلم يقدر بهروز (الشحنة)[٦٣] على منعهم[٦٤] » • واستمر بهم الحال هكذا حتى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م بعد ان زادت هجماتهم نتيجة لاطمئنانهم من مطاردة الحكومة ، بسبب وجود ابناء الامراء والوزراء بين ظهرانيهم • ولكن ما ان شكا نائب الشـحنة (ايلد كز) الى السـلطان واخبره بان عقيدي[٦٥] العيارين ابن الوزير ، واخو امرأته ، حتى امر بالقبض عليهما وقتلهما • وعند ذلك هرب ابن الوزير مع من هرب من العيارين اما الاخر فقد صلب[٦٦] • وهذا يدل على مدى اتساع حركة العيارين واتخاذها الطابع الاجتماعي ، بحيث شملت ابناء الوزراء والامراء •

وكان من جملة تنظيمات العيارين اتخاذهم مراسيم خاصة اتبعوها عند موافقتهم على انتماء اشخاص جدد اليهم • فكانوا يلبسون العضـو الجديد سـراويل خاصـة تسمى (سراويل الفتوة)[٦٧] • ولقد اورد التنوخي عنهم انهم كـانوا يشـربون انخابـا من النبيذ احتفـاء بالعضـو الجديد[٦٨] • وكان من زيّهم ايضا أن يحلقوا رؤوسهم « قزعا »[٦٩] أي انهم لم يكونوا يحلقونها تماما وكذلك لم يكونوا يرسلون شعورهم

---

(٦٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٩٥ •

(٦٣) مر شرحها في هامش ص ٣٧ من الفصل الاول •

(٦٤) ابن الاثير ١١ : ٣٧ •

(٦٥) عقيد : رتبة من رتب العيارين •

(٦٦) م٠س : ٣٩ •

(٦٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٧٨ ، ابن الاثير ١١ : ٢٦ •

(٦٨) التنوخي : الفرج بعد الشدة : ٣٣٨ ــ ٣٤٠ •

(٦٩) ولقد كانت في الاصل « قزحا » ابن الاخوة : ١٩٩ •

بل كانوا يتركون بعضه غير محلوق(٧٠) .

وعلاوة على تنظيمات العيارين العلنية فانهم قد التجأوا الى التنظيم السري في بعض الاوقات(٧١) . كما حدث في سنة **٤٧٣**هـ/**١٠٨٠**م وذلك عندما اتخذت جماعة منهم من مسجد براثا مقرا لهم يجتمعون فيه . وكان لهم رئيس اسمه ابن الرسولي الخباز الذي وجدت عنده كتب الفها في الفتوة . وكان يساعد ابن الرسولي شخص اسمه عبدالقادر الهاشمي البزاز ، الذي جعله واسطة بينه وبين من يدخل في تنظيمه . واخذ ابن الرسولي هذا بارسال الكتب الى جميع البلدان يدعوهم للانضمام اليه . ومن جملة من كتب اليهم والي المدينة التابع للدولة الفاطمية بمصر . الا ان الحكومة عرفت به فالقت القبض عليه وعلى صاحبه الهاشمي وبعض اتباعه وفر الباقون(٧٢) .

ولعل هذا النوع من التنظيم كان خطوة الى الامام بالنسبة لحركة العيارين . كما يبدو من سيرة رئيسهم الذي الف الكتب في الفتوة وفضائلها ووضع قانونا لها ، وعين لها الدعاة وما الى ذلك(٧٣) . الا ان هذه الحركة الجديدة لم يكتب لها الحياة لتسير في بث دعوتها وتوسيع حركتها . لذلك عادت حركة العيارين بعد هذا التاريخ الى ما كانت عليه(٧٤) .

ولكن لماذا اتخذ ابن الرسولي دعوته السرية هذه ؟ واظن الجواب على هذا السؤال يقتضي الرجوع بالذاكرة الى ما كان يعمله رؤساء العيارين من اتخاذ مقرات لهم خارج بغداد بعيدين عن اعين الحكومة

---

(٧٠) الرازي : ٥٣٤ ، الفيروزاباذي ٣ : ٦٨ .

(٧١) لقد اورد التنوخي في القرن الرابع عن جماعة من الفتيان كان لهم تنظيم سري في البصرة ، الفرج : ٣٣٨ ـ ٣٤٠ .

(٧٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٣٢٦ .

(٧٣) ن.م .

(٧٤) أنظر (ح) من هذا الفصل ص ٣٠٢ فما بعدها .

وسيطرتها . ولما كان ابن الرسولي قد اتخذ من مسجد براثا (المهجور) آنئذ مقرا له ، وهو لا يبعد كثيرا عن بغداد ان لم يكن موضعه جزءا من بغداد نفسها . لذلك كان لزاما عليه لكي يحفظ نفسه واتباعه ، ان يسلك سبيل التعمية والسرية في حركته والدعوة اليها . وربما كانت الحكومة في تلك الفترة قد اتخذت تدابير مشددة ، جعلت ابن الرسولي يتجه الى السرية في التنظيم . اما القول بان العيارين لاقوا مقاومة شديدة في العصر السلجوقي ، أدت بهم الى اللجوء الى التقوي بالدين والاجتماعات السرية أو التغفلية والاتصال بالدولة الفاطمية(٧٥) ، فذلك مما لا تؤيده الوقائع التأريخية حيث ان حركات العيارين كادت ان تكون سنوية طيلة الحكم السلجوقي(٧٦) . وهذا يدل على ضعف الجهاز الحكومي وعلى رأسه خليفة بغداد ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان بعض حركات العيارين كانت تحدث حتى اثناء وجود الجيش السلجوقي ببغداد(٧٧) .

ولقد تشعبت فرق العيارين وكثر عددها قبل ان يؤول امرها الى الخليفة الناصر لدين الله(٧٨) الذي نظمها تحت اسم الفتوة(٧٩) . وجعل لها طقوسا خاصة ومراسيم لابد من ادائها لمن اراد الدخول في فتوته(٨٠) .

---

(٧٥) مصطفى جواد : مقدمة كتاب فتوة ابن المعمار : ٣٨ .
(٧٦) م.س .
(٧٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٦ ، الذهبي : العبر ٣ : ١٥٢ .
(٧٨) ابن المعمار : الفتوة : ١٤٠ ـ ١٤٧ .
(٧٩) ن.م : ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٨٠) ابن الاثير ١٢ : ١٨١ وأنظر مصطفى جواد : الفتوة والفتيان قديما ـ مجلة لغة العرب ٢٤١ ـ ٢٤٩ الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين ـ مجلة المجمع العلمي العراقي : ٦٤ مقدمة كتاب فتوة ابن المعمار له : ٥١ ٥٤ ، تشنر : الفتوة والخليفة الناصر ـ ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين : ١٨٩ ، الديوهجي : الفتوة : ٣٢ ،
Arendonk: Futuwa - E. I. Vol. II. P. 123

وكان كثير من تلك المراسيم قد استمد من مراسيم العيارين التي مرت بنا[٨١] .

ج ـ ان هجمات العيارين كادت ان تكون سنوية طيلة القرن الخامس ، وكانت كما قلنا موجهة ضد الاغنياء ورجال الحكم . وكان العيارون يتأكدون من حالة الرجل الغني قبل سرقته أو التعرض له ، عن طريق التجسس عليه ، وقد اتخذوا النساء بصورة خاصة لتلك المهمة[٨٢] . ولعلهم كانوا يستفيدون من دورهم الخاصة[٨٣] . ودور اقاربهم[٨٤] ، او اصدقائهم[٨٥] ببغداد ، للتعرف على احوال بغداد وعن تدابير الحكومة .

فمن الهجمات التي شنوها ضد الاغنياء ما حدث في السنين التالية : سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م وفيها هجموا على الدور نهارا ثم استعملوا المشاعل ليلاً ، وكانوا يأخذون ذخائر الناس ويستخرجونها منهم بالضرب . وكان الرجل لا يجد مغيثا مهما استغاث وفي سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م عمل الناس ابوابا على الدروب لتنجيهم من العيارين الا انهم لم يفلحوا[٨٦] . وفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م هجم العيارون فنهبوا مخازن التجار ودور الاغنياء[٨٧] . وفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م سرقوا اصحاب الاكسية[٨٨] . ونتيجة لذلك اخذ التجار بالمبيت ليلا في اسواقهم لحراستها . وفي هذه السنة نفسها قتل

---

(٨١) أنظر الدوري : نشوء الاصناف ـ مجلة الآداب : ١٦٣ .

(٨٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٦٩ ، سبط ابن الجوزي : ج ٨ ق ١ ص ١٨٣ .

(٨٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٤ .

(٨٤) ن٠م : ٧٨ .

(٨٥) ابن الاثير ١١ : ٢٦ .

(٨٦) ابن الاثير ٩ : ١٣٢ .

(٨٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٧ ، ٥٠ الذهبي : دول الاسلام ١ : ١٨٢ ، العبر ٣ : ١٤١ .

(٨٨) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٤ .

العيارون بعض الاغنياء الذين قاوموهم[٨٩] . وفي سنة ٤٢٣هـ هجم العيارون على بزاز وسرقوا امواله ، الا ان وقوف اهل سوقه الى جانبه ومؤازرتهم له ، جعل العيارين يردون ما اخذوا منه[٩٠] . وفي سنة ٤٢٤هـ كبس العيارون دار تاجر فاخذوا منها ما قيمته عشرة الاف دينار[٩١] . وفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م أخذ العيارون من خان القوارير بباب الطاق شيئا عظيما من الاموال[٩٢] . وفي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م دخل مائة من العيارين الى خان ، واخذوا ما فيه وكان اخذهم منه (بالكارات)[٩٣] والناس يرقبونهم ولا يستطيعون ان ينطقوا بشيء[٩٤] . وفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م جبوا الاسواق واخذوا ما كان ياخذه جباة الضرائب الحكوميون[٩٥] . وفي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م هجموا على اغنى دور في محلة العتابين فاخذوا ما فيها ، ولم يكتفوا بذلك بل اخذوا ما وجدوه عند الباعة[٩٦] . وفي سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م اخذوا اموال البزازين[٩٧] ، وفي سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م اخذوا سفينة محملة باموال كثيرة ، كانت معدة للانحدار الى واسط[٩٨] . وفي هذه السنة نفسها نهب العيارون اموالا تعادل قيمتها الوف الدنانير[٩٩] .

---

(٨٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : الذهبي : العبر ٣ : ١٥٢ .

(٩٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٦ .

(٩١) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٦ .

(٩١) ن٠م : ٧٢ ، الذهبي : العبر ٣ : ١٥٣ .

(٩٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٦ .

(٩٣) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب ـ الرازي : ٥٨٢ ان هذا التعبير مستعمل الآن عند عامة بغداد وغيرها من مدن العراق لنفس المعنى .

(٩٤) الذهبي : العبر ٣ : ١٦١ .

(٩٥) ابن الاثير ٩ : ٢٢١ .

(٩٦) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢١٦ .

(٩٧) ن٠م ١٠ : ٥٨ .

(٩٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٦٨ .

(٩٩) ن٠م : ٦٩ .

ونتيجة لخوف المثرين والتجار من سطوة العيارين ، وعدم ثقتهم بقوة الحكومة كانوا يلجأون الى مداراة العيارين وملاطفتهم اتقاء لشرهم . فمن ذلك ما عمله احد وجوه الاتراك بسوق يحيى عندما اراد ان يختن ولدا له ، فأهدى الى البرجمي حملانا وفاكهة وشرابا . وقال هذا نصيبك من طهر فلان ولدي[100] .

وكان العيارون يصطدمون بالسلطة دائماً ، ولم تسلم دور رجال الحكومة ولا ارواحهم من العيارين ، فقد تتبع العيارون في سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م الجند الاتراك والشرطة وقتلوا كثيرا منهم ومن المتصلين بهم[101] . وفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م قتل العيارون خمسة من « الرجالة واصحاب المسالح »[102] وفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م قتل العيارون خمسين عيارا رجلا مسلحيا بنهر الدجاج[103] ، وقتلوا اناسا آخرين كانوا معه واحرقوا داره[104] .

ولقد عين لمطاردة العيارين (أبو محمد بن النسوي) الذي مرت الاشارة اليه فيما مضى سنة ٤٢١هـ والذي بذل جهدا كبيرا ومحاولات عدة للقضاء عليهم ، ولكنه لم يستطع بالرغم من استعانته بجماعة من العيارين انفسهم حيث اقامهم « اعوانا واصحاب مسالح »[105] . لذلك اضطر الى الهرب في السنة التالية[106] ، ولم يكتف العيارون بهذا النصر على رئيس الشرطة بل انهم كبسوا داره ايضا[107] . واندروا الامير البويهي اذا لم

(١٠٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٥ .

(١٠١) ن٠م : ٢٢ .

(١٠٢) ن٠م : ٤٥ .

(١٠٣) محلة ببغداد في الجانب الغربي على نهر كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ ــ الحموي : معجم البلدان ٤ : ٨٣٨ .

(١٠٤) م٠س : ٤٧ .

(١٠٥) م٠س : ٤٩ .

(١٠٦) م٠س : ٥٤ .

يبعد رئيس الشرطة ابن النسوي فانهم سوف يحرقون ويفسدون • ويقدر ابن الجوزي عدد هؤلاء العيارين بخمسين رجلا[١٠٨] ولقد اعيد ابن النسوي عام ٤٢٣هـ/١٠٣١م واستطاع في هذه السنة ان يردع العيارين ردعا تاما[١٠٩] • ولكنهم في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م حرقوا داره رغم كونه رئيس الشرطة[١١٠] ، وعادوا اليه في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م وكبسوه في داره وجرحوه عدة جراحات[١١١] •

كان العيارون يحقدون على رجال الشرطة حقدا شديدا ، وخاصة من عرف منهم بتتبعه للعيارين ومطاردته لهم • فكانوا ينتقمون منهم أثناء وجودهم في مناصبهم ان امكنهم ذلك • اما اذا صرف احد رجال الشرطة أو أحد موظفي الحكومة من عمله فان انتقامهم منه يكون ايسر وهذا ما فعلوه (بصاحب المعونة الكلالكي)[١١٢] الذي قتلوه واحرقوه حالما اخرج من منصبه[١١٣] •

ورغم شدة ابي الغنائم الذي اقيم على (المعونة) سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م فان العيارين لم يخافوا وبلغ من جرأتهم انهم تحدوا احد قواد ابي الغنائم ، وكان قد أسر أربعة من أصحاب البرجمي واعتقلهم ، اذ جاءه

---

(١٠٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٧ •
(١٠٨) ن•م •
(١٠٩) ن•م : ٦٦ •
(١١٠) ن•م : ٨٨ •
(١١١) ن•م : ١٥١ •
(١١٢) المعونة : المساعدة وجمعها المعاون ويطلق هذا اللفظ على الشرطة التنفيذية ويسمى متولي المعاون « عامل المعونة » أحيانا و « صاحب المعونة » أحيانا أخرى وتتسع هذه الرتبة فتداخل وظيفة الشرطة العامة ـ مصطفى جواد : اولية الشرطة واطوارها وأصنافها عند العرب • مجلة الشرطة والامن سنة ١٩٦٣ عدد ١ ص ٢٥ •
(١١٣) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٦ •

البرجمي وطرق عليه الباب وهدده بانه اذا لم يطلق الاربعة العيارين من جماعته فانه سيقتل أربعة من أصحاب القائد ، ويحرق داره . فما كان منه الا ان سلمه اصحابه ورضخ للامر الواقع(١١٤) .

ومن اخبارهم في محاربة الحكومة انهم في سنة ٤٢٨هـ هجموا على السجن في الجانب الشرقي من بغداد وقتلوا بضعة عشر من رجال المعونة(١١٥) .

ولم ينج من العيارين قاض القضاة نفسه (الدامغاني)(١١٦) فقد اخذوا من داره سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م ثيابا ولم يردوها اليه الا بعد تعب(١١٧) .

وبلغ الامر من ضعف الشرطة تجاه العيارين سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م انهم تركوا الجانب الغربي تحت تصرفهم وحكمهم(١١٨) .

وقد نسبت للعيارين اعتداءات وسرقات على الفقراء ومتوسطي الحال ، كما في سنة ٤٥٦هـ/١٠٣٤م عندما احترق سوق العطارين وسرقت منه عشرة الآف دينار(١١٩) . وفي سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م عندما سرقت بغال السقائين وثياب القصارين(١٢٠) . وفي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م حيث سرقت عدة دكاكين من نهر الدجاج ، ونهر طابق ، والعطارين(١٢١) .

---

(١١٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٧٥ .

(١١٥) ن٠م : ٩١ .

(١١٦) أبو الحسن علي بن محمد بن علي الدامغاني المتوفى سنة ٥٥٥هـ ـ الذهبي : العبر ٤ : ١٥٦ .

(١١٧) م٠س ٩ : ١١٣ .

(١١٨) م٠س : ١٣٧ .

(١١٩) م٠س ٨ : ٨٣ .

(١٢٠) م٠س : ٩١ .

(١٢١) م٠س : ١٧٩ ونهر طابق محلة تقع في الجانب الغربي من بغداد ـ الحموي : معجم البلدان ٤ : ٨٤١ .

ومن جملة ما نسب اليهم أيضا انهم في سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م وقفوا في الطريق فأخذوا ثياب الناس المارين فيهـا وقت السـحر(١٢٢) • ومن الجائز ان تكون هذه الاعتداءات التي اصابت الفقراء ومتوسطي الحال من قبل اللصوص الاعتياديين الذين استغلوا حركات العيارين فقاموا باعتداءاتهم المذكورة ، فنسبت الى العيارين •

ولقد وردت اخبار كثيرة عن حركات العيارين وهجماتهم ، لم يشر المؤرخون فيها الى نوع الضحايا في تلك الهجمات ، الا ان الملاحظ من خلال حركاتهم ضد اصحاب الاموال ورجال الحكومة بالمقارنة مع الاعتداءات المنسوبة اليهم ضد الفقراء ومتوسطي الحال يظهر بأن السرقة والاعتداءات كانت موجهة ضد الفئة الاولى ، وقـد يصاب الفقراء ومتوسطو الحال بالاضرار نتيجة لحركات العيارين وان لم يكونوا الهدف المباشر لها • كما حدث في سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٥م(١٢٣) ، ٤٠١هـ/١٠١٠م(١٢٤) ، ٤٠٨هـ/١٠١٧م(١٢٥) ، ٤٢٥هـ/١٠٣٣م(١٢٦)، ٤٢٦هـ/١٠٣٤م(١٢٧) ، ٤٩٧هـ/١١٠٣م(١٢٨) •

وتكاد اغلب حوادث العيارين وحركاتهم تقع في الجانب الغربي من بغداد وذلك لوجود التجار(١٢٩) فيه • وليس معنى هذا ان الجانب الشرقي

---

(١٢٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ٦٧ •

(١٢٣) ابن الاثير ٩ : ٦٤ •

(١٢٤) ن٠م : ٨٣ •

(١٢٥) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ٢٨٧ •

(١٢٦) ن٠م ٨ : ٧٦ •

(١٢٧) ن٠م : ٨٢ •

(١٢٨) ن٠م ٩ : ١٣٧ •

(١٢٩) ابن الاثير ٨ : ٢٢٢ •

ليس فيه اغنياء او موسرون او انهم لم يصابوا باذى العيارين[١٣٠] •

د ـ وكان للشطار العيارين اخلاق وصفات خاصة بهم[١٣١] ، ذكرها المؤرخون في موضع الذم ، ولكننا وجدنا فيها جوانب تبعدهم عن الذم وتبرىء ذمتهم من ان تداني اخلاق اللصوص الاعتياديين • وهي (اولا) صبرهم على الشهوات • (ثانيا) صبرهم على تحمل الاذى كالضرب بالسياط وتقطيع الاعضاء ، والصلب وسمل العيون وقطع الايدي والارجل ، وشتى انواع التمثيل[١٣٢] • وكان احدهم يفخر بما يلقاه من ألم الضرب والقطع ويزداد فخرا وزهوا على زملائه اذا ما حكم عليه بالصلب[١٣٣] • وهذا فيما نرى ميدانا آخر ـ غير محاربة الحكومة ـ بالنسبة للعيارين لاظهار رجولتهم وشجاعتهم • وهو يعكس الوانا من الشجاعة لم تكن الظروف مواتية لكي تظهر بشكلها الطبيعي[١٣٤] • (ثالثا) عدم بوحهم باسرار اصدقائهم ومؤيديهم مهما لاقوا من تعذيب او ايذاء[١٣٥] • وواضح من هذه الصفة ان العيار يقوم بما لا يمكن ان يقوم به لص عادي او مجرم محترف • ومن جهة اخرى فان هذه الصفة تظهر قوة الرابطة التي كانت تجمعهم والتي تحول دون افشاء بعضهم لاسرار البعض الاخر مهما تنوع التعذيب والايذاء • (رابعا) محافظتهم على المحارم وعدم

---

(١٣٠) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ٧٦ ، ١٠ : ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ •

(١٣١) لقد ألف الجاحظ كتابا عن أخلاق الشطار ـ أنظر الحموي : معجم الادباء ٤ : ٦ •

(١٣٢) مسكويه : تهذيب : ٨٨ •

(١٣٣) ورام : تنبيه الخواطر ١ : ٩٢ •

(١٣٤) كالاشتراك في الغزوات كما كان الحال بالنسبة للعهود الاسلامية السابقة • أو البروز في احدى ميادين الرياضة كما هو الحال اليوم •

(١٣٥) م•س ، ابن الجوزي : الاذكياء : ١٩٧ •

هتكهم ستراى امرأة • (خامسا) محافظتهم على شرفهم فترى احدهم اذا سمع عن ابنته او اخته ما يشين عمد الى قتلها ، وانهم كانوا يعتبرون ذلك من الفتوة • (سادسا) انهم لا يكذبون فقد جاء عن احدهم انه كان مسجونا ثم سمع بمجيء تاجر ومعه جوهر يقدر قيمته بألوف الدنانير ، فأغراه ذلك بالخروج من السجن لسرقته ، ولما كان لا يستطيع الهرب من السجن فانه اتفق مع السجان على ان يعود الى سجنه مباشرة بعد سرقة الجوهر وكان الضمان الوحيد الذي قدمه للسجان هو كلمة وعد وعده بها على ان يعود الى سجنه مباشرة بعد سرقة الجواهر وقد فعل ذلك[١٣٦] • (سابعا) انهم لا يزنون[١٣٧] • ولقد مر معنا ذكر العيار البرجمي وكيف انه كان لا يتعرض لامرأة ابدا (ثامنا) محافظتهم على شرف الكلمة ، اذ كانوا لا يتنازلون عن كلمة قالوها لانسان حتى وان تعرضوا في سبيل ذلك الى التصادم مع الحكومة • فقد طلب من شاطر ان يسلم الى السلطان غلاما كان يخدمه فابى ذلك فضرب ألف سوط الا انه استمر على اصراره[١٣٨] • وربما كان لهذه الصفة اثرها في استخدامهم من قبل الحكومة نفسها احيانا لضبط الاسواق ، كما حدث في عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م[١٣٩] •

فهذه الاخلاق فيما نرى اخلاق فاضلة ، تدل على ان للعيارين مبادىء معينة حاولوا تطبيقها في المجتمع البغدادي • وكان في جملة هذه المبادىء اعادة توزيع الثروة لذلك كانت هجماتهم مستمرة على دور الاغنياء ورجال الحكومة •

---

(١٣٦) ابن الجوزي : الاذكياء : ١٩٦ ــ ١٩٨ •
(١٣٧) ابن الجوزي : تلبيس : ٣٧٨ •
(١٣٨) القشيري : الرسالة القشيرية : ١١٤ •
(١٣٩) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٢٥١ ، صفة الصفوة له ٢ : ٢٧٠ •

٢ ـ ثورات عامة :

لقد قامت جماهير بغداد بعدة ثورات ضد الحكم الاجنبي (البويهي والسلجوقي) واستمرت هذه الثورات حتى استطاع العراق التخلص من السيطرة الاجنبية في نهاية النصف الاول من القرن السادس الهجرى .

وكانت لهذه الثورات اسباب مباشرة واخرى غير مباشرة وكانت الاخيرة هي الاسباب الحقيقية لثورات الجماهير ببغداد ، وهي (اولا) ـ وجود السلطة الاجنبية وما ينتج عنها من ظلم اجتماعي[١٤٠] ، وارباك للحياة الاقتصادية[١٤١] . و (ثانيا) ـ ضعف السلطة الشرعية وعلى رأسها الخليفة التي لم تستطع حماية الجماهير من الظلم الواقع عليها. اما الاسباب المباشرة فكانت تأخذ شكلين ، احدهما ثورة محلية تكون كرد فعل لاعتداء يقع على احد العوام . فتثور العامة لنصرة ذلك المعتدى عليه . وثانيهما جماعية عامة توزع الحكومة فيها السلاح على العامة ، لتحارب الجيش الاجنبي .

أ ـ فمن النوع الاول ما حدث سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م عندما جرت منازعة بين احد الاتراك النازلين بباب البصرة وبعض الهاشميين . فما ان سرى الخبر الى الهاشميين حتى بادروا الى الاجتماع في جامع المنصور ، ورفعوا المصاحف واستنفروا الناس . ثم قابلهم الاتراك برفع صليب امامهم ، والتحم الطرفان وتراموا بالنشاب والآجر فوقع بين الفريقين بعض القتلى ، ثم اصلحت بعدها الامور[١٤٢] .

وفي عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وعندما دخل السلطان طغرلبك بجيشه

---

(١٤٠) أنظر الفصل الاول (ب ـ الجند) ص ٤٢ ـ ٥٢ .
(١٤١) أنظر الفصل الاول (ج ـ الفلاحون) ص ٩٠ ـ ٩٣ .
(١٤٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٥٠ .

بغداد اراد بعض جنده شراء تبن لحصانه من احد الباعة ، الا ان البائع لم يفهمه فاستغاث بالعامة فتجمع العوام ورجموا ذلك الجندي ، ثم اخذوا بمطاردة الجند في شوارع بغداد مما ادى الى حدوث الصدام بينهم وقتل نتيجة لهذا الصدام عدد كبير من الطرفين(١٤٣) .

وفي عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م ثارت العامة نتيجة اعتداء قام به جندي تركي على بائع متجول حيث كان قد ضربه وشج رأسه فاستغاث البائع بالعامة وظهرت بوادر الثورة فاسرع الخليفة لمعالجة الموقف ، بان نقل الجند الاتراك من قصر الخلافة الذي كانوا فيه الى دار المملكة(١٤٤) .

وثار العوام سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م عندما قتل بعض عسكر شحنة بغداد ملاحا كان ينقل هؤلاء الجند عبر دجلة . ولما كان قد ابطأ في عبوره رموه بالنبال فمات ، فثارت العامة وعلى رأسها سكان محلة الملاحين المعروفة باسم (مربعة القطانين) . وشارك في هذه الثورة اهل سوق الثلاثاء . وكان العيارون ايضا في جملة من شارك في هذه الثورة ضد السلاجقة(١٤٥) .

ب ـ واما الثورات الجماعية التي قامت بها جماهير بغداد ، فقد حدثت في سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م عندما شعرت بضعف البويهيين ببغداد ، فطردتهم الى واسط(١٤٦) .

وفي عام ٤٢٣هـ/١٠٣١م كانت العامة قد تهيأت لثورة مسلحة وخرجت الى الشوارع تنتظر الفرصة للوثوب على الملك البويهي جلال الدولة وذلك لانه جاء الى دار الخلافة وجلس في حديقتها واخذ بالشرب والغناء فلما انزعج الخليفة من عمله امر باخراجه من الدار . فسرى

---

(١٤٣) ابن الاثير ٩ : ٢٢٨ .

(١٤٤) م.س : ٤٤ .

(١٤٥) ابن الاثير ١٠ : ١٢٦ .

(١٤٦) ن.م ٩ : ١١٤ .

الخبر الى العامة فاسرعت بالخروج الى الشوارع . الا ان جلال الدولة بعد خروجه من دار الخلافة مر بدجلة فاستقبله العوام بالهزء والسخرية[١٤٧] .

ولم يحدث صدام بين العوام المتجمعين على شواطيء دجلة والجند المرافقين لجلال الدولة لالتزام الجند بالهدوء كما يبدو وعدم استفزازهم العوام المتحفزين للثورة .

وكانت العامة من شدة كرهها لهؤلاء الاعاجم الغرباء لا تضيع فرصة تجدها دون التعبير عن ذلك الكره ففي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م استقر ان يزاد في القاب الملك البويهي جلال الدولة ـ شاهان شاه الاعظم ، ملك الملوك ـ وفعلا فقد خطب له بهذا اللقب فما كان من العامة عند سماعها هذا اللقب الجديد يتلى من فوق المنبر حتى رمت الخطيب بالآجر . ولما اتسع نطاق الثورة تدخلت الحكومة فاوعزت فيما يبدو الى الفقهاء لايجاد حل يرضي العوام ، فأصدر بعض الفقهاء بيانا أوضح فيه ان هذه الالقاب لا توجب التكبر والمماثلة بين الخالق والمخلوقين .. كذا . ولكن لم يكن لهذا التوضيح أي اثر في تهدئة العامة[١٤٨] .

وفي سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م عبث الجند بالامن ، واخذوا بنهب الدور بحجة البحث عن الوزير البويهي المختبيء ، ولم يوقفهم عند حدهم غير وثبة العوام . حيث عبر أهل الكرخ والقلائين ونهر طابق وباب البصرة الى دار الغربة من اجل حراسة الناس من عبث الجند . ولم يرجع العوام الا بعد ان طلب الخليفة منهم ذلك . مخافة اتساع الثورة[١٤٩] .

ولما دخل الجيش السلجوقي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م من باب

---

(١٤٧) ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ٦٧ .
(١٤٨) ن٠م : ٩٧ .
(١٤٩) ن٠م : ١٥٩ .

الشماسية(١٥٠) ، تصدت لـه العامة فنهبته واستمر النهب حتى وصلت العامة الى مقر السلطان (طغرلبك) الا ان الجيش هجم على العامة فهربت وكان ذلك طبيعيا بالنسبة لجيش لجب مدرب تجاه اناس يعوزهم التنظيم والسلاح •

وكان طبيعيا ايضا ان يشعر الجيش السلجوقي بروح استعلائية تدفعه اليها نشوة النصر ، الا ان العامة لم تمهله طويلا كي ينعم بانتصاره فثارت ضده وقتلت عددا كبيرا من جنده(١٥١) •

وبلغ من شجاعة عامة بغداد وحماسها انها في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وعلى اثر انسحاب الجيش السلجوقي من بغداد ، ان اخذت السلاح الذي وزعته الحكومة عليهم لكي تدافع عن بغداد ضد جيش البساسيري ؛ وهو قائد تركي من قواد جيش الخليفة القائم بأمر الله الا انه اعلن العصيان ضده وأخذ يدعو للخليفة الفاطمي بمصر وقد استمر القتال بين العامة وجيش البساسيري اربعة ايام ، كانت العامة فيها تقاتل بشجاعة سواء كان ذلك على الارض اليابسة او على الزوارق في نهر دجلة(١٥٢) •

وقد استمرت العامة تتحين الفرص للوثوب بالسلاجقة بعد القرن الخامس حتى استطاعت ان تتخلص من سيطرتهم نهائيا • ففي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م دافعت عن بغداد وحاربت الجيش السلجوقي حتى بعد ان يئس الخليفة وترك بغداد تحت رحمة السلطان السلجوقي وجيشه • اذ ظلت العامة ترشق الجند بالسباب والنبال(١٥٣) •

---

(١٥٠) الشماسية تقع في شمال بغداد من الجانب الشرقي منها ـ الحموي : معجم البلدان ٣ : ٣١٧ •

(١٥١) م•س : ١٦٦ •

(١٥٢) الخطيب البغدادي : تاريخ ٩ : ٣٣٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٩٠ ، ابن الاثير ٩ : ٢٣٩ •

(١٥٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ : ٢٥٤ •

وفي سنة ٥٣٠هـ/١٠٣٥م وصل رسول من السلطان مسعود وطالب الخليفة الراشد بما كان مستحقا على الخليفة المسترشد قبله من المال البالغ ٤٠٠,٠٠٠ دينار فلما اجابه الخليفة الراشد بعدم استطاعته دفع المال حاول هذا الرسول بمن معه من الجند اقتحام دار الخلافة واخذ الاموال منها . الا ان الخليفة سارع الى اتخاذ الاحتياطات واستطاع في الاخير ان يطرده من بغداد . فألتهب حماس جماهير العامة بهذا النصر فاندفعت نحو دار السلطنة السلجوقية ببغداد[١٥٤] ونهبته[١٥٥] .

وثارت عامة بغداد في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ثورة عظيمة شارك فيها صبيان بغداد . وذلك على اثر مجيء جماعة من الامراء السلاجقة المنشقين عن السلطان مسعود وهجومهم على بغداد ونهب الاموال منها واعتدائهم على النساء فيها مما اثار العامة ، لذلك خرجت تقاتلهم حتى بالميازر الصوف والمقاليع[١٥٦] . وقد سقط الكثير من القتلى بين الطرفين ، ويقال ان في احدى هجمات العامة على ذلك الجيش قتل منهم قرابة الـ ٥٠٠ رجل[١٥٧].

وفي اواخر سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م واوائل سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م جاء السلطان محمد فكان للعامة دور كبير في صد ذلك الجيش وعدم تمكينه من الدخول الى بغداد بالرغم من استمرار مدة الحصار شهرين متوالين . كانت العامة خلالها تقاتل في الزوارق بنهر دجلة وفي الشوارع وعلى الاسوار وهي تحمل السيوف والنبال والمقاليع وزراقات النار . وقد ابدى

---

(١٥٤) وهي نفسها دار المملكة البويهية بعد ان اضاف اليها السلاجقة بعض القصور ـ مصطفى جواد وسوسة : دليل : ١٥٢ .

(١٥٥) ابن الاثير ١١ : ١٤٠ .

(١٥٦) لقد استعملت الميازر لتصد نبال السلاجقة ـ أنظر ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٨ اما المقاليع فكانت تستعمل لرمي الاحجار .

(١٥٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٣٣ الذهبي : دول الاسلام ٢ : ٤٣ .

صبيان بغداد في هذا الحصار شجاعة نادرة كالشجاعة التي اظهروها عام **٥٤٣هـ/١١٤٨م** فقد كانوا يحملون القوارير الملأى بالنفط لرميها على فرسان السلاجقة . أو يعومون في دجلة ليصلوا الى سفن السلاجقة لحرقها أو لقتال جندها[١٥٨] . وكان نتيجة هذا النضال الدائب ان تخلص العراق من سيطرة السلاجقة نهائيا بعد فشل هذا الحصار .

لقد تجلت الشجاعة في ثورات العامة هذه ضد السلطة الاجنبية (بويهية وسلجوقية) ولكن الذي كان يحول دون النصر النهائي على هاتين السلطتين كما يظهر لنا ، جملة امور هي (اولا) ـ وجود روح التعصب المذهبي التي كانت سائدة آنذاك ، والتي كانت تؤدي الى عدم الثقة بين فئات العامة ، ومن ثم عدم اتحاد العامة ضد هؤلاء الاجانب . فمن الحوادث التي كانت قد وقعت والتي تؤيد ما ذهبنا اليه ، حوادث سنة **٣٩١هـ/١٠٠٠م** وذلك عندما هجم الاتراك على الكرخ فنهض اهل السنة معاونين الجند الاتراك ضد اهل الكرخ الشيعة[١٥٩] . ثم لما ثار العامة من اهل السنة ضد البساسيري كان اهل الكرخ الشيعة قد أيدوه وساروا في جيشه[١٦٠] . (ثانيا) ـ انعدام القيادة الشعبية التي تلتف حولها جماهير العامة . والتي تستطيع الهيمنة على ثورات العامة وتوجيهها ورسم الخطط لها .

---

(١٥٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ : ١٦٨ ، ابن الاثير ١١ : ٨٦ ، البنداري : ٢٢٦ .

(١٥٩) ابن الاثير ٩ : ٦٣ .

(١٦٠) الخطيب البغدادي : تاريخ ٩ : ٣٣٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٩٠ ، ابن الاثير ٩ : ٢٣٩ ، الذهبي : العبر ٣ : ٢٢١ .

المصادر الاولية[1]

أ ـ المخطوطـــات :

البخاري : محمد بن يحى (ت ؟)

١ ـ رسالة في فضيلة العمامة ـ مكتبة الاوقاف ضمن مجموعة من الرسائل تحت رقم ٣٧٩٩

ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ٥٩٧هـ/١٢٠١م

٢ ـ القصاص والمذكرون ـ مكتبة جامعة ليدن ، تحت رقم ٥٠٣ .

ابن الدمياطي : أحمد بن ايبك ٧٤٩هـ/١٣٤٨م

٣ ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ـ ٨ أجزاء ، المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٥٨/م وهو نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية .

السيوطي : جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن ابي بكر ٩١١هـ /١٥٠٥م

٤ ـ الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان ـ مكتبة الاسكوريال تحت رقم ١٥٤٤ .

ابن النجار : محبالدين محمد بن محمـود بن محاسن البغـدادي ٦٤٣هـ/١٢٤٥م

٥ ـ ذيل تاريخ بغداد مدينة السلام ـ مج ١٠ نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي تحت رقم ١٢٧/م .

---

(١) لم يراع في الترتيب الابجدي : ابن أو أبو ، ولم تذكر في هذه القائمة المصادر والمراجع التي استشيرت لتوضيح بعض الجوانب والقـاء الضوء على بعض الاحداث وانما اقتصرت على المصادر والمراجع التي ساهمت فعلا في تاليف هذه الرسالة .

الوراق : أبو محمد المفضل بن نصر بن سيار (ت ؟)

٦ ـ الطبيخ واصلاح الاغذية المأكولات ـ مكتبة بودليان اكسفورد تحت رقم Hunt 187 .

ب ـ المطبوعـــات :

ابن الاثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني والملقب بعزالدين ٦٣٠هـ/١٢٣٣م

٧ ـ تاريخ الكامل ـ ١٢ جزءاً ، دار الطباعة ، القاهرة ١٢٩٠هـ .

اخوان الصفاء :

٨ ـ رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ـ ٤ أجزاء ، مطبعة دار بيروت ودار صادر ، بيروت ١٣٧٦ ـ ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

ابن الاخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي ٧٢٩هـ/١٣٣٨م

٩ ـ معالم القربة في احكام الحسبة ـ عنى بنقله وتصحيحه روبن ليوى ـ مطبعة دار الفنون ـ كمبرج ١٩٣٧م .

الازدي : محمد بن أحمد أبو المطهر : عاش في القرن الرابع الهجري

١٠ـ حكاية ابي القاسم البغدادي ـ مطبعة كرل ونتر ، هيدلبرج ١٩٠٢ .

الاصبهاني : عمادالدين الكاتب محمد بن محمد بن حامد ٥٩٧هـ/١٢٠١م

١١ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ القسم العراقي ، الجزء الاول ، تحقيق محمد بهجة الاثري والدكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

الاصطخري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري الكرخي ٣٤١هـ/١٩٥٧م

١٢- مسالك الممالك - باعتناء أم.جي.ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٢٧م .

الاصفهاني : حمزة بن الحسن ٣٦٠هـ/٩٧٠م

١٣ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء - مطبعة دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١م .

الاصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الاموي الكاتب ٣٥٦هـ/٩٦٧م

١٤- الاغاني - ١٦ جزءاً ، حققته لجنة ، مطبعة دار الكتب . القاهرة ، ١٣٤٥ - ١٣٨١هـ/١٩٢٧ - ١٩٦١م وطبعة التقدم ٢١ جزءا ١٣٢٣هـ .

ابن ابي اصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ٦٦٨هـ/١٢٧٠م

١٥- عيون الانباء في طبقات الاطباء - جزءان ، المطبعة الوهبية القاهرة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م .

١٦- الف ليلة وليلة - ٤ أجزاء ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة .

الباخرزي : أبو الحسن علي بن الحسن ٤٦٧هـ/١٠٧٥م

١٧- دمية القصر وعصرة أهل العصر - طبعه وصححه محمد راغب الطباخ ، المطبعة العلمية ، حلب ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م .

البخاري : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبه ٢٥٦هـ/٨٦٩م

١٨- صحيح البخاري - ٨ أجزاء ، مطبعة دار الطباعة .

ابن بطلان : أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادي ٤٥٥هـ/١٠٦٣م

١٩- دعوة الاطباء - خلو من مكان وزمان الطبع .

٢٠- شري الرقيق وتقليب العبيد - رسالة حققها عبدالسلام هارون ونشرها ضمن مجموعة رسائل باسم (نوادر المخطوطات) ، المجموعة الرابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

البغدادي : محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادي ، الف كتابه سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م

٢١- الطبيخ - تحقيق الدكتور داود الجلبي ، مطبعة - أم الربيعين الموصل ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

البغدادي : صفي الدين عبدالمؤمن ٦٩٣هـ/١٢٩٤م

٢٢- الادوار في معرفة النغم والادوار - اخرجه الدكتور حسين علي محفوظ ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الارشاد بغداد ١٩٦١م .

البكري : أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الوزير الاندلسي ٤٨٧هـ/١٠٩٤م

٢٣- معجم ما استعجم - ٤ أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٤ - ١٣٧١هـ/١٩٤٥ - ١٩٥١م .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر ٢٧٩هـ/٨٩٢م

٢٤- فتوح البلدان - عني بنشره رضوان محمد رضوان ، المطبعة المصرية الازهر ، ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م .

البنداري : الفتح بن علي البنداري الاصفهاني ٦٤٣هـ/١٢٤٥م

٢٥- زبدة النصرة ونخبة العصرة - المنشور باسم تاريخ آل سلجوق ،

مطبعة الموسوعات ، القاهرة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

بنيامين بن يونه التطيلي النباري الاندلسي ٥٦٩هـ/١١٧٣م

٢٦ـ رحلة بنيامين ـ ترجمها عن الاصل العبري وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد ، المطبعة الشرقية ، بغداد ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد ٤٤٠هـ/١٠٤٨م

٢٧ـ الجماهر في معرفة الجواهر ـ مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ١٣٥٥هـ .

٢٨ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ـ باعتناء الدكتور س.ادوارد سخاو ، لايبزك ١٩٢٣م .

ابن البيطار : ضياءالدين أبو محمد عبدالله بن الحسن الاندلسي ٦٤٦هـ/١٢٤٨م

٢٩ـ الدرة البهية في منافع الابدان الانسانية ـ ط ٣ تحقيق محمد عبدالله الغزالي الاسكندري ، مطبعة كرم ، دمشق .

٣٠ـ الجامع لمفردات الادوية والاغذية ـ ٤ أجزاء ، مطبعة محمد باشا توفيق ، القاهرة ١٢٩١هـ .

البيهقي : ابراهيم بن محمد ٣٢٠هـ/٩٣٢م

٣١ـ المحاسن والمساوىء ـ دار صادر ودار بيروت : بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

التنوخي : أبو علي المحسن بن علي القاضي ٣٨٤هـ/٩٩٤م

٣٢ـ المستجاد من فعلات الاجواد ـ عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٤٦م .

٣٣ـ الفرج بعد الشدة ـ جزءان في مجلد واحد ، دار الطباعة المحمدية

بالقاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

٣٤ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، أو جامع التواريخ ـ ج ١ نشره مرجليوث ، القاهرة ١٩٢١ ، ج ٢ نشره المجمع العلمي العـربي بدمشق في مجلته مج ١٢ ، ١٣ ، ١٧ مطبعة الترقي دمشق . ج ٨ نشره المجمع العلمي العربي بدمشق ، مطبعة المفيد ، دمشق ١٣٤٨هـ /١٩٣٠م .

التوحيدي : أبو حيان ٣٨٠هـ/٩٩٠م

٣٥ـ الامتاع والمؤانسة ـ ٣ أجزاء ، ط ٢ ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م .

الثعالبي : أبو منصور عبدالملك بن محمـد الثعالبي النيسـابوري ٤٣٠هـ/١٠٣٨م

٣٦ـ أربع رسائل ـ مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠١هـ .

٣٧ـ التمثيل والمحاضرة ـ تحقيق عبدالفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٣٨ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ صححه محمد حسين ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .

٣٩ـ خاص الخاص ـ عني بتصحيحه الشيخ محمود السمكري ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م .

٤٠ـ فقه اللغـة وسر العربية ـ تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

٤١ـ لطائف المعارف ـ تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي

دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

٤٢- من غاب عنه المطرب - تصحيح محمد سليم اللبابيدي ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٣٠٩هـ .

٤٣- يتيمة الدهر - ٤ أجزاء ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥هـ/٨٦٩م

٤٤- البخلاء - مطبعة الجمهور - القاهرة ١٢٢٣هـ .

٤٥- البيان والتبيين - ٤ أجزاء ، ط ٢ تحقيق عبدالسلام هارون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٠ - ١٣٨١هـ/١٩٦٠ - ١٩٦١م .

٤٦- التبصر بالتجارة - عني بنشره والتعليق عليه حسن حسني عبدالوهاب ط ٢ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م .

٤٧- الحيوان - ٧ أجزاء - تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

٤٨- ثلاث رسائل - باعتناء يوشع فنكل ، المطبعة السلفية ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٨٢هـ .

٤٩- رسائل - جمعها ونشرها حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

٥٠- رسائل الجاحظ - (١١ رسالة) ، مطبعة التقدم ، القاهرة ١٢٣٤م .

٥١- المحاسن والاضداد - عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي بقراءته على الاستاذ الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٢٣٤هـ .

٥٢- مفاخرة الجواري والغلمان - تحقيق وتعليق شارل بلا ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٧م .

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي ٦١٤هـ/١٢١٧م

٥٣- رحلة ابن جبير - باعتناء ام.جي.ديغويه ، ط ٢ ، ليدن ١٩٠٧م .

الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد ٥٤٠هـ/١١٤٥م

٥٤- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١هـ .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ٥٩٧هـ/١٢٠١م

٥٥- أخبار الحمقى والمغفلين - باعتناء عبدالقادر المغربي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ١٣٤٥هـ .

٥٦- أخبار الظراف والمتماجنين - باعتناء القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ١٣٤٧هـ .

٥٧- الاذكياء - تحقيق محمد الصديق الغماري ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة .

٥٨- تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء - ط ٢ ، صححه وعلق حواشيه محمد منير الدمشقي ، ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة .

٥٩- تنبيه الغمر على مواسم العمر - ضمن كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠٢هـ .

٦٠- ذم الهوى - تحقيق مصطفى عبدالواحد ، ومراجعة محمد الغزالي ، مطبعة السعادة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

٦١- روح الارواح - المطبعة العلمية ، القاهرة ١٣٠٩هـ .

٦٢ـ صفة الصفوة ـ ٤ أجزاء ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، ١٣٥٥هـ •

٦٣ـ صيد الخاطر ـ مطبعة مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م •

٦٤ـ لفتة الكبد الى نصيحة الولد ـ ضمن مجموعة من الرسائل بعنوان (من دفائن الكنوز) ، وقف على طبعه وعني بنشره محمد حامد الفقي ، مطبعة المنار ، القاهرة ١٣٤٨هـ •

٦٥ـ المدهش ـ مطبعة الآداب ، بغداد ١٣٤٨هـ •

٦٦ـ ملتقط الحكايات ـ جاء بحاشية كتاب (رونق المجالس للنيسابوري) المطبعة الميرية ، مكة ١٣٤٩هـ •

٦٧ـ المنتظم في تأريخ الملوك والامم ـ ١٠ أجزاء ، المطبوع منه ابتداءا من القسم الثاني من الجزء الخامس الى نهاية العاشر ، باعتناء الدكتور سالم الكرنكوري ولجنة خاصة في دائرة المعارف العثمانية ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ١٣٥٧هـ ـ ١٣٥٩هـ •

٦٨ـ الياقوتة في الوعظ ـ جاء ملحقا لكتاب (رونق المجالس للنيسابوري) ، المطبعة الميرية ، مكة ١٣٤٩هـ •

الجوهري : اسماعيل بن حماد ٣٩٣هـ/١٠٠٣م

٦٩ـ تاج اللغة وصحاح العربية ـ ٦ أجزاء تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٧٧هـ •

الحبشي : أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن عمر الوصابي ٧٨٢هـ/١٣٨٠م

٧٠ـ البركة في فضل السعي والحركة ـ مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة ١٣٠٨هـ •

الحريري : أبو محمد القاسم بن علي ٥١٦هـ/١١٢٢م

٧١ـ درة الغواص في أوهام الخواص ـ مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ١٢٩٩هـ .

٧٢ـ مقامات الحريري ـ ط ٣ ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٩٠٣م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ٤٥٦هـ/١٠٦٣م

٧٣ـ جمهرة انساب العرب ـ تحقيق وتعليق عبدالسلام هارون ، مطبعة دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٢م .

الحسيني : صدرالدين أبو الحسن ناصر بن علي ٦٢٢هـ/١٢٢٥م

٧٤ـ أخبار الدولة السلجوقية ـ عني بتصحيحه محمد اقبال ، لاهور ، ١٩٣٣م .

الحصري القيرواني : أبو اسحاق ابراهيم بن علي ٤٥٣هـ/١٠٦١م

٧٥ـ زهر الآداب ـ ٤ أجزاء ، تحقيق الدكتور زكي مبارك ومحمد محي الدين عبدالحميد ، ط ٣ مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٢ ـ ١٣٧٤هـ /١٩٥٣ ـ ١٩٥٤م .

٧٦ـ ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر ـ صححه محمد أمين الخانجي . كما ان محمود محمد شاكر قرأه وكتب له مستدركا جعله في آخر الكتاب ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة .

الحموي : شهاب‌الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ٦٢٦هـ/١٢٢٩م

٧٧ـ معجم البلدان ـ ٥ أجزاء ، باعتناء فردناند وستنفلد ، لايبزك ١٩٢٤م .

٧٨ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء أو طبقات الادباء ـ ٧ أجزاء ، عني بنشره د.س.مرجليوث ، ط٢ مطبعة

هندية ، القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠م .

الحميري : أبو سعيد بن نشوان الحميري ٥٧٣هـ/١١٧٧م

٧٩ـ الحور العين ـ تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة السعادة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م

٨٠ـ صورة الارض ـ مطبعة فؤاد بيان وشركاؤه ، بيروت .

الخالديان : أبو بكر محمد ٣٨٠هـ/٩٩٠م وأبو عثمان سعيد ٣٩٠هـ /٩٩٩م

٨١ـ التحف والهدايا ـ عني بتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦م .

ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله ٢٨٠هـ/٨٩٣م

٨٢ـ المسالك والممالك ـ باعتناء أم.جي.ديغويه ، بريل ، ليدن ١٣٠٩هـ .

٨٣ـ مختار من كتاب اللهو والملاهي ـ نشره الاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦١م .

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي ٤٦٣هـ/١٠٧٠م

٨٤ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ـ ١٤ جزءا تصحيح محمد حامد الفقي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م .

٨٥ـ التطفيل ـ عني بنشره القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ١٣٤٦هـ .

٨٦ـ الكفاية في علم الرواية ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ١٣٥٧هـ .

الخفاجي : شهاب‌الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م

٨٧ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ـ مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٥هـ •

٨٨ـ طراز المجالس ـ المطبعة الوهبية •

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد ٨٠٨هـ/١٤٠٥ ـ ١٤٠٦م

٨٩ـ مقدمة ابن خلدون ـ مطبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦١ •

ابن خلكان : أبو العباس شمس‌الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ٦٨١هـ/١٢٨٢م

٩٠ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ـ ٦ أجزاء ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محي‌الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م •

الخوارزمي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف ٣٨٧هـ/٩٩٧م

٩١ـ مفاتيح العلوم ـ مطبعة الشرق ١٤٣٢هـ •

أبو داود : سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني ٢٧٥هـ/٨٨٨م

٩٢ـ سنن ابي داود ـ جزءان ، علق عليه الشيخ أحمد سعد علي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧١هـ/١٩٥٢م •

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي البصري ٣٢١هـ/٩٣٣م

٩٣ـ الاشتقاق ـ تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م •

أبو دلف : مسعر بن المهلهل الخزرجي المتوفى حوالي ٣٩٠هـ/٩٩٩م

٩٤ـ الرسالة الثانية ـ عني بنشرها وترجمتها وتعليق حواشيها بطرس بولفاكوف وأنس خالدوف ـ دار النشر للآداب الشرقية ، موسكو ١٩٦٠م .

الدمشقي : أبو الفضل جعفر بن علي (عاش في القرن السادس الهجري)

٩٥ـ الاشارة الى محاسن التجارة ـ مطبعة المؤيد ، دمشق ١٣١٨هـ .

الدميري : كمال الدين محمد بن موسى ٨٠٨هـ/١٤٠٥م

٩٦ـ حياة الحيوان الكبرى ـ جزءان ، ط ٣ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ٢٨٢هـ/٨٩٥م

٩٧ـ النبات ـ المنشور منه قطعة من الجزء الخامس تبدأ بحرف الالف وتنتهي بحرف الزاي ـ عني بنشره ب.لوين ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٥٣م .

الذهبي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ٧٤٨هـ/١٢٤٧م

٩٨ـ العبر في خبر من غبر ـ المنشور منه لحد الآن أربعة أجزاء الاول والرابع من تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، والثاني والثالث من تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣ .

٩٩ـ دول الاسلام : جزءان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ، ط٢ ، ١٣٦٤ ـ ١٣٦٥هـ .

١٠٠ـ المختصر المحتاج اليه ـ جزءان ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٧١هـ/١٩٥١م . الا ان المستعمل منه في هذه الرسالة الجزء الاول فقط . لتأخر ظهور الجزء الثاني .

الرازي : محمد ابن ابي بكر بن عبدالقادر ، كان حيا في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م

١٠١- مختار الصحاح - عني بترتيبه محمود خاطربك ، المطبعة الاميرية القاهرة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م .

ابن رجب : زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ٧٩٥هـ/١٣٩٢م

١٠٢- الذيل على طبقات الحنابلة - جزءان ، وقف على طبعه وتصحيحه محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ/١٩٥٢ - ١٩٥٣م .

ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر ، كان حيا في سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م

١٠٣- الاعلاق النفيسة باعتناء أم.جي.ديغويه ، بريل ليدن ١٨٩٢ .

ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ٥٩٥هـ/ ١١٠٩م

١٠٤- بداية المجتهد ونهاية المقتصد - جزءان ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

الزبيدي : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ١٢٠٥هـ/١٧٩١م

١٠٥- تاج العروس من جواهر القاموس - ١٠ أجزاء ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦هـ .

ابن الزبير : القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن الرشيد بن القاضي الزبير ، عاش في القرن الخامس الهجري

١٠٦- الذخائر والتحف - حققه الدكتور محمد حميد الله ، الكويت ١٩٥٩م .

ابن الساعي : تاج الدين أبو طالب علي بن انجب البغدادي ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥ ـ ١٢٧٦م

١٠٧ـ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ـ المنشور منه الجزء التاسع ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، المطبعة الكاثوليكية ، بغداد ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

١٠٨ـ مختصر اخبار الخلفاء ـ وهذا الكتاب مشكوك بصحة نسبته الى ابن الساعي ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٢٠٩هـ .

١٠٩ـ نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر .

سبط ابن التعاويذي : أبو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله ٥٨٣هـ /١١٨٧م

١١٠ـ ديوان سبط ابن التعاويذي ـ باعتناء د.س.مرجليوث ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٩٠٣م .

سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي ٦٥٤هـ/١٢٥٦م

١١١ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ـ المنشور منه قسمان من الجزء الثامن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ١٣٧٠ ـ ١٣٧١هـ/١٩٥١ ـ ١٩٥٢م .

السبكي : تاج الدين عبدالوهاب ٧٧١هـ/١٣٦٩م

١١٢ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ ٦ أجزاء ، المطبعة الحسينية ، القاهرة .

١١٣ـ معيد النعم ومبيد النقم ـ تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

السقطي : أبو عبدالله محمد بن ابي محمد توفي في نهاية القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الهجريين

١١٤ـ في آداب الحسبة ـ باعتناء كولن وليفي بروفنسال ، باريس

١٩٣١م .

السلمي : أبو عبدالرحمن بن الحسين السلمي الازدي النيسابوري عاش في القرن الرابع الهجري

١١٥ـ آداب الصحبة وحسن العشرة ـ تحقيق م.ي.قسطر اورشليم ١٩٥٤م .

السمعاني : أبو سعيد عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي ٥٦٢هـ/١١٦٦م

١١٦ـ الانساب ـ باشراف د.س.مرجليوث ، مطبعة بريل ليدن ١٩١٢م .

ابن سيدة : أبو الحسن علي بن اسماعيل ٤٥٨هـ/١٠٦٥م

١١٧ـ المحكم والمحيط الاعظم ـ جزءان تحقيق مصطفى السقا والدكتور حسين نصار ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

١١٨ـ المخصص ـ ١٧ جزءاً ، المطبعة الاميرية ببولاق القاهرة ١٣١٦ ـ ١٣٢١هـ .

السيوطي : جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر ٩١١هـ/ ١٥٠٥م

١١٩ـ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ـ مطبعة المعاهد ، القاهرة ١٣٥١هـ .

١٢٠ـ تفسير القرآن العظيم ـ بالاشتراك مع جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ٨٦٤هـ/١٤٥٩م مطبعة عيسى البابي وشركاه ١٣٤٥هـ .

الشابشتي : أبو الحسن علي بن محمد ٣٨٨هـ/٩٩٨م

١٢١ـ الديارات ـ تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥١م .

الشريشي : أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن ٦٢٠هـ/١٢٢٢م

١٢٢ـ شرح مقامات الحريري البصري ـ ٤ أجزاء ، باشراف وتصحيح محمد عبدالمنعم خفاجي ، المطبعة المنيرية بالازهر ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣م •

الشريف الرضي : محمد بن أبي أحمد الحسيني الموسوي ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م

١٢٣ـ ديوان الشريف الرضي ـ جزءان ، صححه وشرح الفاظه أحمد عباس الازهري ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٣٠٧ ـ ١٣٠٩هـ •

الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي ٤٣٦هـ/١٠٤٤م

١٢٤ـ ديوان الشريف المرتضى ـ ثلاثة أقسام ، حققه ورتب قوافيه وفسر ألفاظه رشيد الصفار المحامي ، وراجعه وترجم اعيانه الدكتورمصطفى جواد ، وقدم له محمد رضا الشبيبي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨م •

الشيباني : محمد بن الحسن ١٨٩هـ/٨٠٤م

١٢٥ـ المخارج في الحيل ـ باعتناء شخت ، لايبزك ١٩٣٠م •

الشيزري : عبدالرحمن بن نصر ٥٨٩هـ/١١٩٣م

١٢٦ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ـ تحقيق السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م •

الصابي : أبو اسحاق ابراهيم بن هلال ٣٨٤هـ/٩٩٤م

١٢٧ـ المختار من رسائل الصابي ـ نقحه وعلق حواشيه شكيب ارسلان ، نشر الجزء الاول منه ، المطبعة العثمانية في بعبدا ١٨٣٨م •

الصابي : أبو الحسن (أو الحسين) الهلال بن المحسن ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م

١٢٨ـ رسوم دار الخلافة ـ تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني بغداد ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .

١٢٩ـ الوزراء ـ تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨م .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك ٧٦٤/١٢٦٣م

١٣٠ـ نكت الهميان في نكت العميان ـ وقف على طبعه أحمد زكي بك ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠هـ/٩٢٣م

١٣١ـ تاريخ الامم والملوك ـ ١٥ مجلدا تحقيق أم.جي.ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٧٩ ـ ١٩٠١م .

الطرطوشي : أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري المالكي ٥٢٠هـ/١١٢٦م

١٣٢ـ سراج الملوك ـ المطبعة المحمدية ، القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م .

الطريحي : فخرالدين طريح بن محمد الرماحي السهلي النجفي ١٠٨٥هـ/١٦٧٦م

١٣٣ـ مجمع البحرين ومطلع النيرين ـ طبعة حجرية غفلا من ذكر مكان وزمان الطبع .

ابن الطقطقى : محمد بن علي بن طباطبا ٧٠٩هـ/١٣٠٩م

١٣٤ـ الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية ـ عني بنشره ابراهيم زيدان ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٤٠هـ .

الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن ٤٦٠هـ/١٠٦٧م

١٣٥ـالفهرست ـ ط ٢ صححه وعلق عليه محمد صادق آل بحر العلوم ،

المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

ابن طيفور : أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب ٢٨٠هـ/٨٩٣م

١٣٦ـ بغداد ـ صححه محمد زاهد الكوثري ، عني بنشره ومراجعة أصله عزت العطار الحسيني ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

ابن عبدالحق : صفي‌الدين ٧٣٩هـ/١٣٠٨م

١٣٧ـ مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ـ ٥ أجزاء باعتناء ت.ج.جي.جاينبول ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٥٢م .

ابن عبدون وآخرون : ابن عبدون وأحمد بن عبدالله بن عبدالرؤوف وعمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي

١٣٨ـ ثلاث رسائل اندلسية في الحسبة والمحتسب ـ باعتناء ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م .

ابن العبري : غريغوريوس الملطي ٦٨٥هـ/١٢٨٦م

١٣٩ـ تاريخ مختصر الدول ـ ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٨٥م .

ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبةالله ابن عساكر الدمشقي ٥٧١هـ/١١٧٦م

١٤٠ـ تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري عني بنشره القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ١٣٤٧هـ .

١٤١ـ تاريخ دمشق ـ نشر منه مجلدان ، الثاني بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٥٤ والعاشر بتحقيق محمد أحمد دهمان .

ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبدالحي ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م

١٤٢ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ٨ أجزاء ، نشره القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٣٥١هـ .

العمري : شهاب‌الدين ابن فضل‌الله العمري ٧٤٨هـ/١٣٤٧م

١٤٣ـ مسالك الابصار في ممالك الامصار ـ تحقيق أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .

عنصر المعالي : الامير عنصر المعالي كيكاوس بن اسكندر ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م

١٤٤ـ قابوسنامة أو كتاب النصيحة ـ تعريب محمد صادق نشأت والدكتور عبدالمجيد بدوي ، مكتبة الانجلو المصرية ١٢٧٨هـ/١٩٥٨م .

الغافقي : أحمد بن محمد بن خليل ٥٦٠هـ/١١٦٤م

١٤٥ـ منتخب كتاب جامع المفردات ـ نشره مع ترجمته الانجليزية الدكتور ماكس مايرهوف ، الدكتور جورجي صبحي بك ، المطبعة الاميرية ببولاق ، القاهرة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠م .

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد ٥٠٥هـ/١١١١م

١٤٦ـ احياء علوم الدين ـ ٤ أجـزاء ، مطبعـة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

١٤٧ـ أيها الولد ـ ط ٢ ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، بيروت ١٩٥٩م .

١٤٨ـ التبر المسبوك في نصيحة الملوك ـ لقد وضعه بالفارسية الا ان بعضهم ـ ولم يذكر اسمه ـ عربه عن الفارسية .

١٤٩ـ تهافت الفلاسفة ـ تحقيق الأب موريس بويج اليسوعي ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٢م .

١٥٠- الرد على فضائح الباطنية - باعتناء اجناس كولد زيهر ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٥٤م .

١٥١- ميزان العمل - ط ٢ ، المطبعة العربية ١٣٤٢هـ .

الغزالي : محمد ، رجل مغمور من رجال العهد العثماني في مصر

١٥٢- هداية المريد في تقليب العبيد - ضمن نوادر المخطوطات في المجموعة الرابعة - تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

الغزولي : علاءالدين علي بن عبدالله البهائي ٨١٥هـ/١٤١٢م

١٥٣- مطالع البدور في منازل السرور - جزءان ، مطبعة الوطن القاهرة ١٢٩٩ - ١٣٠٠هـ .

أبو الفداء : اسماعيل بن علي بن محمد ٧٣٢هـ/١٣٣١م

١٥٤- المختصر في أخبار البشر - مجلدان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه الهمذاني ٢٨٩هـ/٩٠٢م

١٥٥- مختصر كتاب البلدان - باعتناء أم.جي.ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م .

ابن الفوطي : أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد ٧٢٣هـ/١٣٢٣م

١٥٦- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة - تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٥١هـ .

الفيروزاباذي : مجدالدين محمد بن يعقوب ٨١٧هـ/١٤١٤م

١٥٧- القاموس المحيط - ٤ أجزاء ، مطبعة شركة فن الطباعة ، القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م .

القاريء : أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م

١٥٨ـ مصارع العشاق ـ جزءان ، دار بيروت ودار صادر ، بيروت ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

القاضي الجرجاني : أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي ٤٨٢هـ/١٠٨٩م

١٥٩ـ المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء ـ مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م

١٦٠ـ الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ـ باعتناء أم.جي.ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٢م .

١٦١ـ عيون الاخبار ـ ٤ أجزاء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٣ ـ ١٣٤٩هـ/١٩٢٥ ـ ١٩٣٠م .

قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ٣٣٧هـ /٩٤٨م

١٦٢ـ نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ـ باعتناء أم.جي.ديغويه ، نشر مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٩هـ .

١٦٣ـ نقد الشعر : باعتناء س.أ.بونيباكر ، مطبعة بريل ليدن .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ٦٨٢هـ/١٢٨٣م

١٦٤ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ـ ط ٣ مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

القشيري : أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن النيسابوري الشافعي ٤٦٥هـ/١٠٧٣م

١٦٥ـ الرسالة القشيرية ـ مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .

القفطي : جمال‌الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م

١٦٦ـ تاريخ الحكماء ـ باعتناء جوليس ليبيرت ، ليبزك ١٩٠٣م .

ابن القلانسي : أبو يعلي حمزة بن أسد القلانسي ٥٥٥هـ/١١٦٠م

١٦٧ـ ذيل تاريخ دمشق ـ باعتناء هـ.ف.آمدروز ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م .

القلقشندي : أبو العباس أحمد ٨٢١هـ/١٤١٨م

١٦٨ـ صبح الاعشا في صناعة الانشا ـ ١٤ جزءا ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩١٧م .

ابن قيم الجوزية : شمس‌الدين أبو عبدالله بن بكر الدمشقي ٧٥١هـ /١٣٥٠م

١٦٩ـ أخبار النساء ـ (يعتقد ان هذا الكتاب لابن الجوزي وانه ينسب خطأ الى ابن الجوزية) مطبعة التقدم العلمية ١٣١٩هـ .

الكازروني : ظهيرالدين أبو الحسن علي بن محمد ٦٩٧هـ/١٢٩٧م

١٧٠ـ مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ـ تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٢م .

ابن كثير : عمادالدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ/١٣٧٢م

١٧١ـ البداية والنهاية في التاريخ ـ ١٤ جزءاً ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .

كشاجم : محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك ٣٦٠هـ/٩٧٠م

١٧٢- أدب النديم - بولاق ١٢٩٨هـ .

الكرماني : محمد كريم خان ١٢٨٨هـ/١٨٧١م

١٧٣- دقائق العلاج في الطب البدني - مطبعة السيد محمد رشيد السيد داود السعدي ، بمبي ١٣١٥هـ .

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م

١٧٤- أدب الدنيا والدين - ط ١٦ ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٣٤٣هـ /١٩٢٥م .

١٧٥- الاحكام السلطانية والولايات الدينية - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

ابن ماجة : أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥هـ/٨٨٨م

١٧٦- سنن ابن ماجة - جزءان ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧٢ - ١٣٧٣هـ/١٩٥٢ - ١٩٥٣م .

مالك بن انس : الامام

١٧٧- الموطأ - جزءان صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي واولاده ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

المجوسي : علي بن العباس البرجيسي ، كان حيا قبل ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م

١٧٨- كامل الصناعة الطبية - جزءان ، المطبعة الكبرى ١٢٩٤هـ .

مجهول :

١٧٩ـ مناقب بغداد ـ تحقيق محمد بهجة الاثري البغدادي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٤٢هـ .

المسعودي : أبو الحسن علي بن أبي الحسين بن علي ٣٤٦هـ/٩٥٧م

١٨٠ـ التنبيه والاشراف ـ تحقيق عبدالله اسماعيل الصاوي ، القاهرة ، مطبعة دار الصاوي ١٩٣٧م .

١٨١ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ـ ٩ أجزاء باعتناء س. باربيه ديمينار ، باريس ١٨٧٧م .

مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه الخازن ٤٢١هـ/١٠٣٠م

١٨٢ـ تجارب الامم ـ المنشور منه الجزء الخامس والسادس باعتناء هـ.ف. آمدروز ، مطبعة شركة التمدن ، القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .

١٨٣ـ تهذيب الاخلاق ـ ط ٣ ، مطبعة مدرسة والدة عباس الاول ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .

ابن المعتز : عبدالله بن المعتز بن المتوكل ٢٩٦هـ/٩٠٨م

١٨٤ـ طبقات الشعراء ـ تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار المعارف بمصر .

المعري : أبو العلاء أحمد بن عبدالله التنوخي ٤٤٩هـ/١٠٥٧م

١٨٥ـ لزوم ما لا يلزم ـ مجلدان ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

ابن المعمار : أبو عبدالله محمد بن ابي المكارم المعروف بابن المعمار البغدادي الحنبلي ٦٤٢هـ/١٢٤٤م

١٨٦ـ الفتوة ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور محمد تقي الدين

الهلالي والدكتور عبدالحليم النجار وأحمد ناجي القيسي ، مطبعة شفيق ١٩٥٨ - ١٩٦٠م ٠

المقدسي : شمس‌الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ٣٧٥هـ/٩٨٥م

١٨٧- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - باعتناء أم٠جي٠ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦م ٠

المقدسي : مطهر بن طاهر - كان حيا في بداية القرن الرابع

١٨٨- البدء والتاريخ - ٦ أجزاء باعتناء كليمان هوار ، مطبعة برطرندة ، شالون ١٨٩٩ - ١٩١٩م ٠

المقريزي : تقي‌الدين أحمد بن علي ٨٤٥هـ/١٤٤١م

١٨٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - جزءان ، بولاق ٠

المكي : أبو طالب محمد بن علي ٣٨٦هـ/٩٩٦م

١٩٠- قوت القلوب - ٤ أجزاء ، المطبعة المصرية ، القاهرة ١٣٥١هـ/ ١٣٩٢م ٠

ابن منظور : جمال‌الدين محمد بن مكرم ٧١١هـ/١٣١١م

١٩١- لسان العرب - ١٥ مجلدا ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٣٧٤هـ/١٣٧٦هـ ٠

ابن مهمندار : يزدجرد بن مهمندار الفارسي - كان حيا في النصف الثاني من المائة الثالثة للهجرة

١٩٢- فضائل بغداد العراق - تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٢ ٠

ابن النديم : محمد بن اسحاق حوالي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م

١٩٣- الفهرست - مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

نظام الملك : الوزير أبو علي الحسن بن علي الطوسي ٤٨٥هـ/١٠٩٢م

١٩٤- سياستنامة - ترجم بعضه ونشره تباعا الدكتور عبدالوهاب عزام في في مجلة الرسالة .

النويري : شهاب‌الدين أحمد بن عبدالوهاب ٧٣٢هـ/١٣٣٢م

١٩٥- نهاية الارب في فنون الادب - ١٨ جزءاً ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٩ - ١٣٦٩هـ/١٩٢٩ - ١٩٤٩ .

ابن الهبارية : نظام‌الدين أبو يعلى محمد بن محمد العباسي الهاشمي ٥٠٤ أو ٥٠٩هـ/١١١٠ أو ١١١٥م

١٩٦- الصادح والباغم - نشره وشرح ألفاظه وترجم له عزت العطـار ، القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

الهمداني : محمد بن عبدالملك ٥٢١هـ/١١٢٧م

١٩٧- تكملة تاريخ الطبري - حققه ووضع فهارسه البرت يوسف كنعمان، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦١م .

الهمذاني : أبو الفضل بديع الزمان ٣٩٨هـ/١٠٠٧م

١٩٨- مقامات الهمذاني . قدم لها وشرح غوامضها الشيخ محمد عبده ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٨م .

١٩٩- رسائل بديع الزمان - نشرت باسم (كشف المعاني والبيـان عن رسائل بديع الزمان) باعتناء ابراهيم الاحدب الطرابلس المطبعـة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٠م .

ورام : أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الاشتري ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م

٢٠٠ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام ـ جزءان عني بنشره الشيخ محمد الاخوندي ، جايخانة حيدري ، تهران .

الوشاء : أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ٣٢٥هـ/٩٣٦م

٢٠١ـ الموشى أو الظرف والظرفاء ـ ط ٢ ، تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .

اليعقوبي : أحمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب ٢٨٤هـ/٨٩٧م

٢٠٢ـ البلدان ـ ط ٣ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

٢٠٣ـ مشاكلة الناس لزمانهم ـ تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٢ .

أبو يعلى : محمد بن الحسين الفراء الحنبلي ٤٥٨هـ/١٠٦٥م

٢٠٤ـ الاحكام السلطانية ـ صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

المراجع الحديثة

أ ـ الكتب :

أحمد أمين :

٢٠٥ـ الصعلكة والفتوة في الاسلام ـ مطبعة دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢م .

٢٠٦ـ ضحى الاسلام ـ ٣ أجزاء ، ط ٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٢٠٧ـ ظهر الاسلام ـ ٤ أجزاء ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧م .

أحمد تيمور باشا :

٢٠٨ـ الموسوعة التيمورية ـ مطبعة دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦١م .

أحمد ممدوح حمدي :

٢٠٩ـ معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامي ـ مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٩م .

آدم متز :

٢١٠ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ جزءان ط ٣ ، ترجمة الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

آدي شير :

٢١١- الألفاظ الفارسية المعربة - المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م .

بابو اسحاق : رفائيل :

٢١٢- أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية - مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٦٠م .

برنارد لويس :

٢١٣- أصول الاسماعيلية - ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

بروكلمان : كارل

٢١٤- تاريخ الشعوب الاسلامية - ٥ أجزاء ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٣ - ١٩٥٥م .

جرونيباوم : جوستاف فون

٢١٥- حضارة الاسلام - ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ومراجعة عبدالحميد العبادي - دار مصر للطباعة .

جماعة من المستشرقين :

٢١٦- تراث الاسلام - جزءان الفه جماعة من المستشرقين باشراف السير توماس ارنولد ، عربه وعلق حواشيه جرجيس فتح‌الله ، المطبعة العصرية ، الموصل ١٩٥٤م .

الجواري : أحمد عبدالستار

٢١٧- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث - دار الكشاف ، بيروت ١٣٧٥هـ/١٨٥٦م .

حبيب زيات :

٢١٨ـ الخزانة الشرقية ـ ٤ أجزاء ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٦ ـ١٩٤٨م •

حسن ابراهيم حسن :

٢١٩ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ ٣ أجزاء ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م •

حسين نصار :

٢٢٠ـ نشأة التدوين التأريخي عند العرب ـ مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة •

٢٢١ـ دائرة المعارف الاسلامية المترجمة الى العربية •

الدوري : عبدالعزيز

٢٢٢ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ـ مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م •

ديماند : م٠س

٢٢٣ـ الفنون الاسلامية ـ ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد فكري ، مطبعة دار المعارف بمصر •

الديوهجي : سعيد

٢٢٤ـ الفتوة في الاسلام ـ المطبعة الكلدانية بالموصل ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م •

روزنثال : فرانز

٢٢٥ـ علم التأريخ عند المسلمين ـ ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ، ومراجعة محمد توفيق حسين ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٦٤م •

الزاوي : طاهر أحمد الطرابلسي

٢٢٦- ترتيب القاموس المحيط - ٤ أجزاء ، مطبعة الرسالة ١٩٥٩م .

زكي محمد حسن :

٢٢٧- دليل متحف الفن الاسلامي - مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢م .

الزهيري : محمود غناوي

٢٢٨- الادب في ظل بني بويه - مطبعة الامانة ، القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م .

زيدان : جرجي

٢٢٩- تاريخ التمدن الاسلامي - ٥ أجزاء ، باشراف الدكتور حسين مؤنس - دار الهلال .

سوسة : أحمد

٢٣٠- أطلس بغداد - مطبعة مديرية المساحة العامة ، بغداد ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

الشبيبي : محمد رضا

٢٣١- مؤرخ العراق ابن الفوطي - جزءان ، طبع الجزء الاول في مطبعة التفيض ، بغداد ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م وطبع الجزء الثاني في مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

الصعيدي : عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى

٢٣٢- الانصاح في فقه اللغة - مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

الطاهر : علي جواد

٢٣٣- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي -

جزءان الجزء الاول طبع في مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٨م ، والجزء الثاني طبع في مطبعة العاني بغداد ١٩٦١م .

طليمات : عبدالنافع

٢٣٤ـ أهل الكدية ابطال المقامات في الادب العربي ـ مطابع الفجر الحديث ١٩٥٧م .

عاشور : سعيد عبدالفتاح

٢٣٥ـ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ـ مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٢م .

عبدالباقي : محمد فؤاد

٢٣٦ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ مطابع الشعب ، القاهرة ١٣٧٨هـ .

عبدالمنعم حسنين :

٢٣٧ـ سلاجقة ايران والعراق ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩م .

فارمر : هـ.ج

٢٣٨ـ تاريخ الموسيقى العربية ـ ترجمة الدكتور حسين نصار ومراجعة الدكتور عبدالعزيز الاهواني ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م .

فيليب حتي : وادورد جرجي وجبرائيل جبور

٢٣٩ـ تاريخ العرب مطول ـ ٣ أجزاء ، ط٢ ، بيروت ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨م .

الكتاني : محمد بن جعفر الكتاني الحسني ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م

٢٤٠ـ الدعامة لمعرفة احكام سنة العمامة ـ مطبعة الفيحاء دمشق ١٣٤٢هـ .

كونل : ارنست

٢٤١- الفن الاسلامي - ترجمة الدكتور احمد موسى ، ومراجعة ابراهيم الدسوقي ، مطبعة اطلس ، القاهرة ١٩٦١م .

اللبابيدي : أحمد بن مصطفى اللبابيدي الدمشقي ت ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م

٢٤٢- لطائف اللغة - غفلا من مكان وزمان الطبع .

لسترنج : جي لسترنج

٢٤٣- بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

محفوظ : حسين علي

٢٤٤- معجم الموسيقى العربية - مطبعة دار الجمهورية بغداد ١٩٦٤م .

مصطفى جواد :

٢٤٥- سيدات البلاط العباسي - مطبعة دار الكشاف بيروت ١٩٥٠م .

٢٤٦- دليل خارطة بغداد قديما وحديثا - بالاشتراك مع احمد سوسة - مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

المنجد : صلاح الدين

٢٤٧- بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي - دار الحياة بيروت ١٩٥٧م.

هل : ي

٢٤٨- الحضارة العربية - ترجمة الدكتور ابراهيم احمد العدوي ومراجعة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

الهواري : حسن محمود

٢٤٩- رسالة في وصف محتويات دار الاثار العربية - مطبعة الاعتماد ،

القاهرة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م .

ب ـ المقالات :

تشنر : فرانز

١ ـ الفتوة والخليفة الناصر ـ ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ترجمة الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٥م .

الدوري : عبدالعزيز

٢ ـ نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ـ مجلة كلية الاداب عدد ١ حزيران ١٩٥٩م ، مطبعة العاني ، بغداد .

سوسة : أحمد

٣ ـ الفيضانات وغرق بغداد في العصر الاسلامي ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج١٠ مطبعة المجمع ، بغداد ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

العلي : صالح أحمد

٤ ـ الانسجة في القرنين الاول والثاني ـ مجلة الابحاث ج٤ كانون الاول ، لسنة ١٤ ، دار الكتب ، بيروت ١٩٦١م .

غنيمة : رزوق

٥ ـ صناعات العراق في عهد العباسيين ـ مجلة غرفة تجارة بغداد لسنة ١٩٤١م .

الكرملي : الاب انستاس ماري

٦ ـ الكلمات ذات الاصل اليوناني ـ مجلة المجمع العلمي العربي مج١٨ سنة ١٩٤٣م .

محفوظ : حسين علي

٧ ـ النوروز في الادب العربي ـ مجلة التراث الشعبي عدد ٨ نيسان ١٩٦٤م .

مصطفى جواد :

٨ ـ الازياء الشعبية ـ مجلة التراث الشعبي ، عدد ٨ سنة ١٩٦٤ .

٩ ـ اولية الشرطة واطوارها واصنافها عند العرب ـ مجلة الشرطة والامن ، العدد الاول ، ايلول ، السنة الاولى ، شركة الاعظمي للطباعة ، بغداد .

١٠ـ الفتوة والفتيان ـ مجلة لغة العرب ، مج٤ السنة ٨ نيسان ١٩٣٠م .

١١ـ الفتوة واطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٥ ، مطبعة المجمع ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

ج ـ المراجع الاجنبية :

Arendonk (c. Van):

1— Futuaw - Encyclopaedia of Islam, Vol. II. 1st. ed.

Cahen (C) :

2— Baghdad au temps de les derniers califes ? Arabica, Vol. spèciale pulié Al'ocasion du Mill Deux centième anniversairs de la fondation De Baghdad, E. J. Brill, Leiden 1962.

Dozy (R. P. A.) :

3— Dictionnaire Détaillé Des Noms Des Vêtements chez les Arabes, Amsterdam 1845.

Duri (A. A) : Baghdad - Encyclopaedia of Islam, Vol. I. 2ed. ed

4— Diwan - Encyclopaedia of Islam, Vol. II. 2ed. ed

Jomer (J) :

5— Amir al-Hadjdj - Encyclopaedia of Islam. 2ed. ed. Vol. 1.

Lane (E. W) :

6— Arabic English Lexicon - 8 Vols, Edinburgh, England, 1956.

Massignon

7— Islamic Guilds - Encyclopaedia of social sciences, Vol. 7

Rutherford (K) :

8— Gong - Grove's Dictionary of Musicians, 10 Vols 5th. ed. Edited by Eric Blom, England.

Sauvaget et autres

9— Repertoire chronologique d'épigraphie Arabe - 13, Vols, sous La direction du ÉT. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet. le caire Imprimerie de L'institut Français d'Archéologie orientale.

Serjeant (R. B.) :

10— Material for ahistory of Islamic Textiles up to the Mongol conquest. 4 Vols, reprinted from Vols. xI - xII of Ars Islamic (1942-1946)

Steingass (F) :

11— Persian English Dictionnary-4ed, Lowe and Bryedone London, 1957.

فهارس الكتـاب

فهرست اعلام الاشخاص

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

فهرست أعلام الأماكن والبلدان

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ك)

(ن)

فهرست القبائل والأمم والملل والنحل

(أ)

(ب)

(ت)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)

فهرست الحضارة

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

المحتــوى

التصويبات

الصفحة	الخطـأ		الصواب
١٣	النجار	=	التجار
٦٣	الباعم	=	الباعة
١٨٣	الحظمي	=	الخطمي
٢٩٨	الزيني	=	الزينبي

للمـؤلف

١ ـ القاضي التنوخي وكتاب النشوار ـ مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٦

٢ ـ الطيلسان ـ مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٦٦ (مستل من العدد الثاني من مجلة كلية الشريعة)

٣ ـ الخليفة المغني ابراهيم بن المهدي ـ مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٧

٤ ـ تاريخ الشهود ـ مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٦٧ (مستل من العدد الثالث من مجلة كلية الشريعة)

٥ ـ شيخ الاخباريين ابو الحسن المدائني (معد للطبع)

